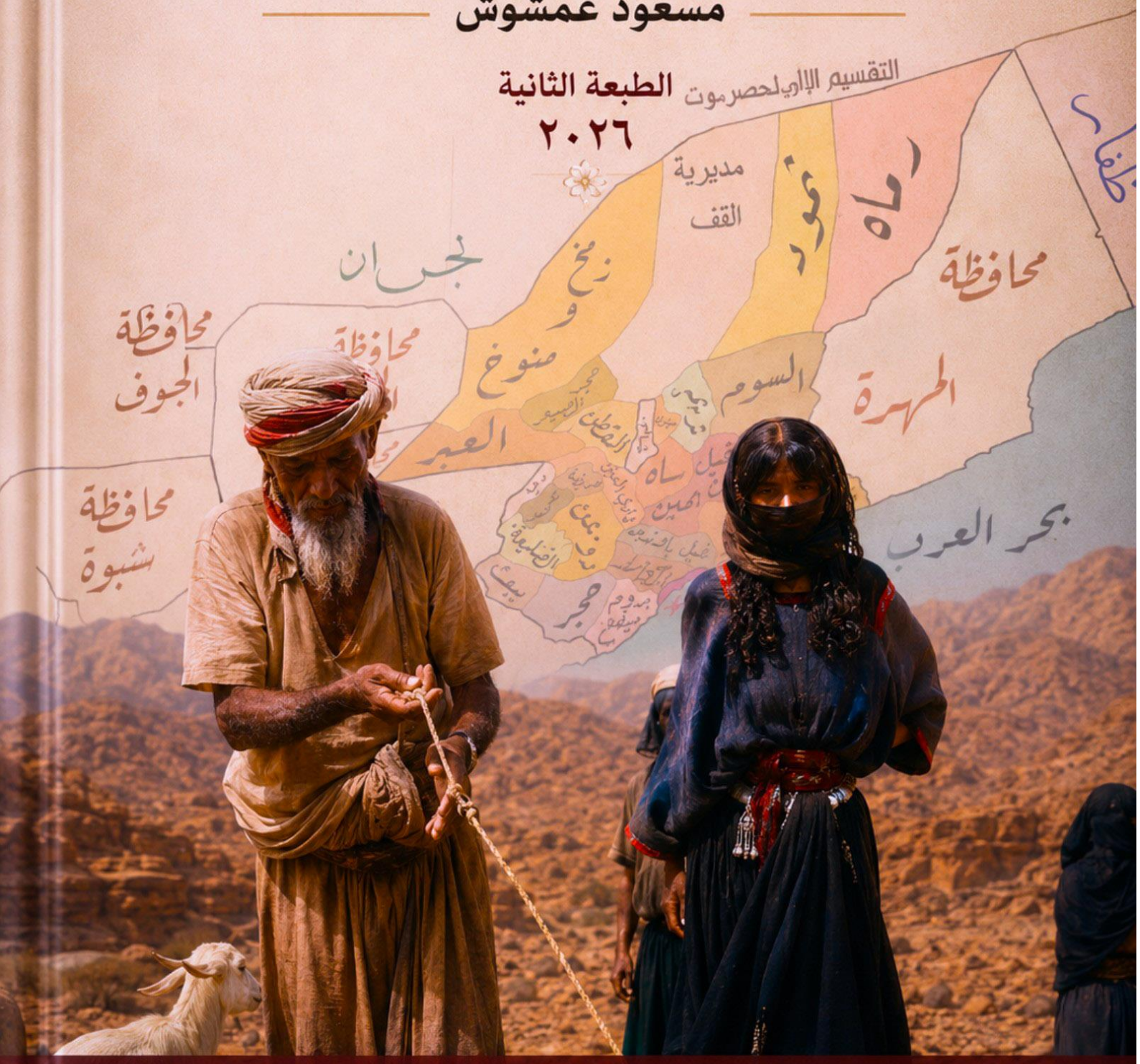
صحاري حضرموت

مسعود عمشوش

الطبعة الثانية
٢٠٢٦



منشورات مركز مهارات - عدن

صحاري حضرموت

د. مسعود عمشوش

الطبعة الثانية 2026

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية: 2026
رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب –حضرموت: 271 لسنة 2024
العنوان: (صحاري حضرموت)
المؤلف: أ. د. مسعود سعيد عمشوش
المقاس: 14 × 21 سم
عدد الصفحات: 216

يمنع طباعة أو تصـــوير هذه المطبـــوعة أو أجزاء منها، أو حفظها أو نسخها على الوسائط الإلكترونية من غير موافقة مسبقة من المؤلف

مركز مهارات للبحث والتدريب والترجمة – عدن
mahaarat@hotmail.com

فهرس المحتويات

مقدمة	5
نجود حضرموت في كتابات عبد الرحمن السقاف	9
رحلة إلى الربع الخالي لجعفر محمد السقاف	37
نجود حضرموت في كتاب (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها) لعلوي بن طاهر الحداد	43
أضواء على تاريخ صحراء ثمود وواقعها بقلم الباحث نائف بن ناصر المنهالي	49
قف العوامر في كتاب (رحلتي إلى النيد) لعمر عبد الله العامري	115
أدولف فون فريده ووصوله إلى البحر السافي سنة 1843	135
استكشاف عبد الله فليبي للربع الخالي ورملة السبعتين	143
ويلفريد ثيسيجر ورحلاته في جنوب الجزيرة العربية	179
مراكز جيش البادية الحضرمي في صحاري حضرموت في مذكرات جون دوكر	203

المقدمة

حضرموت مقسمة اليوم على جهازين إداريين شبه منفصلين؛ يقع أحدهما في العاصمة المكلا ويتولى إدارة شؤون مديريات الساحل والهضبة. ويقع الثاني في سيئون ويدير شؤون مديريات الوادي والصحراء. ومن المعلوم أن مديريات الصحراء تغطي نحو ثلثي مساحة حضرموت، الممتدة على طول الجزء الشمالي منها.

وتعد صحاري حضرموت جزءاً مما يسمى اليوم بالربع الخالي، وجزءاً مما يسمى برملة السبعتين. ويعد الرُّبع الخالي أكبر صحراء رملية متّصلة في العالم، وهي جزءٌ من الصحراء العربية، رابع أكبر صحراء في العالم، ويغطي الثلث الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية. ويتوزع الربع الخالي، الذي تبلغ مساحته 430,000 كيلومترا مربعا، بين السعودية وحضرموت واليمن وعُمان والإمارات، ويقع الجزء الأكبر منه داخل الأراضي السعودية. أما رملة السبعتين فهي منطقة صحراوية تضم اليوم مناطق في حضرموت وشبوة وجزءاً من الجوف ومأرب. وكانت تعرف في الماضي بمفازة صيهد؛ فقد قال عنها ياقوت الحموي (المتوفى سنة 626 هـ في كتابه الجغرافي (معجم البلدان 3/ 126): "صيهد مفازة بين مأرب وحضرموت".

وكتب علوي بن طاهر الحداد في كتابه (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها): "وادي العَبْر وهو واد يبتدئ من الكسر وينتهي في مدخل رملة صيهد ومرادنا به الوادي المتسع الذي يبتدئ من طرف ريدة الصيعر الغربي ينتهي بالفوهة والخشعة". وقديما كان طريق البخور الذي تنتجه مملكة حضرموت، يمر عبر رملة السبعتين، التي كانت ملتقى للقوافل التجارية الآتية من جميع المدن في الحقبة الزمنية القديمة.

وتتميّز صحاري حضرموت بتضاريسها المتنوعة. وفي الحقيقة ليس كل مساحات مديريات صحراء حضرموت رملية، فأجزاء كثيرة منها تحوّلت رمالها إلى أرض صلبة وأخذت شكل أحقاف وأشرطة. وهناك رقعة كبيرة تغطيها تلال ووديان ومراع يطلق عليها البدو: قُف أو (نِيد) أي (نجد).

وتعدُّ هذه الصحاري موطنًا للعديد من القبائل البدوية، التي اضطر كثير من أبنائها إلى النزول إلى (عروض) وادي حضرموت ومدنه وقراه، ولا يعودون إلى نجودهم ومرابضهم إلا في فترات (الغيث)، أي عند نزول الأمطار فيها.

وعلى الرغم من أن مديريات الصحراء تغطي نحو ثلثي مساحة حضرموت، فالقليل منّا يعرف شيئا عنها. وقد كتب عن صحاري حضرموت بعض الحضارم وكثيرٌ من الضباط والرحالة والمغامرين الغربيين. لهذا رأينا أن نكرّس هذا الكتاب لتقديم صحارينا من خلال ما دوّنه أربعة حضارم: المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، الذي تناول في الجزء الأخير من كتابه (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) نجود حضرموت، وسكانها

وعددا من الأحداث التاريخية التي وقعت فيها، وعلوي بن طاهر الحداد الذي قدم هو أيضا نجود حضرموت الشمالية في كتابه (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها)، وجعفر محمد السقاف الذي قدم وصفا لبعض مناطق صحراء ثمود في كتابه (رحلة إلى الربع الخالي). ونشكر الباحث نائف بن ناصر المنهالي الذي سمح لنا بتضمين هذا الكتاب تقديمه الشامل لمديرية ثمود. وضمنت هذه الطبعة الثانية من الكتاب قراءة لكتاب الأستاذ عمر عبد الله العامري: (رحلتي إلى النيد، قُف العوامر، جباء).

كما يتضمن هذا الكتاب أربع دراسات قمنا بها لما كتبه أربعة غربيون زاروا حضرموت خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وهم: البارون الألماني أدولف فون فريده، الذي أكد أنه قد وصل سنة 1843 إلى أطراف (البحر السافي) حاملا مسبرا يزن نصف كيلوجرام اختفى تماما وسط رمال صحراء العبر، والمستكشف هاري سانت جون فليبي وويلفريد ثيسيجر، والمستشار السياسي جون دوكر الذي تحدث في مذكراته عن آبار العبر وزمخ ومنوخ وثمود وسناو، وعن المراكز التي شيّدتها بريطانيا لجيش البادية الحضرمي بالقرب من تلك الآبار.

ونأمل أن نكون، بهذا الجهد المتواضع، قد أسهمنا في تعريف القراء بجزءٍ مهمٍ من أجزاء بلادنا. والله من وراء القصد.

مسعود عمشوش

عدن، الأول من يوليو 2026

نجود حضرموت في كتابات

عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف



(إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) هو العنوان الذي وضعه المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف لملخص كتابه (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت)، الذي فرغ من تأليفه في منتصف جمادي الآخرة سنة 1367هـ (1948م). و(الإدام) ليس معجماً، ولم يلتزم مؤلفه بترتيب ألفبائي، بل هو كتابٌ تقديمي يذكر مدن حضرموت وقراها وفق ترتيبها الجغرافي، من الغرب إلى الشرق. وقد قسّم المؤلف الكتاب إلى تقديم عام وثلاثة أجزاء متفاوتة الحجم: فالجزء الأول يقع في مئة وثماني وسبعين

صفحة فقط من أصل الـ 1110 صفحة التي يقع فيها الكتاب في طبعة دار المنهاج. بينما يقع الجزء الثاني فيما يقارب الثمانمائة صفحة. ويقع الجزء الأخير في سبع وعشرين صفحة فقط.

ويتضمن هذا الجزء القصير جدا، (27 صفحة فقط)، تقديما موجزا لنجود حضرموت. ويرى ابن عبيد الله أن النجد هو ما تصلب من الأرض في رؤوس الجبال والهضاب والصحاري (الرمال). ويبدو لنا أن هذا التعريف يتطابق مع الاستخدام الشائع في بادية حضرموت لكلمة النجد التي ينطقونها (النِّيد).

ويقسم ابن عبيد الله نجود حضرموت إلى: جنوبية تضم كور سيبان والحالكة والعكابرة والخربة وبحسن. وشمالية تضم: ريدة الصيعر وما حولها، ونجد آل كثير، ونجد العوامر، ونجد المناهيل، وصيهد حضرموت.

كما ضمّن المؤلف هذا الجزء الثالث من (الإدام) بعض الموضوعات الأخرى التي لم يستطع المؤلف تضمينها في الجزئين الأول والثاني، ولم يرغب في استبعادها من (الملخص). من تلك الموضوعات (وبّار)، التي تناولها المؤلف في (الأصل) في سياق شرحه للبيت التاسع عشر الخاص بالآثار والكنوز المطمورة (ولمن تخبئين ما ادخروه من كنوز غطوا عليها بكبس). وينهي ابن عبيد الله الجزء الثالث من (الإدام) بالإشارة إلى (أم الصميم) التي تداني حضرموت من جهة الشرق وذلك في سياق حديثه عن وبار.

وهذا ما كتبه ابن عبيد الله عما أسماه نجود حضرموت (ص1054-1062):

"وأمّا نجود حضرموت .. فقسمان: أحدهما الجنوبيّ ؛ وفي أعلاه: كور سيبان ، والحالكة، والعكابرة، والخربة، وبحسن ومنها تكون الطّريق من السّاحل إلى وادي حمم، ثمّ الخريبة، ودوعن.

ووادي حمم هو واد طويل كثير النّخيل والأشجار والعيون، يسكنه آل باهبريّ، من قديم الزّمان، ولهم ذكر كثير ولا سيّما في حروب القرن العاشر، وفيه ناس من السّادة آل العطّاس وغيرهم.

ثم: حويرة ومنها تنشعب الطّرق إلى وادي العين، وإلى وادي بن عليّ.

وفي شمال حويرة إلى الشّرق: ريدة المعارّة وريدة الجوهيين، ومنهما تشرع الطّرق إلى حضرموت، وإلى عقبة الفقرة، وعقبة العرشة، وعقبة عبد الله غريب، وعقبة عشه، تنزل هذه كلّها إلى السّاحل، وقد أصلحت في الأخير طريق للسّيّارات في هذا الجبل.

والمسافة بمشي السّيّارة بالتّقريب من الغرف إلى أوّله ـ عقبة الغزّ ـ نحو ثلاث ساعات، ومنها إلى ريدة الجوهيّين والمعارّة ثلاث ساعات.

ومن الرّيدتين إلى عقبة الفقرة يكثر الازورار والانعطاف؛ لكثرة القور والشّناخيب بذلك الطّرف، فبطن ذلك الجبل الّذي يلي حضرموت أشبه بظهر الضّبّ، وأمّا ما يلي عقبة الفقرة في

شمالها .. فأشبه بذنبه، والسّيّارات فيه يحيط بها خطر السّقوط إذا لم يمهر السّائقون. والمسافة إلى الفقرة نحو ثلاث ساعات ومنها إلى الشّحر نحو ساعتين.

وفي هذا النّجد جول عبول، وهو الّذي توفّي به سيّدنا العيدروس الأكبر مرجعه من الشّحر إلى تريم، على ثلاث مراحل من تريم ومرحلتين من الشّحر.

وفيه أيضا: مقد العبيد، سمّي بذلك لسبب يتعالم به الحضارمة ولا ندري ما نصيبه من الصّحّة، إلّا أنّ آثار القبول ظاهرة عليه؛ وهو: أنّ أحد سلاطين حضرموت بات به مع عبيده في ليلة شاتية، وهو ممّا ينطبق عليه قول أبي الطّيّب:

وعقاب لبنان وكيف بقطعها وهو الشّتاء وصيفهنّ شتاء

فجمعوا عليه الرّحال والفراش، وباتوا هم في نقل الحجارة من مكان إلى آخر .. فاندفع عنهم البرد بحرارة الأعمال، وأصبح السّلطان ميتا من شدّته.

وفي أواخر هذا النّجد: غيل بن يمين، ولسويد بن يمين ذكر كثير في شعر إمام الإباضيّة إبراهيم بن قيس، وقلت في (الأصل): يحتمل أن يكون سويد صاحب هذا الغيل، ويحتمل أن يكون المراد من شعر إبراهيم إنّما هو جدّ آل يمين النّهديّين الموجودين اليوم بالسّور، وسفولة اليمنة، على مقربة من طريق حريضة.

وقد سبق في حجر: أنّ طائفة من آل دغّار يقال لها آل ابن يمين لا تزال بقاياها بقرية في حجر يقال لها: الحسين، فلا يبعد أن

تكون هي، لا سيّما وأنّ القرائن المتوفّرة في شعر إبراهيم بن قيس تؤكّد ذلك.

ويقال للغيل المذكور: غيل الشّناظير أيضا؛ نسبة ليافع الّذين استولوا عليه وقت اقتسامهم لحضرموت.

وفي حوادث سنة (٩٣٦ هـ) استولى السّلطان بدر بوطويرق على غيل ابن يمين، ونهب أولاد يمين وطردهم، فلجؤوا إلى الحموم، وما كاد يتّصل هذا الخبر بالسّلطان محمّد أخي بدر بوطويرق .. إلّا وتكدّر واغتاظ وأظهر أنّه محشوم، واتّسع الخلاف بينه وبين أخيه، إلى أن سفر المصلحون، وأرجع بدر أمر الغيل إلى أخيه محمّد فردّه لأولاد يمين.

وفي رحلة السّلطان عمر بن صالح هرهرة أنّ جعفر بن يمين قتل مع السّلطان عمر بن جعفر الكثيريّ في المعركة الّتي كانت بين يافع وآل كثير في بحران سنة (١١١٧ هـ).

وللغيل هذا ذكر كثير في أخبارهم وحروبهم، ثمّ استولت عليه طائفة من يافع يقال لهم الشّناظير، ولذا ينسبه بعضهم إليهم كما سبق في تريم.

وسيول هذا الغيل تدفع إلى وادي سنا، وأمّا ماؤه الجاري .. فالغالب عليه الإهمال.

وهو من النّقاط المعيّنة لسلاطين آل عبد الله الكثيريّ في المعاهدة ذات الإحدى عشرة مادّة، ولم يذكر في وثيقة اقتسام الممالك بين

السّلطانين منصور ومحسن ابني غالب بن محسن، المحرّرة فاتحة رجب سنة (١٣٣٦ هـ)، فهو باق بينهم على

لشّركة الشّائعة، وأكثر معوّل الدّولة الكثيريّة في حمايته على الحموم إزاء امتيازات لهم فيه، وهم الّذين طردوا عنه الشّناظير من يافع سنة (١٢٧٥ هـ).

وفيه جماعة من ذرّيّة السّيّد عمر بن أحمد بن قطبان، وبالبادية حواليه جماعة من بادية العلويّين كبيت سهل، وبيت حمودة، وبيت قرموص، وبيت عقيل، وبيت الخشش، وبيت محسن، وبيت الأخسف، وبيت كدحوم.

منهم جماعة اشتهروا بالنّجدة والشّجاعة الخارقة؛ كالسّيّد حسن بالخشش، والسّيّد عميّر؛ فقد كانا مضرب المثل في ذلك.

إنسا إذا نزلوا، جنّا إذا ركبوا ...

لا، بل كانوا جنّا وشياطين دائما، حتّى إنّ الأمّهات ليروّعن بهم الصّبيان ليسكتوا عن البكاء؛ لأنّهم من أكثر النّاس شرّا وقيادة للغارات.

ومنها غارة سنة (١٣١٨ هـ)؛ فقد نهبوا قافلة الحجيج الصّادرة من المكلّا إلى حضرموت، وفيها السّيّد سالم بن محمّد بن عليّ بن محمّد السّقّاف، والسّيّد عبد الرّحمن بن عبد القادر البحر، وكان السّيّد حسن بالخشش هو القائد العامّ لتلك الغزوة، غير أنّهم بعد ما نهبوا الحاجّ .. هاجمتهم سيبان والعوابثة وهم غارّون فقتلت منهم نحوا من خمسين، وأخذت ما استولوا عليها من أموال

الحجّاج على نيّة إرجاعه لهم، ثمّ خاسوا بتلك النّيّة، وبيناهم يقتسمون .. عطف عليهم السّيّد حسن بالخشش بقومه وكثرت القتلى من الجانبين، ولم يحجز بينهم إلّا حرّ النّهار، وكان الوقت خريفا

وهذه من كبريات حوادث بادية حضرموت إن لم تكن أكبرها على الإطلاق؛ فلقد أنتنت من جيفهم الجبال وسنقت الوحوش [1] (من لحومهم.

وفي النّاحية الغربيّة من هذا النّجد طريق أخرى للسّيّارات، تخرج من المكلّا، وتمرّ في أعلى وادي حمم إلى جبال دوعن، ثمّ تنزل بجحي الخنابشة، ومنه إلى الكسر، ثمّ إلى شبام.

وهناك تتّصل الطّريقان، وتدخل في كلّ واحد من النّجدين أودية كثيرة كعمد ووادي دوعن ووادي العين ووادي بن عليّ وشحوح ووادي تاربه وبايوت والقرى الّتي في جنوب الغرف إلى عقبة الغزّ.

فهذه كلّها داخلة في النّجد الجنوبيّ، وكوادي سر ويبهوض وجعيمه ووادي مدر ووادي الذّهب والخون وغيرها، فكلّها داخلة في النّجد الشّماليّ كما سنذكره بعد أسطر.

وأمّا الثّاني: فالنّجد الشّماليّ وهو جبل ينقاد من قرب سيحوت شرقا إلى محاذاة العبر غربا، إلّا أنّه يستدقّ في طرفيه، وتعقبه في الغرب آكام وقوز، وعرضه تارة ينبسط إلى مسافة ثمانية أيّام، وأخرى ينقبض إلى خمسة أيّام فقط، ومنه تنشعب الأودية إلى وادي الجابية، ووادي سور، ووادي هينن، وأودية سر،

وجعيمه، ومدر، وثبي، ووادي الغبيرا الّذي ينهر إلى دمون، ووادي الخون، وسويدف، ووادي عرده، ووادي طبوقم من أودية الظّنّيّ، وبعدهنّ وادي عشارهم، وغيرها.

وارتفاعه من جهة الشّمال إلى الرّمال أقلّ من ارتفاعه في جهة جنوبه إلى حضرموت بكثير، حتّى لقد تختلط أطرافه برمال الدّهناء، كما سيأتي عن بير ثمود.

وفي أوّل هذا النّجد غربا: ريدة الصيعر، قال الهمدانيّ في عداد قرى حضرموت: (وريدة العباد وريدة الحرميّة).

وقال عمرو بن معد يكرب الزّبيديّ:

وجدّي في كتيبتهم ومجدي أولئك معشري وهم خيالي

وعلقمة ابن سعد يوم نجد هم قتلوا عزيزا يوم لحج

وما أظنّه يعني إلا هذا النّجد؛ لأنّه أقام طويلا على مقربة منه بالكسر.

والصّيعر ـ كما عند الهمدانيّ وأجمع عليه مؤرّخو حضرموت: قبيلة من الصّدف تنسب إليها ريدة الصيعر؛ ليفرّق بينها وبين ريدة أرضين.

وقال في موضع آخر: وكان الصّدف بحضرموت من يومهم، ثمّ فاءت إليهم كندة بعد مقتل ابن الجون يوم شعب جبلة لمّا انصرفوا عن غمر ذي كندة، وفيهم الصّدف، وتجيب، والعباد من كندة، وبنو معاوية بن كندة، ويزيد بن معاوية، وبنو وهب، وبنو بدّا بن الحارث، وبنو الرّائش بن الحارث، وبنو عمر بن الحارث،

وبنو ذهل بن معاوية، وبنو الحارث بن معاوية، ومن السّكون فرقة، وفرقة من همدان يقال لهم: المحاتل، وفرقة من بلحارث بن كعب بريدة الصّيعر، وإليها تنسب الإبل الصّيعريّة، والأشلّة الصّيعريّة، وفيها يقول طرفة

يمان وشته ريدة وسحول وبالسّفح آيات كأنّ رسومها

وقد ناقشته في (الأصل) إذ زعم أنّ فيئة كندة إلى الصّدف بحضرموت أوّل عهدهم بها؛ إذ لا يتّفق مع وجود السّبعين ملكا منهم بها متوّجين؛ آخرهم الأشعث بن قيس.

وقد صرّح بأنّ العباد من كندة، وفي «التّاج» [٨ / ٣٣٨] و«أصله»: (أنّ العباد من القبائل الشّتى الّتي اجتمعت على النّصرانيّة ، مع احتمال أن يكون جدّ العباد الكنديّين أحد أولئك ؛ فإنّه لا مانع منه.

وفي [٨ / ٧٨] من «خزانة الأدب» للبغدادي: (أنّ الصّدف بطن من كندة ينسبون اليوم إلى حضرموت)

وقد تفرّع كثير من قبائل حضرموت عن الصّيعر كما تكرّر مثله في هذا المجموع كآل باجمّال، وآل باصهي، وآل بابقي، وآل باحنين، وآل باكثير، وآل الجرو، وآل باحلوان، وآل باغانم، وكانوا ببور، وآل بامطرف، وآل بامزروع.

وبقي أهل الرّيدة على حالهم لم يتغيّر اسمهم ولا اسم بلادهم، وقد سبق في الغرفة وغيرها أنّ آل باحلوان من قضاعة.

والصّيعر قبيلتان: آل مسلّم، وآل حاتم، وكلّ قبيلة تنقسم إلى بطون كثيرة، ورئيس الصّيعر كلّهم الآن: سعد بن طنّاف بن رميدان، ورئيس آل عليّ بلّيث منهم، يقال له: عليّ بن عيضة، ومقدّم آل يربوع منهم، يسلم بن محمّد، ومقدّم آل عبيدون: سعيد بالحاشدي.

وكثير منهم من ينتجع وبار، وبالأخصّ آل عبد الله بن عون؛ ففيها منهم نحو مئتي رام.

ووبار: هي الرّمال الّتي من وراء جبلهم، إلّا أنّ كلّا من أهل النّجد يسمّي ما يجاور نجده باسم غير الّذي يسمّيه الآخر، فالصّيعر يسمّون ما يلي نجدهم من الغرب إلى الشّرق: (عيوه) بكسر العين وسكون الياء وفتح الواو.

وفي الأخير رعاها آل معروف منهم، ثمّ نجعوا إلى مقربة من نجران بسبب الجدب، وأذن لهم أمير نجران وهو رجل شهم، وعربيّ قحّ من صميم تميم، له مروءة وشمم، يقال له: تركيّ بن محمّد بن ماضي ـ أن يضربوا خيامهم في أطرافها، كما أذنت الفرس لحاجب بن زرارة.

ثمّ وفد منهم أربعون على أربعين نجيبة، يرأسهم اثنان ـ يقال لأحدهم: قنيبر، والآخر هو: عبد الله بن سالم بن معيقل ـ حتّى وصلوا الرّياض، فتركوهم أربعة أيّام، وفي الخامس أو السّابع اجتمعوا بملك الحجاز ونجد ورأوا من بشره وإكرامه أكثر ممّا يؤمّلون، وقدّموا له مطيّة على سبيل الهديّة اشتروها عمّا يقولون بثلاث مئة ريال، لكنّه بعيد؛ لأنّ إبلهم لا تبلغ ذلك ولا

نصيفه، وبعد اجتماعهم به أجروا عليهم حكم الضّيافة، وطلبوا منه أن يديم الإذن لهم بالإقامة في مشارف نجران، فأحالهم على ما يرى فيه المصلحة أميرهم، ودفع لكلّ من الرّئيسين أربعين ريالا، ولكلّ واحد ممّن سواهم عشرين، مع ما يلزم من الزّاد، ولمّا عادوا إلى نجران .. أبقاهم أميرها مدّة، ثمّ طردهم، فعادوا إلى عيوه، هكذا أخبرني عنهم امبارك بن يسلم بن زيمة بن امبارك العوينيّ.

وكما رفعوا ثمن ناقتهم إلى ما لا يقبله العقل .. كتموا ـ فيما أرى ـ بعض ما أعطاهم الملك؛ لأنّ ذلك النّزر لا يتّفق مع ما سارت به من سماحته الرّكبان وضربت الأمثال؛ فهو الذي قال:

يهمي النّدى والرّدى في راحتيه فلا عاصيه ناج ولا راجيه محروم

وعدد الصّيعر لا يزيد عن ألفي رام، وقد عاهدهم الضّابط السّياسيّ الإنكليزيّ انجرامس منذ أحد عشر عاما معاهدة اعترف لهم باستقلالهم، وأنّهم ليسوا تبعا لأحد من سلاطين حضرموت، وعلى أن لا رسوم عليهم في بلادهم، وعلى أنّ العبر من حدودهم، كذا أخبرني من اطّلع على المعاهدة.

والجاهليّة عندهم جهلاء، وشأنهم شأن العرب في السّلب والنّهب، وكثيرا ما يتناهبون هم والعوامر وآل كثير النّعم بأنواعها، ولكنّ أولاء لا يقدرون على الانتصاف منهم، إلّا إذا انضمّوا إلى المهرة والمناهيل، وتجمّعوا من كلّ صوب، وأمّا هم؛ أعني الصّيعر والمناهيل، والمهرة، ويام، ودهم، والكرب .. فلا يتناهبون إلّا الإبل؛ لبعد الشّقّة.

وفي الشّتاء من هذه السّنة غزت آل حاتم إلى بعض البوادي الدّاخلة في الحدود السّعوديّة، فغنموا إبلا كثيرا، فاحتجّت عليهم حكومة عدن، فقيل: إنّهم أرجعوها كلّها أو بعضها، وقيل: لم يردّوا شيئا.

وفي جمادى الآخرة من هذه السّنة غزت طائفة من قبيلة يقال لهم: (القحطانيّون) مكانا في شرقيّ العبر وشماله، يقال له: (شمال)، وفيه أخبية لكثير من الصّيعر والكرب ونهد، فالتحم القتال ودام نحو ثلاث ساعات، وأنجدهم عسكر البادية المحافظ على الأمن بطرف حضرموت من جهة الحكومة الإنكليزيّة، ولكنّه قليل جدّا فلم ينجه مع ألفافه إلّا الهرب بعد أن قتل منهم ثمانية عشر، ونهبت إبلهم وسائر ما معهم ، وبيان القتلى: سبعة من الكرب، وسبعة من الصّيعر، واثنان من نهد، واثنان من العسكر، ويزعم المنهوبون أنّهم ومن لفّهم قتلوا ثلاثة من القحطانيّين، ولكنّه زعم بدون تعيّن، وعلى هذه .. فقس ما سواها.

وعن امبارك بن يسلم العوينيّ عن صالح بالخليس الصّيعريّ الكسيليّ قال: غزوت على ظهر الجبل من نجدنا إلى نجد المهرة، فلمّا قارب الجبل الانتهاء .. استدقّ حتّى صار مثل السّيف، فنزلنا عنه ونحن ستّة على ستّ من المطايا، فلاقانا سوماليّ[1] (على جمل في طلب اللّبان، فهابنا، فآمنّاه، وسألناه: من أين أقبلت؟

قال: من عيان، وهو موضع قريب من سيحوت، يجري فيه غيل، تقام فيه الأسواق.

قلنا له: من هناك؟ قال: تجّار ببضائعهم يتأهّبون لقيام السّوق.

فأبقيناه مع أحدنا عند المطايا، ولمّا قاربناهم .. ألفينا عندهم مهريا يحلب ناقة له، فأردیناه وانتهبنا ستّين مطيّة مع ما قدرنا عليه من خفيف البضائع ، وضربنا آباط الإبل مساءها واليوم الثّاني وردهة من اللّيلة الثّانية، فكلّ أصحابي وأرادوا التّعريس ، فنهيتهم فلم يسمعوا، فأكلوا وأغفوا، ولم يكد يطرقني النّوم من الذّعر حتّى انتبهت فقمت أعس فشممت رائحة الوزيف من عرق جمال النّجدة؛ لأنّها تأكل منه، فأقبلت على أصحابي فسبقتني إليهم البنادق، واعتصمت بأكمة، وناديت القوم في أن يعود كلّ بحلاله، فأجابني الشّوص أحد آل عليّ بن كثير وكان معهم فقال: انتظر حتّى نتشاور، ولمّا ناديته مرّة أخرى .. قال: إنّ الّذين قتلتم أخاهم بالأمس وهو يحلب ناقته أبوا؛ فجاء موضع قول أبي مكعب

إنّ الّذين قتلتم أمس سيّدهم لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما

ولهذا البيت قصّة جاءت في (ج ١٠ ص ٢٥٠) من (خزانة الأدب).

وأمر جماعة أن يكمنوا لي على الطّريق، وكان أحد أصحابي نجا براحلتين من النّهب، فاقتعدناهما، فلم يقدر علينا الكمين؛ لأنّهما كما قال القطاميّ:

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة ولا الصّدور على الأعجاز تتّكل

وكانت هذه القضيّة في حدود سنة (١٣٥٠ هـ)، وآثار الصّدق لائحة عليها.

وفيها فوائد كثيرة؛ أهمّها: أنّ الجبل لا ينتهي إلّا على قرب سيحوت حسبما قدّمنا، وقد نقلنا في شرح البيت (٣٦) في الجزء الأوّل من «الأصل» عن أبي شكيل: (أنّ مدينة تريم في شمال لسعا، وجبالها اثنان ممتدّان من الشّرق إلى الغرب، فيها قوم من المهرة كالوحوش، يتكلّمون بلغة عاد، وإليهم تنسب الإبل المهريّة)

وما كان الخليسيّ مع أصحابه في المراجعة إلّا كدريد بن الصّم في الحادثة الّتي غزا فيها بني كعب بن الحارث بنجران فتبعوهم وقتلوا أخاه عبد الله في حبونن واستردّوا منهم ما أخذوا، وفي ذلك يقول قصيدته الّتي منها:

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللّوى
فلم يستبينوا النّصح إلّا ضحى الغد

وما أنا إلّا من غزيّة إن غوت
غويت، وإن ترشد غزيّة أرشد

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا
فقلت أعبد الله ذلكم الرّدي؟!

لئن كان عبد الله خلّى مكانه
فلا طائشا خلو الجنان ولا اليد

وفي أرض الصّيعر بئر يقال لها: منوخ، فيها ماء، إلّا أنّه ينضب عند قلّة الأمطار، وهذه البئر في منطقة يقال لها: منوخ.

وقد بنت فيه الحكومة مركزا على أكمة صخريّة عالية، وهي في الجنوب الشّرقيّ لوادي عيوه.

وفي غربيّ هذه المنطقة على بعد خمسة وخمسين ميلا: منطقة زمخ، وفيها بئر مهمّة يستقي منها الغزاة القادمون من بوادي نجران، ويحملون ما يكفيهم من الماء في غزوهم للصّيعر، وآل كثير والعوامر والمناهيل والمهرة، وكذلك هؤلاء يتزوّدون منها لغزو يام والقبائل السّعوديّة وغيرهم.

ومركز زمخ يبعد عن مركز العبر بسبعة وثلاثين ميلا.

وعن قرية الحجر بريدة الصّيعر نحوا من أربعين ميلا.

وفي شمالها: رمال الدّهناء، أو الرّبع الخالي.

وموقع زمخ بمكان كبير من الأهمّيّة، ولذا بنت فيه الحكومة الإنكليزيّة على حساب الحكومة القعيطيّة مركزا لصدّ عوادي الغزاة أو تخفيفها.

وأمّا بير ثمود ـ الآتي ذكرها ـ فتبعد عن منطقة زمخ بمئتين وثلاثة وسبعين ميلا في جهة الشّرق.

وسكّان منطقة زمخ: آل عبد الله بن عون من الصّيعر، وهم بدو رحّل.

وفي وادي دهر مكان يسمّى: زمخا، وبئر تسمّى: ببئر زمخ، ولكنّها أقلّ شهرة من المكان الّذي نحن بسبيله.

وسكّان منطقة منوخ: آل عليّ بلّيث من الصّيعر، وسيأتي في وبار أنّها تمتّعت بالثّروة زمانا طويلا، وأنّها كانت طريق التّجارة الأهمّ بين الشّرق والغرب. وقد كانت كلّ من منطقة ثمود ومنوخ

وزمخ مدنا عظيمة للتّجارة؛ ولكن أفناها ما أفنى القرون الماضية، ولا شكّ أنّ آثارها مطمورة بالرّمال.

ومنذ أربعين يوما غزت يام وقتلت ثلاثة من الكرب، وغنمت مئة راحلة، ولم يقتل منها إلّا واحد، ولم يصب إلّا اثنان.

وفي مكان المحارقة من أرض الصّيعر شيء من النّخل، ولا نخل في سواها من

أرضهم، والطّرق من ريدة الصّيعر مفتوحة إلى كلّ مكان، ومن أقربها طريق وادي هينن، ومن سرّ إلى مكان آل عليّ بلّيث في الرّيدة مسير يوم ونصف.

ومنذ ثمان سنوات تقريبا أمطرت الطّائرات الإنكليزيّة نارها على حصن يسلم بن يربوع ملهيّ، وحصن عبد الله بن عون فهدمتهما، ثمّ سوّيت القضيّة على ما تريد الحكومة من الموافقة على الحلف السّابق ذكره عمّا قريب.

وبلغني أنّ الحكومة جعلتهم بالآخرة تبعا للقعيطيّ برغم الاستقلال الّتي اعترفت لهم به في ذلك الحلف.

نجد آل كثير

هو من وراء نجد الصّيعر إلى المشرق، وفيه سعة وأودية، منها: فرع، والقويع، وظيلم، والحوياه ونخط، وطرون، وفيه من آل عامر: آل كدّه، وآل دويس، وآل عبدات .. ما يبلغ مجموعهم مئة رام.

وفيه من آل عمر: آل الشّين، وآل بدر بن عبد الله .. نحو ستّين راميا. وفيه من الفخائذ آل الصّقير، وآل زيمه، وآل عليّ بن سعيد .. نحو أربعين راميا، ولو لا أنّ بقيّة السيف أبقت عددا .. لأتت عليهم المغازي واستأصلتهم الحروب.

وفي أرضهم تنمو العلوب نماء عجيبا، ومنها تجلب الأخشاب للعمارة إلى شبام وسيئون وتريم وما بينهنّ. وعود العلوب ـ أي: شجر السّدر ـ إذا نضج واصفرّ لا تقدر عليه دابّة الأرض.

وفي أخبار بدر بوطويرق: ما يفهم منه أنّ كثيرا من أسرتهم ـ لعهده ـ كانوا بهذا النّجد.

وفي أخبار بدر بن عبد الله: أنّه لمّا انكسر من جيش الإمام ولّى منهزما إلى جبال أخواله؛ ففيه دلالة على أنّ مثرى آل كثير كان بادية لذلك العهد بهذا النّجد

نجد العوامر

هو في شرقيّ نجد آل كثير، ومن أوديته: يبا، والدّخان، وامباركه، والعرج، وغيرهنّ، ورجالهم لا يزيدون عن مئة وخمسين، وفي أرضهم بئر يقال لها: تميس، لكنّها بعيدة عن أماكنهم لا تنفعهم أيّام الظّمأ، فيفضّلون عليها الانتقال إلى تاربه.

وفي نجد العوامر يزكو النّخل كثيرا، غير أنّه يذوي ويموت إذا تتابعت عليه الجدوب، ولأوّليهم في تعهّده اعتناء أكثر من متأخّريهم، وإلّا .. فنخل تاربه لا يعدّ في جانبه شيئا مذكورا.

ولسيّدي الفاضل علويّ بن عبد الرّحمن المشهور ـ السّابق ذكره في تريم ـ رحلات إلى النّجدين لنشر الدّعوة الدّينيّة والإرشاد إلى طريق الحقّ، غير أنّ المادّة لا تساعده، وما أشدّ اهتمامه بحفر الآبار وبناية الأحواض والصّهاريج؛ لأنّها ضروريّة هناك لو ساعدته القدرة، لكنّ الأمر كما قال أبو الطّيّب:

قدر قبح الكريم في الإملاق والغنى في يد اللّئيم قبيح

وبناء على هذا تكلّمت مع سماحة الملك ابن السّعود في ذلك أواخر سنة (١٣٥٤ هـ)؛ إذ كانت حضرموت تمتّ إليه بحرمة وذمام بما كان بها لأوّليه من الإلمام؛ إذ هتف بهم منها صريخ في حدود سنة (١٢١٧ هـ) ، فإذا هم لذلك العهد كما قال الشّريف الرّضيّ:

من القوم ما زرّوا الجيوب على الخنا ولا قرعت أسماعهم بملام

سريعون إن نودوا ليوم كريهة جريئون إن قيدوا ليوم خصام

يهاب بهم مستلئمين إلى الرّدى على عارفات بالطّعان دوام

تلك هي حالهم قبل أن ينغمسوا في التّرف، أمّا بعده .. فما أراهم يقدرون على مثل ذلك الشّرف، سنّة الله في خلقه.

وقد قرّرت في «بلابل التّغريد» ما ينشأ عن التّرف من الأضرار وما ينجرّ به من المصايب، ودلّلت عليه بما لا يوجد في سواه.

تكلّمت مع الملك في بناية الأحواض والصّهاريج بذلك النّجد فوعد، غير أنّ الظّروف والاستعجال حالا عن استنجاز ذلك؛ إذ لا بدّ وأن تقوم دونه عقاب كأداء من الماليّة المعروفة بذلك، وهي

تطلب من الانتظار ما لا يقدر عليه أمثالي من الأحرار، ولقد أخبرني غير واحد ممّن لا أشكّ فيهم عن الأمير الخطير الثّقة عبد الله بن عبد الرّحمن بأنّ أخاه الملك أمر لي عامئذ بمئة دينار من الذّهب .. فاختانها وزير الماليّة، وما أدري هل الفرصة باقية لبناء الخزّانات إلى اليوم أم قد فاتت؛ فإنّ جمعيّة الأخوّة والمعاونة أرادت أن تبني مسجدا بالعبر ـ وهو نظير تلك النّاحية ـ فلم يسمح لها.

نجد المناهيل

هو في شرق نجد العوامر، وقد اختلفت عليّ رواة البادية في بير ثمود، وجبل ـ أو قارّة ـ حبشيّة؛ فمنهم من يجعلهما من أواخر نجد العوامر، ومنهم من يجعلهما من

أوائل نجد المناهيل أمّا جبل حبشيّة ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الباء وكسر الشّين المعجمة وتشديد الياء المثنّاة من تحت المفتوحة ـ فعلى مقربة من بير ثمود.

ويقولون: إنّهم يسمعون دويّا منه يدلّ على وجود شيء من المخزونات نارا أو غازات أو غيرها.

وأمّا بير ثمود .. فإنّها ـ كما سبق ـ في جانب ذلك النّجد الشّماليّ الّذي يقصر ارتفاعه جدّا إلى الدّهناء، فهي في أطرافها. وبقاؤها بهذا الاسم من قديم الزّمان إلى الآن يؤكّد ما تقدّم في وادي سر ونبيّ الله صالح عليه السلام.

ويشاع أنّ حواليها منابع غزيرة للبترول، يتأيّد بتردّد رجال الحكومة الإنكليزيّة إلى ذلك المكان، وشدّة اهتمامهم به، وتكتّمهم بعمليّاتهم وحفريّاتهم فيه.

وذكر لي الولد الفقيه عبد القادر الرّوش أنّه رأى بمكّة سنة (١٣٦٤ هـ) عددا ثامنا من الجريدة المسمّاة بـ(العالم العربيّ) ـ الّتي لم يصدر منها إلّا سبعة أعداد ـ جاء فيه : (أنّ من أغزر منابع بترول العالم : منابع اليمن ، ثمّ حضرموت ، ثمّ الظّهران)

وأمرت الولد النّبيل سالم خرد أن يراجع لي مسألة أذكرها عن القطب الحدّاد،

فراجع (تثبيت الفؤاد) فتعسّرت عليه؛ لعدم ترتيبه، ولكنّه وقع على أهمّ منها، وذلك أنّه جاء فيه [١ / ٧٢ ـ ٧٣] ما يأتي:

لو لا أنّ هذه ـ يعني تريم ـ دار هجرتنا .. لخرجنا منها، ولا موضع لهجرتنا إلّا مرباط، غير أنّه لا يمكننا ذلك لثقل الكلفة في التّحمّل بالنّساء والصّغار والولدان.

ثمّ قال: نحفظ عن بعض جدّاتنا عن أبيها ـ وهو من أهل الكشف ـ أنّه أغمي عليه عند موته بحضورها، ثمّ أفاق فقال: عادكم تقولون: يا حيّا دولة الكثيريّ، ثمّ أغمي عليه، ثمّ أفاق فقال: يأتي على النّاس زمان ما لهم مفرّ إلا ثمود، ثمّ مات على إثر ذلك.

وقال الحدّاد ـ أيضا بإثر ذلك:

ما في تريم إلّا الوطن إنّ الإبل تهوى العطن

وقد سبق في صيف من أرض دوعن أنّ القطب الحدّاد كان يذكر الانتقال إليها أيضا.

وما جاء من ذكر المفرّ إلى ثمود عن ذلك الرّجل الصّالح في الحالة الّتي لا يتّهم فيها الكاذب .. يبشّر بمستقبل ضخم لتلك النّواحي، بدأت تتمخّض به الأيّام. والله العالم وحده ماذا يكون الحال عند الأولاد فيما بعده، جعل الله العاقبة إلى خير.

وغير بعيد أن يأتي هنا موضع ما سبق في ميفع.

وقد ظهر تصديق فراسة ذلك الرّجل الصّالح الأولى: بتمنّي النّاس أيّام الدّولة الكثيريّة الّتي تضعضعت ثمّ بادت بيافع، وما تصديق الفراسة الثّانية ببعيد.

وفي نجد المناهيل: وادي قتاب، وهو واسع جدّا، حتّى لقد قيل: إنّه أوسع من وادي حضرموت على العرف المصغّر مرّات.

وفيه أيضا: وادي قيصوم، وهو واسع أيضا، واقع في جهة الشّمال إلى الشّرق من وادي عيوه ـ بكسر العين المهملة وسكون الياء المثنّاة من تحت وفتح الواو ـ زنة عيوه الصّيعريّة.

ومن بعدها: رماه، على وزن قطاه.

والمناهيل فرقتان: آل بن معشني وعددهم نحو ثمان مئة رام، وآل كزيم وعددهم نحو سبع مئة، وكان على رئاستهم البخيت بن اللويطيّ، وهو ممّن أمضى على نسخة من الوثيقة الّتي أرسلت لعليّ سعيد باشا.

ومع توقيعه على تلك الوثيقة .. أمضى لي على ما هذا نصّه:

الحمد لله، وبتاريخ عشر جمادى الأولى سنة (١٣٣٥ هـ) فقد شلّ وتحمّل بخيت بن اللّويطيّ عن نفسه وعن كافّة المناهيل لله ولرسوله وللعلم الشّريف بكلّ منفعة يقدر عليها للحبيب عبد الرّحمن بن عبيد الله السّقّاف، وأن يوالي من والاه ويعادي من عاداه، ويسمع نصيحته وشفاعته، ويقوم معه ومع عياله من بعده بالحقّ والشّريعة وينصرهم على من تعدّى عليهم بدّا بوفا ما ذكر فترث عليه وعلى من بعده إلى أن يرث الأرض وراثها، والله شهيد بدّا بما ذكر البخيت بن اللّويطيّ.

وكتب بأمره وشهد به عبد الله بن عمر بن سلمة وقد قتل البخيت المذكور في حربه مع أمير قسم.

ورئيس جميع المناهيل الآن عيضه بن الحريز بن طناف.

وفي الأخير غزتهم قبائل الجهة الغربيّة فأخذوا عليهم كثيرا من الإبل، فجمعوا جموعهم من أنفسهم ومن المهرة والعوامر وغيرهم .. فانهزموا وكانوا كالضّبع ذهبت تطلب لها قرنا .. فعادت بلا أذنين.

وأكثر المناهيل والعوامر وآل كثير والصّيعر من سكّان هذه النّجود .. قبائل رحّل، يتتبّعون مواقع القطر، لا بيوت لهم إلّا الخيام غالبا، ولكنّهم يصدحون الأمطار عن أغنامهم ونعمهم وأنفسهم، وإلّا .. للاقوا منها أتعابا وأنكالا.

وذكر لي من طالع (الصّبح المنبي عن حيثيّة المتنبّي [٥٢ - ٥٤]: (أنّ فيه قصّة طويلة؛ فيها: أنّ المتنبّي خدع واحدا بما أراه من نتيجة الصّدحة، فآمن بنبوّته، وذلك شيء يسير تعمله العرب

بأصغر حيلة، وقد رأيت كثيرا منهم بالسّكون وحضرموت والسّكاسك يفعلون هذا، حتّى إن أحدهم ليصدح عن غنمه، وعن إبله، وعن القرية، فلا يصيبها شيء من المطر، وهو ضرب من السّحر)

والأقرب أنّه من آثار إجابة الدّعاء ومن أسرار الحروف، فلا يلزم أن يكون سحرا)لا سيّما وأنّ له حقيقة ظاهرة.

وبار

ومن وراء هذا الجبل الضّارب بجرانه من نحو العبر إلى مشارف سيحوت: صيهد حضرموت، أو وبار، أو رمل عالج، أو الدّهناء، أو البحر السّافي، أو الرّبع الخالي؛ فكلّ ذلك يقال عليها ـ كما أشرنا إلى بعضه في (الأصل) ـ ولا عبرة بما طرأ من تخصيص الدّهناء بما جاور نجدا من رمالها؛ قال ياقوت في (ص ٤٤٢) من الجزء الأخير: (وكانت منازل عبيل يثرب، ومساكن أميم برمل عالج ـ وهي أرض وبار ـ ومساكن جرهم بتهامة، ثمّ لحقوا بمكّة ...)، وأطال في ذلك بما تكفي الإحالة عليه.

وكان الحبيب أحمد بن حسن العطّاس يقول: (إنّها تصل ما بين البصرة ونجد وأرض العوامر والمناهيل وجبال حضرموت النّجديّة الشّرقيّة، وأقرب المنازل إليها من جهة الإحساء رملة يبرين)

وقوله: (النّجديّة)؛ يعني: الشّماليّة، ولعلّ يبرين هذه الّتي يعنيها الشّمردل في بيته السّابق في المقدّمة، وسبط ابن التّعاويذيّ بقوله: إن كان دينك في الصّبابة ديني فقف المطيّ برملتي يبرين

وهو من قصيدة شاعرة يمدح بها صلاح الدّين، ويعارض بها قصيدة صرذر المستهلّة بقوله: أكذا يجازى ودّ كلّ قرين

وفي الجزء الأوّل [ص ٢١٩] من (الإكليل): (أنّ معدا كانت بتهامة، فلمّا قاربت بلد حكم ابن سعد بن مذحج .. حاربتهم سعد العشيرة وأخرجتهم إلى الحجاز، وفي ذلك يقول عامر ابن الظّرب العدوانيّ:

فسعد أرحلت منها معدّا وكيف تصاقب الدّاء الدّفينا

وممّا ينسب إلى تبّع في ذلك قوله:

عطفت خيلي على عيلان إذ قفلت فأنزلتهم بدار الجوع يبرينا

أرحلتهم من بلاد الرّزق كلّهم فما يذوقون رمّانا ولا تينا

وبطون قيس تنجع في البلاد شرقا وغربا، وتوغّل في بلدان الأعاجم، وفيهم السّلطان، وما تحدّث نفوسها بمأرب أن تطرّفها إلى غيرها؛ فضلا عن النّزول بها) باختصار.

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع: أنّ اليمن ما زالت قاهرة لعدنان حتّى كان يوم حزاز وعلى عدنان وائل، فقهروا اليمن، ثمّ اتّصل ذلك بعد عدنان في الإسلام؛ فإن أراد الهمدانيّ ما قبل، وإلّا .. فكلامه مردود، وهو لم يكن إلّا في القرن الرّابع وحمير مقهورة لا قاهرة، ومرؤوسة لا رئيسة، وهذا جاء في البين لمناسبتين مارّتين .. فلنعد لما نحن فيه.

وقال البكريّ في (معجمه) [٤ / ١٣٦٦]: قال أبو عمرو: وبار بالدّهناء، بها إبل وحوشيّة، وبها نخل كثير، لا يرده أحد ولا

يجذّه، وزعم أنّ رجلا وقع إلى تلك الأرض .. فإذا تلك الإبل تأكل من التّمر، وترد ماء هناك، فركب منها فحلا فتبعته تلك الإبل على توحّشها، فذهب بها إلى أهله.

وقال الخليل: إنّها كانت مساكن عاد، ولمّا أهلكهم الله .. ورثها الجنّ، وهي الأرض الّتي ذكرها الله في قوله) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: كان من شأن دعيميص الرّمل: أنّه لم يكد يدخل أحد أرض وبار غيره، ولمّا انصرف عنها .. وقف بالموسم يقول:

فمن يعطني تسعا وتسعين نعجة هجانا وأدما أهدها لوبار

فلم يلتفت له أحد من أهل الموسم سوى رجل من مهرة أعطاه ما سأل وتحمّل معه في جماعة من قومه بأهليهم وأموالهم، فلمّا توسّطوا الرّمل .. طمست الجنّ بصر دعاميص، واعترته الصرفة، وهلك هو ومن معه جميعا) وهذا من الخرافات؛ فإنّ النّاس اليوم لها فيه جيئة وذهابا، وما بأحد بأس.

والنّحاة على اختلاف في إعراب وبار؛ فمنهم من يبنيها على الكسر؛ لأنّه المطّرد فيما كان آخره راء وزن فعال، ومنهم من يعربها إعراب الممنوع من الصّرف.

والطّرق مفتوحة للسّيّارات في هذه الرّملة من غير تعبيد إلى كلّ مكان، ومنه تعرف خطأ الفرزدق إذ ضرب المثل بخفاء طريقها في قوله

ولقد ضللت أباك يطلب دارما كضلال ملتمس طريق وبار

وقد يجاب بأن ليس المراد قلّة السّالكين، ولكن قلّما تثبت الآثار على الرّمال، وإلّا .. فهي مسلوكة من قديم الزّمان إلى الآن، وقد سلكها العلاء ابن الحضرميّ في قتال المرتدّين، وندّت إبلهم وهم نزول، وأصابهم من الكرب والعطش أمر عظيم، ثمّ ظهر لهم ماء فمشوا إليه، وعادت إبلهم وعليها أزوادهم، فامتطى كلّ بعيره، وكتب إلى أبي بكر ـ كما عند الطبري الذي يقول له: (أما بعد: فإنّ الله تبارك وتعالى فجّر لنا الدّهناء فيضا لا ترى غواربه، وأرانا آية وعبرة بعد همّ وكرب؛ لنحمد الله ونمجّده فلا يتعذّر سلوك السّيّارات بها من حضرموت إلى العبر، ولا من العبر إلى نجران، وقد سلكها المستشرق فليبي.

ولمّا اجتمعت بملك الحجاز ونجد في سنة (١٣٥٤ هـ) .. قال لي: إنّ الحكومة الإنكليزيّة أرسلت إليّ وفدا في رمضان من هذا العام يقول لي: لا بدّ من إصلاح حضرموت، وتمّ الكلام على إرسال وفد من عندي ومن عند الأخ يحيى ومن عندهم للاستفتاء؛ فإن اختاروا الأخ يحيى .. فبها، وإن اختاروني .. فعلي أن أذبّ عنهم بما أذبّ به عن أهلي وولدي، وإن اختاروا الإنكليز .. فشأنهم وأنفسهم.

هذا معنى ما قاله لي يومئذ؛ إن لم يكن بلفظه.

وكم كان سرور النّاس بذلك لمّا خابرتهم به مرجعي من الحجّ، ثمّ لم يكن إلّا أن جاء فليبي وكان يتقمّص الإسلام، ولا ينبغي إلّا أن نحمل باطنه على ظاهره، فكان الكلّ في الكلّ.

وسبق في المقدّمة ما يقرب من كلام الحبيب أحمد بن حسن العطّاس عن الطّيّب بامخرمة عن القاضي مسعود.

وقال الهمدانيّ: وفي شعر الأخنس بن شهاب التّغلبيّ الّذي يذكر فيه منازل العرب:

وصارت تميم بين قفّ ورملة لها من جبال منتأى ومذانب

وكلب لها خبت فرملة عالج إلى الحرّة الرّجلاء حيث تحارب

والرّجلاء هي الّتي ترجل صاحبها فلا يقدر على الرّكوب فيها.

وأمّا ما يزعمه كثير من النّاس من فرط نعومة رمل بعضها بحيث يغرق من يقع فيه .. فقد أشرت في (الأصل) إلى استحالته، غير أنّ الأخبار كثرت بالآخرة عنه.

ويزعم بعضهم أنّ في هذه الفلاة بحرا، ومع اتّساعها وكثرة أعاجيبها وغرائبها ... فإنّه لا يستبعد؛ لأنّ البدو والسّيّاح قد قتلوها علما، ولم يذكروه، ولكنّهم ذكروا أمّ الصّميم.

وذكرت في المقدّمة أنّ وبار اسم لحضرموت بأسرها، ولكنّ بعضهم يخصّه بهذه الفلاة الّتي قلّما تجلس مع أحد من بادية العوامر .. إلّا حدّثك بالأعاجيب عن أشجارها، وعن جنّها، وعن حيواناتها؛ ومنها النّعام، وبها يكثر بيضها، ومن المعلوم أنّها لا تبيض إلّا في خصب من الأرض، قال جابر بن حريش يصف أرضا بالخصب والرّخاء:

لا أرض أكثر منك بيض نعامة ومذانبا تندي وروضا أخضرا

وقال الجاحظ في كتاب (الحيوان): زعم ناس أنّ من الإبل وحشيّة وكذا الخيل، وقاسوا ذلك على الحمير والحمام والسّنانير وغيرها.

وزعموا أنّ مسكن الإبل الوحشيّة بوبار، قالوا: وربّما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض فيضرب في أدنى هجمة من الإبل الأهليّة، ومن هذا النّتاج كانت الإبل المهريّة.

وفي (لسان العرب) لابن منظور: (أنّ الحوش الحوشيّة: إبل الجنّ. وقيل: المتوحّشة. ويقال: إنّ فحلا منها ضرب في إبل لمهرة بن حيدان فنتجت النّجائب المهريّة من تلك الفحول الوحشيّة .. فهي لا يكاد يدركها التّعب). وفي (الأصل) ذكر جميل من الأشعار في وبار.

ومن أشهى ما يحدّثك الخبير عن وبار: حسن التّربة، وزكاء المنبت؛ فإنّ الزّرع يحصد منها خمس مرّات بالسّقية الواحدة، والعوامر يسمّون المكان الصّالح للعمارة منها: الحجر؛ لأنّهم يحتجرونه لمراعيهم؛ كما يسمّي الصّيعر المكان النّازل عن نجدهم فيما يليهم منها: عيوه.

وخيام الصّيعر والعوامر والمناهيل منتشرة بكثرة في هذه الرمال.

هذا ما تلقيته بشأنها عن كثير من العوامر، يصدّق بعضهم بعضا، إلّا أنّ عندهم نصيبا كاثرا من البلادة وسوء الفهم .. فالعهدة عليهم.

(رحلة إلى الربع الخالي) لجعفر السقاف

سنة 2010، نشرت وزارة الثقافة كتيبا للمؤرخ والموثق جعفر محمد السقاف، يقع في 99 صفحة من الحجم الصغير، ويحمل عنوان (رحلة إلى الربع الخالي). وقد ضمنه المؤلف مجموعة من المعلومات والوثائق التي كان قد جمعها عن الربع الخالي من مصادر مختلفة.

والكتيب مقسمٌ إلى سبعة وعشرين جزءا قصيرا، غير مرقمة. يتضمن الأول منها مقدمة قصيرة يتحدث المؤلف فيها عن أهمية الرحلة التي يمزجها مع الهجرة، وكتب أن "أعظم الرحلات والهجرات بعد هجرة النبي (ص) من مكة الى المدينة المنورة – في نظري- هي هجرة العلامة أحمد بن عيسى، جد العلويين الحضارم والذي أطلق عليه المهاجر، من البصرة بالعراق إلى وادي حضرموت باليمن السعيد عام 317 هـ" ص6

وفي الجزء الثاني (أسباب تدوين الكتاب- الرحلة)، يبرر المؤرخ جعفر السقاف سبب تأليفه للكتاب قائلا: "تلبية للنداء الذي وجهه المؤرخ الشيخ عبد الله بن محمد خميس في صحيفة الرياض عدد 10056، بتاريخ 1416/8/14 هـ، تحت عنوان (إلى مثقفينا الربع الخالي ليس خاليا)، مناشدا الكتاب تسليط الأضواء والتعريف بهذا الجزء من بلادنا ليعرف مواطنونا تاريخهم حيث

الأجانب عرفوه قبلنا بواسطة رحالتهم الذين ارتادوه وجابوه من شرقه إلى غربه... وبعد أن قرأت نداء علامتنا ابن خميس بصحيفة (الرياض) قررت الكتابة عن الربع الخالي، ولكن بعد زيارة ميدانية أقوم بها، وكما قال الشاعر: فما من رأى كمن سمعا. وفعلا قررت السفر لأداء مناسك الحج بطريق البر عبر الربع الخالي في شهر ذي القعدة عام 1418هـ. وحزمت أمتعتي في رحلة شاقة وبحرِّ صيف، فقضيت في صحاري الربع الخالي خمسة أيام بلياليها مع الذهاب ومثلها مع العودة، وتعرفت على المنطقة ميدانيا وتوفرت لدي المراجع عنها، بما فيه الكفاية، فاختمرت الفكرة في ذهني للكتابة عن الربع الخالي ورحلتي لأداء مناسك الحج عام 1418هـ". ص10

ويكرس الأستاذ جعفر السقاف الجزء الثالث للحديث عن الصحاري العربية بشكل عام. ثم يتحدث عن التسميات المختلفة للربع الخالي في بعض المصادر العربية والغربية. وفي هذا الجزء يركز جعفر السقاف على ما ذكره (علامة الجزيرة حمد الجاسر). الذي كتب "لعل تسمية الربع الخالي -وهي حديثة- جاءت من كتب الغربيين، ومن Empty Quarter)، والاسم القديم: صحراء صيهد، وهذه الصحراء واسعة ممتدة من عمان في الجنوب الشرقي إلى حضرموت في الجنوب العربي، إلى يبرين قرب حرض، وشرق الأفلاج قرب قطر، حيث صحراء بينونة التي كانت تسكنها أمم قديمة منها: عاد التي تسكن الأحقاف، ومنها إرم وتسكن وسط الربع الخالي". ص20

ويكرس المؤلف الجزء التالي لبعض ما ذكره المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد اللاه عن الربع الخالي في كتابه الشهير: (إدام القوت في بلدان حضرموت). وفي الحقيقة ابن عبيد اللاه لا يتحدث إلا عن (الرَّيَد ومفردها ريدة، والنجود ومفردها نجد وبالعامية: النّيد)، وبشكل خاص ريدة الصيعر وسكانها، ونجد آل كثير ونجد المناهيل. ونرى أن تلك الّريَد والنجود تقع في الحقيقة في المنطقة الشمالية من حضرموت بمحاذاة الربع الخالي.

ودون أن يضمن الكتيب أي خريطة للربع الخالي، يكرس المؤلف الجزء السادس من الكتاب للحديث عن الخرائط التي وضعها بعض الرحالة الغربيين للربع الخالي. ويذكر منهم: فون فريده وليو هيرش وليتل وفان در ميون وبرترام توماس وسانت جون فيلبي وهارولد انجرامس. وقد كرس المؤلف فصلا قصيرا جدا لـ(فيلبي والربع الخالي)، قال فيه: "لعل أفضل كتاب عن الربع الخالي هو الذي نشره جون فيلبي سنة 1933: (الربع الخالي)، المكون من 433 صفحة، والمزين بالصور والرسوم". ص71

وفي الجزئين السابع والثامن يقدم لنا المؤلف نبذة مختصرة عن المياه والطرق والقبائل في الربع الخالي معتمدا على ما كتبه الحامد والشاطري وانجرامس. ومن الواضح أنه لم يذكر منها إلا القبائل الحضرمية، إذ أنه لم يتناول إلا العوامر والمناهيل والصيعر.

ويكرس المؤلف فصلا قصيرا - يقع في ثلاث صفحات فقط- للحديث عن (الإعمار في الربع الخالي)، وركز فيه على ما قامت

به المملكة العربية في هذه الصحراء، مؤكدا أنها "السباقة لإعمار مناطق من الربع الخالي والاهتمام به". وكتب: "وكنتُ في الخمسينات مراسلا لإذاعة عدن وبعض الصحف من عدن والمكلا. ونشرت رسالة إخبارية في صحيفة (البعث، عدد 27 بتاريخ مايو 1955)، تحت عنوان: الجنة التي أنشأها السعوديون في الربع الخالي. وهذه الرسالة في ملاحق هذا الكتاب كاملة" ص60

وفي الفصل قبل الأخير (بين حجتين)، يقدم جعفر السقاف لنا معلومات مهمة عن أحد فصول تاريخ السلطنة الكثيرية الثانية، فقد بدأ هذا الفصل على النحو الآتي: "أسعدني الحظ أن تكون حجتي الأولى بطريق الجو سنة 1371هـ، حيث كنتُ مرافقا وسكرتيرا للأمير جعفر بن منصور الكثيري.، عندما حصل خلاف بينه وبين ابن عمه السلطان حسين بن علي الكثيري على ولاية العهد وتولي الحكم، فهو يرى أنه الأحق بها بعد أبيه السلطان جعفر، بينما يري أهل الحل والعقد والحكومة البريطانية الحامية أن حسينا هو الأوْلى، ورُجِّحت كفة حسين، فقرر أحمد أن يحج بيت الله الحرام، ويتناسى الموضوع، واختار أن أكون مرافقا له وسكرتيرا، وأرسلت الرسائل إلى المسؤولين بالمملكة العربية السعودية ليستقبلونا كضيوف على المملكة". ص77

والجزء الأخير من الكتاب (حجنا عام 1418هـ)، الذي يقع في أربع صفحات فقط، هو الذي كرسه المؤرخ والموثق جعفر السقاف لسرد سفره برا للحج سنة 1998: عبر طريق الخرخير. وقد بدأه بالحديث عن مرافقيه، قائلا: "غادرنا تريم عصر يوم

السبت 1418/11/29هـ، بسيارة لاندكروزر مكيفة، يقودها سعيد المنهالي. في الأمام زوجة السائق وزوجة الصاعي ممن تريم، وانا ابن عمي الدكتور محمد عبد الرحمن السقاف، وعبد الكريم ومحمد العامري ومحضار حسين العيدروس ومعنا سيارة أخرى تحمل مجموعة [من الحجاج] منهم جارنا صالح برك محمد بن عثمان موتي، وسلكنا الطريق المؤدية إلى قبر نبي الله هود، وفي مفترق الطريق بوادي فغمة اتجهنا شمالا حيث كانت الطريق صخرية وعرة، ثم وصلنا مقهى بمحل راس فغمة، وتعشينا وواصلنا السير شمالا حتى تعب السائق، فنمنا في صحرائها، وكان الجو باردا مع أننا في فصل الصيف، وبعد صلاة الفجر بالتيمم لفقد الماء، واصلنا السير إلى رماة، والطريق رملية، وبها مركز للحكومة، والعلم يرفرف، وهناك مطار لطائرات عمودية ومحلات تجارية وبانسيون للنزلاء من العوائل ومسجدان وورش سيارات وصيدلية، وسكانها مناهيل... ثم غادرناها عصرا بطريق كثبان الرمل المتتالية. وقد تزّب السائق من المرور بنا بطريق فيها مركز حدودي لليمن خوفا من المساءلة والضرائب والبقشيش... واتجهنا في صحاري وكثبان عالية ملتوية من 20 إلى 10 مترا، تمتد من الشرق إلى الغرب، مكونة واديا سحيقا منبسطا، أسفلها هو منطقة الربع الخالي الذي أصبح غير خالٍ، حيث حركة السيارات ورعاة الحيوانات. وكان اجتياز هذا السد من الكثبان صعبا جدا، حيث تصعد السيارة التل الأول شمالا بجنوب، ثم تتجه شرقا او غربا باتجاه السهل المستوي من الكثبان، ثم تصعد إلى أخر قمة الكثبان، والسيارة في ميلان متواصل وخطير، ويأتي النزول من قمم الكثبان بنفس الطريقة،

ويهبط السائق بتبصر إلى مستوى تل متوسط ثم يسير شرقا أو غربا باتجاه السهل المستوي، ثم يهبط منحدرا شمالا حتى يصل مستوى الوادي، فكنا ونحن نجتاز هذه الكثبان صاعدين منحدرين لفترة نصف ساعة تقريبا واضعين أيدينا على قلوبنا خائفين متضرعين إلى الله تعالى السلامة، ولأن السيارات لا تحمل بأعلاها أحمالا مضافة استطاعت المحافظة على توازنها، ولذا فأننا مع العودة، عندما كانت السارات محملة على سقفها فأن السائق لم يسلك هذه الطريق المختصرة، بل سلك الطريق الرسمية البعيدة عن الكثبان، وعبر المركز الحكومي، ولكنه تعرض للمساءلة، وهاك يا كلام مع مخفر الحدود". ص82-83

وعلى الرغم من قيام المؤرخ جعفر السقاف بسرد تلك اللحظات المؤثرة من سفره للحج عبر الكثبان الرملية التي تقع في الطريق بين الخرخير وشرورة، ففي اعتقادي أنه من الصعب تصنيف هذا الكتيب ضمن أدب الرحلة، لأن المؤلف كرس أكثر 95% من صفحاته القليلة للتوثيق المهم للربع الخالي من مصادر عربية وغربية. وتجدر الإشارة إلى أن الصفحات الأخيرة منه تحتوي على بعض الصور الفوتوغرافية وصورٍ لبعض الوثائق التي تحدث عنها المؤلف في النص.

نجود حضرموت

في كتاب (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها) لعلوي بن طاهر الحداد

النَّجْد الشمالي:

المراد به جانب الجبل الشمالي لوادي حضرموت. وخلفه صحاري جبلية فحزون، فرمال ملبدة فيها أشجار المراعي الإبل، وهو منقسم بين المناهيل، والعوامر، وآل كثير، ثم الصيعر. والابتداء من الشرق إلى الغرب:

نجد المناهيل

ونجد المناهيل: يحدهم من الغرب فيه آل وعيل، من العوامر. ومن منازل المناهل: وعشه، بفتح فسكون، وقبائلهم: آل كزيم، بفتح فكسر فسكون. وفخائذه: بيت بركات. بيت الحمادي بيت طناف، بفتح فتشديد. بيت القوينصية، بكسر ففتح فسكون فكسر النون والصاد فتشديد الياء. ثم بيت المعشني، بفتح فسكون، ثم بيت سبولة، بفتح فضم، وفخائذه، ومنهم بن مزبر، بضم ففتح فتشديد الباء المفتوحة. ونجدهم قليل الخير، ويرعون جمالهم بالرمل، ويردون على مورد للمهرة، وقد سبق ذكر هذا.

ومن الأودية التي تسيل من نجدهم من الشمال إلى الجنوب، فتصب في وادي حضرموت: وادي يبحر، بفتح فسكون ففتح،

ويصب بين سنا، وشعب النبي هود عليه الصلاة والسلام وغربيه وأنت مصعد وادي نعمة، بضم فسكون ففتح الميم. فوادي يَنْحُب، بفتح فسكون فضم. فوادي عنح، بفتح فسكون. فوادي عصم، بكسرتين. فوادي باخليت، بفتحتين فسكون الياء. فوادي عردة، بفتح فسكون. فوادي سخورة، بضم فسكون. ولعل هناك أودية أخرى لم يبلغنا علمها، وسيأتي عند وصف السدود ما يفيد في ذلك؛ وينتهي حد المناهيل في النجد تقريباً، عند خط الطول: ١٢ ـ ٤٩، أي: تسع وأربعين درجة، واثني عشر دقيقة، وخمسين ثانية. وسوقهم سيحوت. وطريقهم إليه: وادي المسيلة.

نجد العوامر

ثم غربي نجد المناهيل وشمالي وادي حضرموت: نجد العوامر، يحده من الغرب: نجد الكثيري، وهو نجد قليل الخير، مثل نجد الكثيري، ونجد المناهيل. وخير منها جميعاً: ريدة الصيعر ولهم أودية به غير عميقة، مثل: العيلة، بفتح فسكون، وهذبيل، بفتح فسكون فكسر فسكون بهما: آل وعيل، وجبل، بكسر الجيم، به آل عبد الباقي ووادي العري، بفتح فكسر، وإليه تفيض وديان النجد ثم يقضي إلى وادي الخون، بضم فسكون، ولهم: حصون السلاسل، بها آل كليلة، منهم. ووادي الذهب لآل براهم، من آل جعفر بن عمر.

العوامر:

يظهر أنهم جاءوا من رمل عمان، فإن هناك بادية يقال لهم العوامر، ولا يعلم سبب مجيئهم إلى حضرموت، فلعلهم كانوا قد وقع بينهم وبين قومهم حرب هناك، فنزعوا إلى الرمل، حتى وصلوا إلى نجد حضرموت الشمالي، فوجدوا ولاة القرى الحضرمية يتقاتلون، ورغب هؤلاء في الاستعانة بهم، فأخذوا يستأجرونهم عند حاجتهم، ثم التحموا مع آل كثير تحت لقب الشنافر.

وسيأتي زيادة بحث في الموضوع في محله. وهم:

(1) آل عبد العزيز بن عامر؛ منهم آل خميس، بالسحيل القبلي بتارية، وبحصن بن غرَيّب بكسر ففتح فتشديد الياء المكسورة. وآل وعيل (تصغير وعل)، بنجد العامري، بالعيلة، وهذبيل، ومنهم برمل ظفار عدد جم.

(٢) آل عمر بن عامر منهم قبائل الحطاطبة، آل حطاب، بالتشديد بتارية، ومنهم آل عبد الباقي، بتاربة بالسحيل المحسن، بضم فسكون الحاء، والوادي، وبالنجد، بوادي جيا. ومنهم: فخذ بالسيف، قريب من قصيعر والحامي، بأرض الحموم. ومنهم آل جعفر بن عمر بن عامر، ومنهم عدد قليل بتاربة، ومنهم عدد بوادي العرى بالنجد. ومنهم آل تبيع (تصغير تبع)، بمشطة ولهم بادية بالنجد. ومنهم قبيلة العوائزة، تحت تريس والغرفة. وآل براهم في وادي الذهب، بالنجد. والكل يسمون: آل جعفر بن عمر بن عامر.

(٣) آل بدر بن عامر منهم الكسابيب آل كسبوبة، بفتح فسكون فضم، بتاربة، وبالنجد. وآل كليلة، منهم عدد قليل بتاربة، ولهم عدد في النجد، بحصون السلاسل.

عود إلى الوصف:

ويسيل من جبال نجد العوامر إلى الجنوب: وادي الخون، وفي أعلاه نهر صغير، يسمى السويدف، بضم ففتح فسكون الياء فكسر الدال، وهو متروك غير معمور. وفي هذا الوادي تربة طيبة صالحة للزراعة، وقد منعت الفوضى والظلم أن يعمر، وهو يأتي من الغرب الشمالي، ثم ينحرف إلى الجنوب عند مصبه، ثم وادي تواره، بفتح التاء والواو، وهو واد صغير. ثم وادي الواسطة، ووادي حسين، فوادي القرية، فوادي حلوف، بفتح فضم، فوادي حبوظة، بفتح فضم، وكلها مشهورة، لها ذكر في التاريخ. وأمامها قرى مذكورة أيضاً، منها الخارب ومنها المعمور. وسيأتي ذكرها، ثم تأتي أودية كبيرة من النجد، تبتدئ من جبل الوطي، بضم الواو فكسر الطاء. وهي: وادي الغبر، فوادي عيديد فوادي الذهب، يسيل إلى يبي، بكسر فسكون، ثم وادي مدر، يفضي بين بور وصليلة.

نجد الكثيري:

ثم يأتي غربيه نجد الكثيري. من الشمال يحده الرمل. ومن الجنوب: وادي حضرموت الأكبر. ومن الشرق: نجد العوامر. ومن الغرب: ريدة الصيعر. وتسيل منه إلى الجنوب وادي جعيمة،

ووادي نعام، ووادي يبهوظ، به آل حريز المري، وفيه قرية يبهوظ، وهم ينطقون بها جيماً، على عادتهم في الإبدال، فيقولون: جبهوظ، كما يقولون في يفل: جفل، وفي يب: جب، حتى إنا وجدنا في التواريخ ما تقدم منها بالياء، وما تأخر بالجيم، عندما استولت لغتهم على ما بعد القطن إلى مسفلة الوادي.



ريدة الصيعر:

ثم تأتي: ريدة الصيعر. يحدها من الشرق: نجد الكثيري. ومن الغرب: الرمل، الذي يفصل بينها وبين بلاد دِهم بكسر ففتح، من يام. ومسافة هذا الرمل، من آخر جبال الريدة الشمالية، المقابلة للرمال الغربية عنها، التي يرودها ويرتع بها قبائل يام، إلى جبال يام: نحو مئة ميل شرعي. وذلك مقابل وادي سرحان، ووادي خب، ووادي سلبة، ووادي عتيمة، كلها بلاد يام، غربي آخر

جبال ريدة الصيعر، وبوادي سلبة، من بلاد يام؛ يتقاطع خط العرض: ١٧ درجة، بخط الطول: ٤٥ درجة. جنوبي ريدة الصيعر، حيث حصن العبر، والطريق التي تمر به، فالمسافة بينها وبين بلادهم أقل من ذلك.

أضواء على تاريخ صحراء (ثمود) وواقعها

تأليف الباحث نائف بن ناصر

إنَّ الحديثَ في هذا المجالِ عن صفحاتٍ من تاريخِ الصحراء الشرقية بحضرموت وإعطاء لمحات تاريخيةٍ شهدتها حقبةٍ زمنيةٍ عاشتها وتعيشها تلك الصحراء (ثمودُ) عبرَ التاريخِ ما بينَ آثارِ الماضي والحاضر وآفاقِ المستقبل، من خلال الذكريات والخواطر المكتوبة ما بين هذه السطور عبر مقتطفات من محطات بارزة من تاريخ صحراء (ثمود).

الرواية الأولى عن ثمود:

قوم من أقوام ثمود نجوا مع نبي الله صالح عليه السلام فنزحوا إلى صوب جنوب الجزيرة العربية، بشد رحالهم من وادي الحجر بين الحجاز والشام الممتد إلى العقبة بالأردن، وبذلك الترحال بعد مراحل الانتقال حطوا رحالهم بالصحراء الشرقية المتاخمة للربع الخالي، وبطبيعة الحال فإن اسم الصحراء كلمة عربية بمعنى (الأرض الجرداء) أو الصخور القاحلة، ونتيجة لتلك الأحوال الصحراوية قامت تلك الأقوام النازحة من الجزيرة العربية إلى جنوبها في الشرق البعيد بحفر بئر ماء، فسميت تلك البئر والصحراء بـ(ثمود) منسوبة إلى أولئك القوم من ثمود وهم المؤمنون من قوم نبي الله صالح عليه السلام. علمًا بأن قبر نبي

الله صالح عليه السلام قريب من مدينة القطن بوادي حضرموت، وله زيارة تقام مثل زيارة نبي الله هود عليه السلام بشعب هود بأسفل وادي بحضرموت الجاري في مجرى ذلك الوادي النهر المسمى (هود) الممتد منه إلى بلدة سناء، وفي مسيال ذلك الوادي الكبير تجري السيول إلى منتهاها لا سيما أن السيول الكبيرة تبلغ وادي المسيلة، ومنها تصب بعيص سيحوت في مصب بحر العرب.

الرواية الثانية:

بالنسبة للرواية الثانية فهي تُحكى على أساس أن قومًا كان يتزعمهم أحد أمراء مملكة قديمة حطوا رحالهم واستقر بهم المقام حينها إلى ذلك الحين في تلك الصحراء الشرقية من الربع الخالي، وللظروف الصحراوية حينذاك تم حفر بئر ماء، فسميت تلك البئر باسم أمير أولئك القوم الذي يُدعى (ثمود)، وبالمثل سميت هذه المنطقة الصحراوية من الرمال العربية بذلك الاسم آنف الذكر.

الرواية الثالثة:

وكذا بالمثل من أسباب التسمية بذلك الاسم (ثمود) خصوصية الصحراء، التي تتصف بشحة المياه؛ ولذلك سميت بذلك الاسم، لا سيما أن هذه التسمية مشتقة من كلمة (الثمد) التي تعني أن المياه في الصحراء بكميات قليلة فـ(الثمد) أي (الماء القليل)، وهذا الوصف العام لخصوصية الصحاري.

الرواية الرابعة:

الرواية الرابعة مفادها حسب ما جاء من أفواه كبار السن من ذوي المعرفة في هذا الشأن بأن البئر الحالية التي سميت (ثمود)، توجد غيرها بئر اسمها (ثميد) وحتى الآن غير معروف مكانها، إلا أن البعض منهم قال بأن بئر (ثميد) قريب موقعها من بئر ثمود الحالية، والماء الذي في باطنها ماء سطحي وليس من المياه الجوفية، بل إن مياه بئر (ثميد) يتناول باليد من قبل الوردة الواردين عليها من البدو في العقود الماضية، وليس بدلو الزانة الذي يطلع من خلاله الماء من قعر بئر (ثمود) بطريقة النزح بالأيدي إلى أحواض سقي الإبل والأغنام. وتعد هذه البئر من الآبار المفتوحة في العهد القديم.. علمًا بأنه من خلال كثرة استخدام النزح بأيدي الواردين على الماء ظلت معالم زانة الدلو بارزة حتى اليوم في ظفرة جدران البئر تلك الظفرة المكونة من الأحجار الصلبة.

الرواية الخامسة:

من أسباب عدم على العثور على بئر (ثميد) بالصحراء، هي تلك العوامل الطبيعية، ومنها زحف الرمال من فجاج الربع الخالي صوب صحراء ثمود، فصارت مطمورة بالرمال، وعلى مرور الزمن دفنت تلك البئر مثلما دفن تاريخ الصحراء بين ذرات الرمال.

وأما بالنسبة لما جاء في الراوية الخامسة الأخيرة، وربما تكون ليست الأخيرة، فيقول فيها الراوي إنَّ تلك البئر التاريخية التي انشق اسمها من (الثمد) أو (الثميد)، ونتيجة لاستمرارية البدو

الرحل منهم وارد وصادر على مورد تلك البئر، صار اسمها (ثمود) بتكرار لفظ تلك الكلمة عبر العصور.

جغرافية ثمود:

شهدت جغرافية ثمود أحوال التمدد تارة والانكماش تارة أخرى، وذلك حسب المراحل التاريخية التي شهدتها المنطقة وبخاصة ما يتعلق بالوضع الجغرافي والإداري، فكانت صحراء ثمود في عهد الدولة القعيطية الحضرمية تابعة لقائم مقام منطقة عينات، ومن ثم لقائم بلدة دمون باللواء الإداري شبام.

وفي مطلع عام 1968م في ظل النظام الاشتراكي صارت إداريًا تابعة لمركز السوم بوادي حضرموت، ولأهمية موقعها الاستراتيجي المتاخم لحدود أكثر من دولة من دول الجوار فقد حظيت بالعناية لأسباب سياسية وجغرافية من خلال ذلك القرار المركزي المتضمن انتقال الوضع الإداري لصحراء ثمود من منطقة تابعة لمركز إداري محلي إلى الارتباط المباشر بدار الرئاسة، ومن ثمَّ بوزارة الإدارة المحلية لشئون الحكم المحلي بعدن، وذلك في عام 1972م، وبالقرار الرئاسي صارت ثمود مديرية مستقلة غير مرتبطة بأي محافظة من محافظات الجمهورية، بل ذات ارتباط مركزي بعدن، وعلى هذا الأساس حددت مراكزها الإدارية ذات الطبيعة الجغرافية المكونة من الهضاب، والحزوم، والقفاف، والشعاب، والوديان، والجبال، والصحارى، والرمال الثابتة والمتحركة على النحو الآتي:

مركز ثمود 2- مركز حزر 3- مركز شيبوت، وتنفيذًا لذلك القرار المركزي تم ارتباط مديرية ثمود إداريًا وماليًا بعدن إسوة بمحافظات الجمهورية، فكانت حدودها الإدارية حينذاك من الشرق شيبوت، ومن الغرب خشم الجبل، ومن الشمال إلى الجنوب تعد الوديان التي يسيل سيلها إلى وادي حضرموت تابعة لمركز السوم من جهة الجنوب، وبالمثل الوديان التي تسيل سيولها إلى الرملة تعد تابعة لثمود من جهة الشمال، فكانت المساحة لتلك المديرية تقدر بـ(45000) كم مربع، وعدد السكان (60 ألف) نسمة، بموجب التعداد السكاني لعام 1973م، وكان المشرف على أعمال لجان التعداد السكاني لمديرية ثمود أحد موظفي الجهاز المركزي للإحصاء بعدن، وفي ذلك العهد كان مأمور ثمود منصر الكلفوت، وسكرتير المديرية ناصر المنهالي، ومساعد المأمور لمركز حزر عبدالقادر سليمان، ومساعد المأمور بمركز شيبوت عثمان بلفقيه.

مركز رماه:

بناء على هذه الأسس تم استحداث مركز رماه، وبنيت في ذلك المركز الإداري برماه مشاريع تنموية وخدمية، مثلما تم بناؤه بالمركز الإداري الأول ثمود، مع إضافة بناء مستشفى برماه مرتبط بوزارة الصحة بعدن، وإقامة مزرعة نموذجية برماه، وهذه هي المشاريع التي تم إنجازها في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.

الارتباط الإداري:

في مارس 1978م صارت مديرية ثمود من ضمن مديريات حضرموت، بناء على القرار الحكومي الذي تضمن بأن تكون ثمود مديرية إسوة بالمديريات ذات الارتباط الإداري بعاصمة المحافظة المكلا، وفيما بعد عام 1994م حتى تاريخه صارت ثمود مرتبطة إداريًا بديوان سيئون.

مركز شيبوت:

في مارس من عام 1978م تم انضمام مركز شيبوت لثمود، هذا المركز الإداري الذي يشمل تلك المناطق النائية، ومنها حات، وصون، ووادي شحن، وحبروت، ثم صدر القرار الرئاسي القاضي بتحويل ذلك المركز إلى محافظة المهرة، وصار من ضمن المراكز الإدارية بها، ومن ثمَّ مديرية من مديريات محافظة المهرة.

القرى والوديان:

وما ذكر آنفًا فيما يتعلق بالمراكز الإدارية بمديرية ثمود من خلال مراحل المد والجزر الجغرافي في حدودها، فإن المديرية تشمل عدة مناطق من القرى والوديان على مستوى مراكزها الإدارية، في إطار المساحة الجغرافية خلال مراحل سابقة على النحو الآتي:

مركز ثمود: ثمود، وسون، وغصون، والنخرية، وأسفل قناب، وعرشمات، وبالذياب، وبنوات، وحراض، ومحمدين، ومقديش،

وتعرنات، وحرضة، وسطول، وقناب، وحراض حرضة، واللحي، وقصيوم، ويتب، وحلية، والحليوة، وكرع، وكريع، والمضنيات، وبغلين، والعلابة، وشعرة، وجربان، ومنهويت، وططية، والقيعان، واللحي، ومقصر.

ومن مرتفعات مديرية ثمود (قارة حبشية)، التي تعد من أكبر جبال صحراء ثمود بارتفاع (1240) مترًا.

مركز رماه :رماه، وعيوه، وثوف، وذكير عيوه بئر عيوه، وادي عيوه، وضهون حائرة عيوه ليبنه، والدهوم، والخمقان، وباءوت، وحثوث، ووقوع عيوه، والصعق، والغني، والشيسع، والعليب، وضهيت، والبطون، والسيلة، وأسفل رماه، وتقراية، وعقور، وراس غبارية، وعروق الخراخير، وعشروت، والفرعة، والفرائع، والصيفات، وحمق، ومقرة، وبئر شحر، وربعوت، وصلاو، وغدنة، وضحية، وعربة، وسناو، وأعلى وادي رماه، وتنكلهم، وعبالهم، وعفردوت، وكرفان النطح، وبدحوت، وعيدم، ومعبور، ونحريت، ووادية ثوف، وقوع عربة، وخشم كوب، ومراخية.

مركز القف وحزر :الخيخاة، وقراد، ورسة، وطفح، وعرماه، وشرذوم، وأسفل حزر، وشقهم هذبيل، وظيلم آل الكثير، وقويع آل عبدات، وطروث، ومخية، وأسفل خضرة، ورتيبي، واعلا أذنه، وجباء، والدخان، والمباركة، وظليم العوامر، وخضرة، والماس، وكهيف، والسلاسل، وتبيوت، والصيق، وقطن، وتميس، وجراشب، وهواه، وحوارم، والعرج، وشهماه، وحزر، ورملة حزر.

المراكز والمديريات:

في منتصف عام 1990م صارت المراكز مديريات فأصبح كل من مركزي القف ورماه مديرية، وبالمثل مركز ثمود أصبح مديرية، وذلك من ضمن مديريات محافظة حضرموت، إسوة بالمراكز الإدارية في المحافظات الجنوبية، حيث أصبحت مديريات في ظل سلطة الوحدة اليمنية.. وهذا وذاك فيما مضى من تاريخ ثمود ما بين آثارها وذكرياتها.. وأما بالنسبة لأوضاعها الحالية فللأسف الشديد فإن مديرية ثمود تعيش أوضاعًا متردية في أهم المجالات لحياة الإنسان وبالذات المياه، والكهرباء، والاتصالات، والصحة، والتربية والتعليم، والبلدية، وغير ذلك من الخدمات الأساسية التي يحتاجها المواطن، وهذا كله لضعف الأداء الحكومي على كافة الصعد بالمديرية.

الحدود الإدارية:

حددت الحدود الإدارية لمديرية ثمود في إطار جغرافية التمدد والانكماش على مستوى الشريط الصحراوي الشرقي من خلال عدة قرارات منها تلك القرارات السابقة واللاحقة، التي نصت على انتقال الوضع الإداري لمنطقة ثمود من حضرموت إلى عدن، من ثمَّ العودة إلى حضرموت، وبانتقال المراكز الإدارية إلى مديريات أصبحت الحدود الإدارية لمديرية ثمود حاليًا من الشرق مديرية رماه، ومن الغرب مديرية القف، ومن الجنوب مديرية السوم، ومن الشمال الخرخير بالربع الخالي، في إطار مساحة جغرافية تقدر بنحو (15182) كم مربع.

برهوت وهود:



بئر برهوت

من ضمن مساق الترحال لبدو الصحراء تراهم متنقلين من هذا المكان أو ذاك إلى أماكن أخرى في إطار جغرافية مناطق البادية من الوديان والشعاب، ومنها بوداي حضرموت في الشرق البعيد، ومن ثمود إلى برهوت وهود.. فبرهوت وادي به مغارة وفيها (بئر برهوت)، وأساطيرها كثيرة؛ ولكثرة قصص وحكايات الأولين عن (بئر برهوت)، يقال عنها بأن أرواح الكفار في عمقها، وغيرها من روايات مفادها سماع أصوات مزعجة، وهي خليط من أصوات أناس وحيوانات يسمع نهيقها ونباحها صادرة من وحوش في ظلمات الليالي المظلمة، بل تُسمع كما يُقال أصوات غريبة ومخيفة يصعب تمييز نطقها .

بلدة تنعه:

بلدة تنعه القديمة هي حاضرة برهوت ولها تاريخ قديم، ومنها يتم توجه البدو الرحل إلى شعب نبي الله هود، مرورًا بحصون آل بن كوب وآل العبيدي تلك الحصون القديمة وموقعها القريب من ذلك الشعب الذي تقام فيه زيارة نبي الله هود عليه السلام في كل عام من أيام شهر شعبان شهر الزيارة (شهر قُصِيّر) حسب تسمية البدو، فتراهم ملتزمين بالحضور مثل غيرهم من الحاضرين في كل موسم من تلك المواسم بموكب في ذلك اليوم من أيام الزيارة.. وهمّ البدو التسوق في سوق الزيارة المشابه لسوق عكاظ القديمة لبيع مواشيهم من الإبل والأغنام وشراء أهم حاجاتهم من تلك المتاجر، بحضور أهالي القرى والبلدات والمدن الحضرمية وما جاورها من مناطق أخرى.

نهر هود:



وكذا بالمثل ترى زوّار زيارة هود يغتسلون في (نهر هود) لأخذ الطهور لأداء الصلوات في مصلى عمر ومساجد شعب هود، فترى البدو مفترشين مسيال شعب هود، أما بالنسبة للآخرين من مدينة العلم تريم فتراهم ساكني تلك الخدور أي البيوت المبنية بشعب هود مقيمين فيها في أثناء تلك الأيام المعدودة من أيام تلك الزيارة، فترى كل موقع من مواقع الزيارة مزدحمًا بالزوّار، قد جاءوا من كل حدب وصوب من المدن وأريافها ومن صحاريها ورمالها ومن ثمود، وكذا من بلدة سنا القديمة الواقعة شرقي شعب هود بمسافة ليست بعيدة من مكان الزيارة.

سد الخلفة:

بعد الانتهاء من موسم تلك الزيارة التي تستغرق مدة ثلاثة أيام من السابع من شهر هود (شعبان) ترى البدو عائدين إلى مواقعهم في البادية منهم من يتجه صوب منطقة سنا إلى وديان نطرة ونطيرة الأثرية، وحدرى سد الخلفة؛ ذلك السد القديم الذي تم بناؤه في زمن غابر لا يعرف تاريخه بالتحديد، وما تزال أحجاره باقية حتى اليوم، رغم مرور السيول الجارفة، علمًا بأن الموقع الجغرافي لذلك السد القديم بأسفل وادي حضرموت في الشرق البعيد.. ومن هنا يتنقل البدو إلى وديان عستون، وعسيتون، ونسيم، وريب، وفي أيام الغيث في الصحاري والرمال تراهم نجوعًا أي شادين الرحال للعودة إلى ثمود عبر وادي طباقم في اتجاه تلك النجود للاستقرار حينًا من الزمن، إلا أن ذلك الاستقرار لا يدوم بل تراهم يستأنفون الترحال من خلال شد الرحال وحط الرحال في هذا أو ذاك المكان سعيًا للحصول

على المراعي حيثما وجدت، ومهما كانت المراحل بعيدة والمسافات طويلة.



التعداد السكاني:

التعداد السكاني لمديرية ثمود بلغ (5126) نسمة، وفقًا لتعداد عام 2009م، إذ لم تصل أعمال ذلك التعداد إلى بعض تلك المناطق البعيدة، وكذا بسبب انتقال بدو صحراء ثمود من مكان إلى آخر في حالة جفافها.

البنية التحتية:

في عام 1973م حظيت ثمود بالاهتمام لموقعها الاستراتيجي فأقيمت بقريتي ثمود ورماه مشاريع البنية التحتية، وفقًا والخطة

الثلاثية، ومن ثمَّ الخطة الخمسية آنذاك في مجال الخدمات العامة، وعلى أساسها تم بناء المدارس الابتدائية والإعدادية لأبناء البدو الرحل، بأقسامها الداخلية المتوفر فيها الإيواء من السكن والتغذية المدرسية وغيرها من الملتزمات للاستقرار التعليمي، بإشراف من قبل الدائرة التعليمية بوزارة الدفاع، مع بناء المراكز الإدارية، والوحدات الصحية، ومراكز تنمية المجتمع، ومن أهم أقسام تلك المراكز الاجتماعية روضة الأطفال، والمشغل النسوي، والطب الوقائي، مع بناء الوحدات البيطرية، ومحطات الكهرباء، ومكتب مياه الشرب بثمود بأقسامه الفنية من مكائن الخراطة، والميكانيك، واللحام، والورشة المتنقلة؛ لصيانة وتشغيل آبار المياه التي حفرت في المناطق المحرومة بحفارات (مشروع تطوير صحراء ثمود)، ذلك المشروع التابع للمنظمة الدولية للأمم المتحدة، بإشراف من قِبل وزارة شئون الإدارة المحلية بعدن، كما تم بناء المستوصفات الطبية، والمساكن الشعبية، ودار الضيافة لاستقبال الوفود الحكومية، التي كانت تزور المديرية، مع تدريب شباب البدو الرحل في المعاهد الفنية بمحطة التأجير (مشروع البمبات الحضرمية) سابقًا بسيئون، والورشة الحكومية بالمكلا، وبورشة لودر بأبين، والمعهد المهني بعدن، والمعهد المهني بالمكلا، وبالتخرج من تلك المدارس التقنية تم توظيف خريجي تلك المعاهد المهنية والفنية لشغل وظائف مهنية بمكتب مياه الشرب بالمديرية (ثمود).

الطاقة الشمسية:

كما توفرت من قبل مشروع الأمم المتحدة في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي الطاقة الشمسية، وتم وضع تلك الطاقة على (بئر ثمود) كتجربة أولية على تلك الآبار المفتوحة، إلا أنه لم يتم التركيب على تلك الآبار، ومنها حلية، والحليوة، وتميس، ورماه، على الرغم من نجاح التجربة، ولكن وبمرور الأيام توقف تشغيل الطاقة على تلك البئر التاريخية، إلا أنه في الآونة الأخيرة تم تركيب الطاقة الشمسية على البعض من آبار هذه المناطق النائية من قبل رجل الأعمال الشيخ خالد بن البخيت بن طناف المنهالي.

وفد الأمم المتحدة:

رجوعًا إلى السبعينيات من عهد منطقة رماه التابعة لمديرية ثمود حينذاك، وذلك بالتحديد في عام 1974م، أتى وفد الأمم المتحدة بمشروع تطوير المناطق الصحراوية بما فيها ثمود والمناطق الواقعة حواليها، ومنها وادي رماه حيث أوصى الوفد الأممي بأهمية ذلك الوادي الكبير (رماه)، الممتد من الصحراء إلى الرمال، ومن تلك الأسباب الموضعية التربة الصالحة للزراعة، بهدف استيطان البدو الرحل تعزيزًا للحفاظ على الثروة الحيوانية التي تتميز بها ثمود وأهمها الإبل الأصائل المحليات صاحبة الناموس.

مصادر المياه:

الآبار المفتوحة القديمة التي حفرت باليد، والتي تعد من المصادر المائية لحياة الإنسان والحيوان، هي المصدر الرئيس من مصادر المياه بالصحراء ومن تلك الآبار (بئر ثمود) التاريخية، و(بئر حلية)، و(بئر الحليوة)، و(أحساء الواسطة) بوادي قصيوم، و(الشبائك) بوادي مقصر، و(حسي باسمرة) بوادي حرضة، وكذلك (بئر زقريت) بسناو بالشرق.. وبالمثل في الغرب (بئر تميس)، وفي اتجاه الشمال الرملي (بئر الخرخير)، و(بئر أرامكو) في الربع الخالي؛ تلك البئر الفوارة التي حفرتها شركة أرامكو السعودية، وكذا الحال آبار مفتوحة منذ عهود قديمة في الصحراء الغربية منها آبار العبر، وعساكر، وزمخ، ومنوخ.

الكرفان (البحيرات):

أما بالنسبة للكرفان فقد تم حفرها من قِبل البدو، وهي كرفان النطح، وكريف الزي، وكريف البرقة بوادي رماه شرقي ثمود، وغيرها من الكرفان ومنها بعيوة المناهيل كريف ذراش، وكريف الركاب، وكريف عويض، كما توجد كرفان في محيط ثمود بوادي مقديش، وتعرنات، واللحي، ومنهويت، وفي سطول، والقياعين، وقناب وغيرها كثير هنا وهناك، ومنها بوادي خضرة كريف سحارهم. وهذه الكرفان تحفظ مياه الأمطار، وفي ظل تلك الحياة الفطرية ترى الكرفان بحيرات في أثناء هطول المطر.

البطيخ الأحمر:

أما بالنسبة للمزارع والجروب الزراعية ذات الحيازة الشخصية، التي تعد مصالح شخصية، فقد نجحت تجربة زراعة الحبحب (البطيخ الأحمر) في جروب وادي عيوة المناهيل، وهذه الزراعة التي مسقاها قطر المطر كان منتوجها الزراعي من الحبحب بكميات تجارية، وهو يغطي الطلب المحلي على مستوى الإقليم، وبذلك الارتباط بأرض الزراعة صارت هذه العوامل عاملًا مساعدًا على الاستقرار الاجتماعي بدلًا من الترحال من خلال الانتقال من مكان إلى مكان آخر إذ ساعد هذا على إيجاد أوضاع شبه مستقرة في اتجاه الاستقرار في تجمعات سكانية.

قاطنو الصحراء:

منطقة ثمود تتكون اجتماعيًا من مجتمع قبلي من قاطني الصحراء الشرقية الممتدة من شحن شرقًا إلى وادي حزر غربًا، تلك القبائل الصحراوية التي تعد قبائل رحل من سكان الشريط الصحراوي المتاخم لحدود الربع الخالي ومن سكان هذه المناطق الصحراوية (العوامر، والصيعر، والمناهيل، والمهرة، والرواشد) وهذه القبائل تعيش حياة الترحال في إطار تركيبة اجتماعية ذات خصائص قبلية خاصة بمجتمع ثمود القبلي، كما يتميز المجتمع الثمودي بعادات وتقاليد تحكمها الأعراف القبيلة، وتتصف هذه القبائل بصفات كصفة الاستقامة، والشجاعة، والكرم، والإخلاص لأرض الوطن، والذكاء الفطري، والصبر وغيرها من الصفات الحميدة.

عوامل الاستقرار:

على هذا الأساس تم استقرار البعض من البدو في محيط البير، وبالقرب من المركز العسكري بثمود، فنصبت خيامهم التي صارت قبالة المركز والبئر، وذلك من جهة الجنوب، ومن الشمال قبر الغيبر، ومن الغرب غار خدرنة، ومن الشرق وادي النخرية. وفي ذلك الوقت بنى الطماطم بن حربي المنهالي بيتًا له، واستقر مع أسرته، ومن عوامل الاستقرار استقرار الأوضاع الأمنية، فقد ساعدت مجمل هذه الأحوال إلى حد كبير في الاستقرار الاجتماعي للبدو الرحل من خلال ذلك التجمع السكاني، الذي من خلاله أسست قرية ثمود.

الدكان التعاوني:

عام 1968م تم افتتاح أول مدرسة ابتدائية بثمود، وفي عام 1970م افتتحت أول وحدة صحية، وكان أول من عمل بتلك الوحدة الصحية بثمود المساعد الصحي عمر بن أحمد السقاف، ومن ثمَّ المساعد الطبي حسن بن عمر الحامد. وفي عام 1972م أسس العمل التعاوني بافتتاح أول دكان تعاوني بقرية ثمود، فكان المسئول عن ذلك المحل التعاوني ناصر محمد المنهالي، الذي تولى مهمة جلب المواد الغذائية من شركة التجارة الداخلية بسيئون إلى صحراء ثمود، فصارت تلك المواد الأساسية في حياة الإنسان في متناول البدو الرحل من قاطني الصحراء الشرقية بأسعار مناسبة، والجدير بالذكر بأنه قبل تلك الأعوام الماضية، كانت هذه الواجبات وتلك المهمات من غذاء ودواء وتعليم تقدم للمواطن من قبل قوات (الجيش البدوي الحضرمي) من خلال

وجود وحداته العسكرية بصحاري ورمال ثمود والعبر وعساكر وغيرها، وبذلك الوجود العسكري تم تأمين الخائف من الغزوات القبلية، إن كان في الصحراء الشرقية، أو كذا الحال في الصحراء الغربية على امتداد الشريط الحدودي.

الآثار التاريخية:

من الآثار التاريخية بمنطقة ثمود بئرها الواقعة في وسط شريط صحراء الربع الخالي، وفي غربها (بير تميس) القديمة، مع وجود كتابات، منها رسومات بكهوف وادي قناب، وكذلك في المصنعة بعيوة المناهيل، كما توجد آثار من عصور غابرة في كهوف الغيران في وديان الشريط الصحراوي، وقد اطلع عليها المستشرقون المستكشفون من أوربا، وأكثرهم من بريطانيا، منهم ضباط عسكر من الإنجليز، وخبراء مكافحة الجراد، ورحالة آخرون. ونذكر على سبيل المثال وليس الحصر بأنه نقلت من وادي رماه ومن وادي نطرة ونطيرة بمنطقة سناء أحجار عليها كتابة قديمة من الخرطوشات، وعندما تم فك شفرة تلك الحروف من قِبل خبراء الآثار، أفادوا بأن تلك الأماكن التي وجدت فيها تلك الأحجار القديمة مواقعها في مرتفعات الوديان، وبهذا تعد تلك المناطق محطات تاريخية تحدد مواقع الوقوف إن كان في المساء، أو في وضح النهار، لقوافل عديدة محملة على ظهور الإبل كميات كثيرة من البخور، واللبان، والصبر، من وإلى حضرموت، عبر رمال الربع الخالي، وغيرها من الأوصاف ذات الطابع الأثري، والكثير من تلك الآثار اندثر لعدم الاهتمام والعناية بها، ومن أسباب ذلك تدني الوعي في هذا الشأن المهم. ومن

التاريخ الحديث علامات بارزة وضعت في أعلى كهف غار الخدرنة الواقع غربي (بئر ثمود)، وتلك العلامة على شكل مثلث، مصنوع من ركائز من الحديد، تدل على موقع المشروع السوفيتي للتنقيب عن النفط بصحراء ثمود، الذي بدأ أعماله في السبعينيات حتى التسعينيات من القرن العشرين، ومن ثَمَّ رحلت تلك الشركة الروسية أسوة بمثيلاتها من الشركات النفطية السابقة واللاحقة.

العادات والتقاليد:

إن العادات والتقاليد لقبائل الصحراء من شرقها إلى غربها متعددة ومختلفة بخصوصياتها ولهجتها إلا أن تلك العادات بطبيعة الحال متقاربة في حد ذاتها فلا يوجد هناك تباين كبير في هذه أو تلك العادة من العادات البدوية لطبيعة خصائص الصحراء.. فالكل يروي رواياته بذاكرته بحسن النية دون مبالغة في سرد الكلام.. وهنا سندلي بدلونا في هذا الشأن بغية التوثيق لبعض من هذه العادات البدوية ومنها:

– الزوامل من قِبل الرجال متكتفين سلاحهم الشخصي مع التاعشير بإطلاق الأعرية النارية من فهوات بنادقهم. – الشرح المريكوز والشحيب رجالًا ونساء.

–المريزة من قِبل الرجال على ضوء موقد النار بحطب أشجار السمر.

–لعبة الدارة اللمس والقبض والقفز بالأحجار للدفع إلى الأمام.

-سباق الهجن (الملز) ومزاينات الإبل الأصائل في مضاميرها.

-مباريات الشباب في مجال الرماية بالذخيرة الحية للتمرس على تسديد الهدف وإصابته من أول طلقة رصاص. فهذا بعض ذلك الموروث الشعبي لدى القبائل الحضرمية.

وهناك عادات -توحي بها بعض المناسبات- عفى عليها الزمن وبعض منها ما زال قائمًا، وهنا نروي ما جادت به الذاكرة البدوية وليس حصرًا.

1- الزواج:

فمن تلك المناسبات البدوية الختان والزواج ومنها من خلال مراسيم أعراس الزواج المرحلة الأولى الربوط التي تتم في بداية لحظات العرس بطريقة ربط العروس وهي في حالة القيام بمهمتها اليومية في مرعى البوش في ذلك اليوم المحدد للربوط، فتتم متابعتها من قبل والدها أو خالها في مجرى ذلك الوادي فتتسارع خطوات المسير للحاق بها من خلال الهرولة إلى الأمام بالجري في تعرجات المسار، وعند الاقتراب منها يرمي أبوها أو خالها على رأسها شال أو صبيغة سوداء أو سباعية ذات ألوان متعددة لتغطية رأسها، وفي تلك اللحظة يتم حضور النساء من أقارب العروس وتبدأ مراحل الزف بالعروس من مكان الربوط إلى مكان العرس، وبهذه المناسبة يتم إطلاق النار بالتعاشير (1) في الجو الطلق ويكون الرمي فوق الرأس من قبل المعرس والأهالي على رأس العروس، ومن ثم يتم التوجه من خلال الزف بالعروس إلى مكان الربوط وتستمر التعاشير بالرصاص الحي،

وتبدأ الزوامل بقدوم صفوف الملاقين في زوامل رجالية مرحبين بهم أهل الزواج فتراهم في صفوف متقابلين في خطوط مستقيمة كل زامل قبالة الزامل الآخر منشدين بأصوات مرتفعة بأبيات من الشعر البدوي.

وفي صباح اليوم الثاني من أيام الزواج تتم الصفة بوقوف الزوجة وهي في أكمل زينتها أمام ذلك الخدر بموقع الزواج، علمًا بأن هناك اختلافًا في موعد ربوط العروس بالنسبة لهذه أو تلك القبيلة فمنه ما يتم في الصباح الباكر، ومنه ما يتم في وقت الظهيرة من ذلك اليوم المحدد للربوط، فبطبيعة الحال توجد اختلافات بسيطة في هذه أو تلك العادة إلا أن مضمونها واحد فليس هناك تباينات كبيرة بل هي متقاربة.

2- عادات العلاج:

–هو با حمه: الرعباه.. فمن أنواع أصناف العلاج البدوي للمريض ما تسمى (الرعباه) المتمثلة في مجموعة من البدو تراهم يجلسون متركبين على ركبهم في إطار دائرة على المريض متنحنحين بكلمات غير واضحة بصوت مرتفع بقولهم هو با حمه هو با حمه.. وغيرها من كلمات أخرى مشابهة لتلك النغمة، فتسمعها تارة في صوت منخفض، وتارة أخرى بصوت عال مع حركة أيديهم بطريقة سريعة، وغيرها من حركات. ومنها شفط الدم عبر الفم لإخراج مادة السم من موقع القبصة (اللدغة)، وذلك في حالة لدغة الثعبان السام.

-اللطم في غفلة:

حالة أخرى في العلاج البدوي اللطم في غفلة للمريض من قبل شخص ذا خبرة في ذلك العلاج، أو إطلاق النار فوق رأس المريض وهو في وضع دون انتباه، وبعد هذه وتلك العملية يوضع المريض في مكان مصان تمنع عليه الزيارة لمدة أربعين يومًا.

-ميل المكحلة:

من ضمن العلاج البدوي كحل العين بميل المكحلة بمادتي الكحل الممزوج بالصبر المسحوق مع بعضه في حالة الإصابة بالرمد وغيرها من أمراض العيون، ويتم الكحل بميل المكحلة.

- الكي بالنار:

مثلما يقولون آخر العلاج الكي بالنار في موقع البخس (الوجع) حيثما كان، وتتم عمليات الكي بالنار من قبل أشخاص ذوي خبرة أي من الذين لديهم معرفة في ذلك العلاج البدوي من خلال وضع العلامة المحددة في بداية المرحلة، تليها مباشرة عملية الكي بالنار بموجب تلك العلامات، فيوضع المكوي (الطبيب المعالج) مكواه الحار على كل علامة تم تحديدها في جسم المريض بحركة سريعة.

-علاجات أخرى:

فمثلًا عملية تشخيص المرض يتم عبر الذرع بالحبل من قبل ذلك الخبير، وذلك من خلال الذرع باليد مرارًا وتكرارًا بالحبل من قبل

المعالج (المداوي بالذراع) بدوره يقرر العلاج من الأعشاب ومنها أوراق شجر الحرمل التي توضع تحت جسم المريض، وأيضًا غسل الجسم بثمار شجرة الحتيكة مع وريقات شجرة الغصة المسحوقة، وكذا حناء الرأس ودق أغصان شجرة الخضيرة ووضعها في (منغا) رأس الطفل الرضيع في حالة سرعة نبضات (منغا) النخاع، مع ترقيب رقبة الطفل أي التدليك من قبل امرأة ذات خبرة في ذلك العلاج، وفي حالة التهاب اللوزتين يتم فشط اللوزتين بدخول إصبع السبابة في فم المريض من قِبل ذلك المداوي المتعارف عليه عند البدو، فترى مرضاهم متقاطرين إلى أولئك العرّاف في ذلك الزمان.. والله عز وجل هو الشافي لا شافي إلا هو.

3- عادات المرأة:

-عنوة المرأة:

عنوة المرأة من الرجل من خلال قيام الرجل بلمس أو مسك أطراف جسم المرأة بيده، فتقول له مباشرة: استعنيت منك ببكرة وقعود وما قاله بويه، وهذه العادة البدوية من ضمن حقوق المرأة في المجتمع الذكوري.

-المرأة الشنوف:

وكذا الحال المرأة الشنوف أي الزوجة الخارجة عن طاعة زوجها فتضل عاصية مطالبة بالطلاق من زوجها الذي يرفض طلاقها وبمرور الأيام إن كان عن طريق الصدفة أو بطريقة المراقبة من خلال هذه أو تلك المتابعة ومن نتائجها عند مشاهدة

الزوج شخصًا ما يتحدث مع زوجته الشنوف في مجال الغزل فيقول الزوج لذلك الغريم الزمك بالمردوف أي دفع مبلغ المهر بالذبل، وبرجوع الأطراف المعنية بالقضية إلى مقدم القبيلة يتم الفصل في هذه أو تلك القضية بموجب العادات المعتادة عند هذه القبيلة.

4- الختان:

وأما بالنسبة لمناسبة الختان للرجال التي تتم في وقت غير مبكر من العمر بل ما بعد سن الطفولة عند بلوغ سن الفتوة وبتلك المناسبة تقال الأبيات الشعرية من فوق منصة الختان من قبل الفتى المختون من خلال تلك العملية القديمة التي تتم بدون تفتير (أي دون تخدير موضوعي)، فتراه صابرًا على الأوجاع منشدًا بصوت مرتفع بالقصائد مضمون نصها الإشادة والثناء بالفخيذة والقبيلة وبالأخص الوالدين والأخوال والإخوان.

الأحكام العرفية:

تصدر الأحكام العرفية من قبل مقدم القبيلة بموجب العرف القبلي الذي تحكمه السوارح والسوالف والعادات والتقاليد عند هذه أو تلك القبيلة من أعراف القبائل وسوف ذكر بعضها فمنها:

السلم والحرب والصلح والبراء والثأر والأسر والأخذ بالوجه واللوم والشؤم والوتر وغيرها، ومنها العدائل وهي عبارة عن بندقية سلاح حسب التحديد من قبل مقدم القبيلة بحجم القضية

الماثلة أمامه، ومن ثمَّ تبدأ الدعوى من قبل المدعي والجواب على الدعوة من قبل المدعى عليه، ومن ثمَّ يتحدث المقدم بمضمون نص القضية وحيثياتها نتيجة لما طرح عليه في مساق القضية من دعوى وجوابها وغيرها من إضافات مضافة كفرصة نهائية من قبل هذا أو ذاك الطرف، وفي نهاية المطاف ينطق مقدم القبيلة بالحكم بموجب الأحكام العرفية المتعارف عليها في حسم القضايا البدوية، ومن تلك القضايا قضية (عنوة المرأة) كما مرَّ معنا وغيرها من القضايا الاجتماعية ذات الطابع القبلي، وبهذا العرف القبلي يتم حل القضايا من جذورها بتنفيذ الحكم العرفي في الحال منعًا للتسويف الذي يفضي إلى تفاقم هذه القضية أو تلك، وكذا تحاشيًا من حدوث ردات فعل في ظل مجتمع متسلح، ولذلك تبقى العدائل والعرابين بيد المقدم حتى يتم تنفيذ الحكم بكل فصوله لا سيما أن الرضا سيد الأحكام من خلال وضع العرابين في قعيدة المقدم من أجل تنفيذ الحكم بدون تردد أو تراجع أي بدون استئناف، علمًا بأن مقادمة القبائل مراتب بدءًا بمقدم الفخيذة، ومقدم القبيلة، ومقدم الطائلة والنقد بن عطوفة السماحي، وبالنسبة لمورد عاب وطاب هما المقدم بن يماني ببلدة قسم، والحكم بن عجاج من قبائل نهد ببلدة قعوضة بوادي حضرموت، والمقدم بن يماني مورد عاب وطاب لقاطني المنطقة الحدرية (الشرقية)، والمقدم ابن عجاج مورد عاب وطاب لقاطني أعلى الوادي وحواليها.

ـدسمال بونه:

في هذه الحالة وغيرها من الحالات المشابهة لمثل هذه وتلك القضايا تتقدم الدعاوى للمقدم (شيخ القبيلة) إن كان في موسم زيارة هود في ذلك التجمع البدوي أو في حالة وجود المقدم إن كان في حلته (مقر إقامته المتنقلة)، ومنها باطنة الوادي وفي شزرها ونجدها وبحضور الأطراف بعد سماع الدعاوى وطرح العرابين لتنفيذ الأحكام يتم الفصل في هذه أو تلك القضية، ومن المعتاد حسب السوارح المعمول بها قبليًا يحدد للمقدم معتب من ضمن شروط الزواج على الزوج، والمعتب عبارة عن عمامة حمراء عراقية أو دسمال بونه (شال صناعة هندية) ليوضع على رأس مقدم القبيلة فتراه في مظهره مميزًا عن بقية الحاضرين من بدوي وحضري.

الثأرات القبلية:

بعد تلك المراحل التي سادتها تلك الصراعات من الغزوات بأسلوب الأخذ بالقوة لفيد الإبل ومن جرائها تلك المواجهات المسلحة التي من خلالها تفاقمت قضايا الثأرات ما بين القبائل التي من عادتها حمل السلاح الشخصي للدفاع عن النسل والأرض، فظلت الأوضاع عقودًا من الزمن في التاريخ القديم والوسيط مستمرة في أحوال غير مستقرة اجتماعيًا وأمنيًا، في تلك العصور الماضية منذ عهد القبيلة التي عاشت مراحل الاقتتال.

السلاح التقليدي:

أبناء البادية من تقاليدهم أبًا عن جد حمل السلاح الناري في كل الأوقات على الدوام، وبطبيعة الحال في أثناء الأوضاع غير الآمنة، وكذا الحال في الأفراح وفي المناسبات وغيرها، وكذلك هواة الصيد البري إذ إنهم تعودوا على مثل تلك الأوضاع بمختلف أحوالها الطبيعية فتراهم دومًا على أهبة الاستعداد غير مفارقين للسلاح التقليدي حتى في المنام تراه متكئًا على سلاحه إن كان بجانبه أو تحت رأسه.

أنواع تلك الأسلحة:

من الأسلحة النارية التي عرفتها القبائل البنادق القديمة ومنها بندقية (بوفتيلة) ذلك السلاح ذو القصبة الطويلة وهو صناعة تركية، تم ظهوره في حضرموت قبل مائة عام تقريبًا، وكذا (الهرتي) و(الهطفة الفرنسية)، وفيما بعد ظهرت (الشرفأ) و(الكندات) وهي صناعة بريطانية، ومن ثم (العليمانات) و(الميازر الطويلة) ألمانية الصنع وغير ذلك من الأسلحة القديمة، وقبل ظهور هذه البنادق كان السلاح الأبيض ومنه الرماح، والسهام، والسيوف، وتلك الجنابي التي رافقت السلاح الناري، وبعد ذلك السلاح القديم تسلحوا بالسلاح الحديث (الرشاش الآلي الأتوماتيك)، الذي يطلق طلقات صاليات متواصلات، ومنها بندقية (كلاشنكوف) التي سادت العالم من خلال التسلح به من قِبل الأفراد سواء كانوا عسكريين أو مدنيين.

علوم الإبل:

علوم الإبل كثيرة ومتعددة بكثرة فوائدها للإنسان، الذي ورث ذلك الموروث عن الآباء والأجداد منذ التاريخ القديم، فتحمل المسئولية الأبناء والأحفاد من خلال الاهتمام بتربية الإبل، وهم أصحاب الحلال من ملاك الإبل جيلًا بعد جيل.

ومن هذه وتلك العلوم (الوسم) المتعارف عليه عند كل قبيلة من قبائل الصحراء الشرقية والغربية، ومن المعلوم ذكره بأن وسم الإبل على مستوى القبيلة وسم محدد، مضافًا إليه وسم الفخذ، بموجب الانتماء القبلي لهذه الفخيذة أو تلك من الفخائذ والعشائر من كل قبيلة من القبائل التي جذورها من الأصول الحضرمية.

رضاعة الناقة:

توسم الإبل بمرور عام من الولادة أي بعد رضاعة الناقة لابنها الصغير (الحاشي) رضاعة عام كامل.. ولعوامل المرعى والمسقى يظل البعض منها وبالذات الإبل التائهة في الصحاري والرمال بغية وصولها إلى أماكن المراعي في المناطق البعيدة؛ ولهذا السبب أو ذاك تبقى هناك إبل غفر أي بدون وسم، وعندما يعثر عليها مالكها بعد العناء من البحث عنها يسوقها إلى مورد الماء ويوسمها بوسمها المعين من خلال الكي بالنار بسكين أو سنارة حديد، بتعاون الحضور من الوردة الواردين على ذلك المورد المائي، وبهذا الوسم تكون الإبل معروفة عند القاصي والداني، وهذا كله من أجل الحفاظ على تكاثر هذه الثروة الحيوانية كمصدر رئيس للرزق الحلال. وكذا الحال الغريزة الفطرية للبدوي لهذه المهنة من خلال الرفق بالحيوان، وهذه المظاهر البدوية ما

هي إلا أصالة وانتماء لحياة بدوية عاشها البدو الرحل منذ عهودهم القديمة جيلًا بعد جيل حفاظًا على ذلك الموروث التاريخي -الصادر من الآباء والأجداد عبر العصور- من تاريخ الإبل بمختلف أنواعها ومنها المطايا الذلول (سفينة الصحراء).

وسم الإبل:

كان في عهد سابق الوسم في الوجه، ومن ثمَّ حدده البعض ما بين الأذن والرقبة من جهة الحالب أي اليسار، على الرغم من أن البعض ما يزال يسم إبله في الوجه.. وهنا سنورد تفاصيل ذلك الوسم؛ الذي يعد وسمًا متميزًا لكل القبيلة والفخيذة من الفخائذ المنتمية لهذه أو تلك من القبائل، فلكل وسمه المعروف حسب المتعارف عليه قبليًا، وبهذا الوسم عند هذه القبيلة أو تلك تصير الإبل معروفة بوسمها كنظام عرفي سائد في التعامل في هذا الصدد منذ القدم، وبذلك الوسم المحدد تتحدد نوعية ملكية هذه الإبل تجنبًا لأي مشاكل قد تنشأ في هذا الشأن، وإن حدثت أي مشكلة بقصد أو غير قصد مثل القيام بتغيير الوسم أو الركوب على المطية من قبل الغير دون الاستئذان من مالكها، علمًا بأن هذه القضية بالذات عند بعض من تلك القبائل وليس كلها.. أما فيما يخص قضايا الإبل فيتم حسم هذه المسائل من قبل مقدم القبيلة، وفقًا والأعراف والعادات في هذه الشئون البدوية في مجال الإبل وعلومها من مصدرها إلى ميرادها في سقيها ومرعاها في مراعيها، وذلك وفقًا لتلك الأعراف، وذلك حفاظًا على هذه الثروة الحيوانية ومنها الإبل.

التدوين للتوثيق:

حاولنا جاهدين قدر الاستطاعة والإمكان في هذا الشأن بغية التوثيق في مجال وسم الإبل للتمكن من إظهار معالم الوسم قبل أي استحداث ربما يظهر في هذا المضمار من خلال أي مستجد يستجد نتيجة تسارع مراحل التحديث وبالذات في هذا المجال المهم.. وبهذا الاجتهاد نأمل أن نكون قد وفقنا في التدوين لهذا المضمون بغية للتوثيق الذي يعد في حد ذاته من التاريخ القديم امتدادًا منه إلى الحاضر في علوم الإبل.. وعلى هذا الأساس نبين وسم الإبل المتعامل به حاليًا منذ تلك العصور القديمة إلى اليوم وذلك على النحو الآتي:

وسم إبل قبائل المناهيل:

قبيلة بيت المعشني ..الوسم (معشنية) خطين مستقيمين بشكل طويل أي اثنين مطارق وراء الأذن.

بيت سالمين/ اثنين مطارق وراء الأذن، ورقم سبعة وراء الأذن بجانبها.

بيت الباقية/ اثنين مطارق وراء الأذن، وقشم في رأس الأذن قطف (بتر بسيط).

بيت تمان/ اثنين مطارق وراء الأذن، ومطرق واحد تحت الأذن.

بيت القوانصية/ اثنين مطارق وراء الأذن، واثنين دوامع خطين تحت صنيف الوجه، الصنيف (الجانب الأيسر من الوجه).

بيت عتاني/ اثنين مطارق وراء الأذن، وقرم (بتر بسيط) في رأس الخشم أي الأنف.

بيت حشحوش/ اثنين مطارق وراء الأذن، وحلقة أي دائرة صغيرة في الرقبة.

بيت مزبر/ اثنين مطارق وراء الأذن، ووراء المطارق صخنة أي نقطة.

البواقي/ اثنين مطارق وراء الأذن.

السماح/ اثنين مطارق وراء الأذن.

وسم بيت كزيم .الوسم (كزيمية) بشكل حنية نصف دائرة، والفتحة من تحت، مع عمود بشكل خط غير مستقيم بجنب الحنية من اليمين وسط الرقبة.

بيت غانم/ الوسم (غانمية) صادع في صنيف الوجه بين العين والوجه، أي خط مستقيم طويل يسمى (الخرطة) مع قعدة رزتين، أي نقطتين النقطة الأولى في أعلى الخط من اليمين، والنقطة الأخرى في أعلى الخط من اليسار.

بيت كشمه/ حنية وبجانبها عمود وسط الرقبة، ودامع أي خط مستقيم تحت العين وسط الرقبة.

بيت رصيعة/ حنية في وسط الرقبة، مع لطمة أي خط في الخشم من جهة اليسار.

بيت مطحيسه/ حنية في وسط الرقبة، وعمود في وسط الحنية.

بيت فاخرة/ حنية يتيمة.

بيت البطين/ حنية وسط الرقبة، وعمود بجانب الحنية من اليمين.

بيت حميد/ حنية وسط الرقبة، والعمود بجانب الحنية من اليمين، مع رثمة على الخشم.

بيت الحمادي/ حنية مع العمود وسط الرقبة، ومطرق قدام الحنية.

بيت نحات/ ثلاث قدح بين العين والأذن، أي خطوط صغيرة.

بيت بركات/ مطارق وراء الأذن، ومطرق على طول الرقبة، والبعض منهم رقم ثمانية في الرقبة، وصب وقف أي خطين متقاطعين في رقب الرقبة.

بيت مسعود/ دامع تحت العين خط مستقيم، وكشحة تحت الأذن خط صغير.

وسم إبل بيت سبولة :الوسم (سبولية) الحنية الفتحة من تحت، وعمود بجانب الحنية من اليمين بشكل رقم واحد وثمانين.

وسم إبل قبائل العوامر:

آل وعيل/ الوسم بشكل الهلال مع الرزة أي نقطة بجانب الهلال من اليسار تحت العين بجانب الأذن.

آل حيثول/ الوسم بشكل هلال مع الدامع خط مستقيم صغير بجانب الهلال من اليسار تحت العين بجانب الأذن.

آل جعفر/ الوسم بشكل هلال مع الرقب خط مستقيم في الرقبة والهلال تحت العين بجانب الأذن.

الحطاطبة/ الوسم بشكل هلال مع شاهد خط مستقيم وسط الهلال وراء الأذن في الرقبة.

الكسابيب/ الوسم بشكل هلال خلف العين وأمام الأذن مع الدامع خط مستقيم تحت العين.

آل كليكة/ الوسم بشكل هلال مع شاهد خط مستقيم وسط الهلال في الرقبة.

آل عبدالباقي/ الوسم بشكل هلال خلف العين أمام الأذن مع اللحظ خط عرض أسفل الهلال.

وسم إبل قبائل الصيعر:

آل عون/ الوسم (الرثمة) بشكل نصف دائرة صغيرة في وسط الأنف.

آل عل سليمان/ الوسم (الغزلة) بشكل خط مستقيم مع خط عرض من اليمين تحت العين بجانب الأذن.

آل عبدالله بن عون/ الوسم (العبدلية) بشكل خط مستقيم ونقطة من اليمين ونقطة من اليسار تحت العين بجانب الأذن.

آل قروان/ الوسم حلقة في صماخ الوجه، الصماخ أي الجانب الأيسر من الوجه.

آل الكسالين/ الوسم (الحبارى) خط مستقيم متوسط في صماخ الوجه، ولكزتين أي نقطة من جهة يمين الخط والأخرى من اليسار، والصماخ جانب الوجه الأيسر.

وسم إبل قبائل المهرة:

بيت صمودة/ الوسم (الصمدية) بشكل مستطيل بدون الخط السفلي تحت العين بجانب الأذن.

بيت سعيد صمودة/ الوسم بشكل الرزة نقطة في اللحي.

بيت قمصيت/ الوسم (قمصية) رقم تسعة في صماخ الوجه.

بيت كلشات/ الوسم (الكلشية) بشكل خط عرض تحت العين بجانب الأذن.

بيت مغفيق/ الوسم (مغفيقية) خط مستقيم مع الرزة أي نقطة في الوجه بشكل رقم عشرة.

بيت ثوعار/ الوسم بشكل خطين متلاصقين أحدهم مستقيم والآخر بالعرض في الوجه.

بيت عوبثان/ الوسم (عوبثانية) بشكل رقم تسعة في الوجه.

وسم إبل قبائل آل كثير:

الرواشد/ الوسم (الراشدية) رزة نقطة في اللحي، مع رزتين أي نقطتين بين العين والأذن.

مضامير الهجن:

فمنذ الصبا وعنفوان الشباب فإن أبناء البدو الرحل يتصفون بصفات الشهامة، فهؤلاء الرجال النشامى بانتمائهم إلى حياة البادية على الرغم من قساوة الحياة في تلك المناطق البعيدة التي جعلت رجل البادية متحملًا الأثقال الثقيلة من الأمور الحياتية،

وبالتحدي والصمود وبالعزيمة القوية تهون أمامه المهام الصعاب، حتى ولو كانت المراحل طوال، وكذا بالمثل ترى كبار السن من البدو من أصحاب الإبل لديهم خبرة متراكمة في تربية الإبل، وهم أساسًا يمثلون الهيئة الاستشارية وأصحاب القرار في مضامير الهجن، أي في كيفية ممارسة سباق الهجن ومزاينة الإبل فهم قد تمرسوا عليها منذ نعومة أظافرهم فتعودوا عليها، وأصبحت ممارستهم اليومية منذ العصور القديمة من تاريخ القبيلة حتى اليوم، فتراهم مهتمين بإبلهم في ظل حضارة ناطحات السحاب، ولتفهم هذه الثقافة أقيمت المضامير وسباق الهجن بطرق حديثة في هذا العصر من خلال ذلك الاهتمام من قبل تلك الدول العربية الغنية بالثروة الطبيعية من غاز ونفط وثروات معدنية وغير ذلك من موارد اقتصادية.

ترعى وترتع:

بطبيعة تلك الأحوال تشاهد هذا أو ذاك المرعى من المراعي الخضراء، ليست سرابًا بل ترعى وترتع فيها الأغنام برعاية راعية البوش، وأما بالنسبة للإبل فبعناية مرعاها من قبل رجال البدو أي (المبله) رعاة الإبل.

أما حلب لبن النوق فيكون من قِبل الرجال فقط وبأصبعين هما الإبهام والسبابة، ويكون من جهة الحالب أي اليسار، ويتم حلب اللبن من ضروع الناقة بضرعين مختلفين، والضرعان الآخران لابن الناقة (الحاشي)، وذلك من أجل يدر باللبن أي يكثر في أثناء الحلب الطبيعي في الإناء المسماة (القعلو) أو (الستمه) وهي

صناعة محلية من الجلد وغوص أغصان الشجر، ولون اللبن بطبيعته أبيض تراه بالعين المجردة في ظلام الليالي.

الوضيحي والظباء:

وفي تلك المراعي النظيرة ترى الغزلان (الظباء من فصيلة الريم) تفز أي تقفز في مساحة مرعاها لرشاقة قوامها، وأما بالنسبة للوضيحي (المها العربي)، يرعى ويرتع في مراعيه بالرمال تراه في قطعان كثر هنا وهناك في مقدمتها الأنثى الوضيحية، فترى تلك القطعان ترعى ما بين تلك الشقاق الرملية ذات النعومة في ذراتها التي تسمع صوت صداها من شقاق رمالها. وكذلك طير النعام فهو من الطيور التي لا تطير بل تتأرجح في سيرها حينًا وتارة تسرع في خطواتها، فتراها تخبئ بيضها في مخابئ خفية في إحدى الشقق من شقاق الرمال، أي ما بين هذه أو تلك الشقة من الكثبان الرملية منها الثابتة والمتحركة عند أعاصير الرياح، وعندما يتم العثور على بيض النعام يشرب عصيرها رعاة الإبل في حالة عطشهم.

المسح الجيولوجي:

وهنا سنحدث عن حكاية بترول ثمود التي بدأت قبل (82) عامًا منذ 1935م من خلال قيام شركة (P. C. L.) بعمليات المسح الجيولوجي بمنطقة ثمود أرض امتياز التنقيب عن النفط.. إلا أنه بعد مرور (25) عامًا من تاريخ بداية العمل حينذاك في مجال المسح النفطي بصحراء ثمود نشب ذلك الخلاف الذي حدث بين

الشركة النفطية وحكومتي حضرموت (القعيطي والكثيري)، ونتيجة لذلك السبب وربما غيرها من الأسباب لا نعلم بها.. فقد نتج عن تلك الخلافات انسحاب تلك الشركة من مواقعها بثمود.. ولتحقيق الأمل الذي كان يراود قاطني ثمود من البدو الرحل بغية الاستقرار بدلًا من الترحال أعطي الامتياز من قبل حكومتي حضرموت للتنقيب عن نفط ثمود للشركة الأمريكية العالمية (بان أمريكان) بالتحديد في عام 1961م، وبناء على تلك الاتفاقات بدأت تلك الشركة الأمريكية في إصلاحات عاجلة للطرق تأهبًا لنقل المعدات الثقيلة من المكلا إلى منطقة ثمود، التي تبعد عنها مئات الأميال في اتجاه الشمال الصحراوي.. وذلك الخبر فيما يخص إصلاح الطريق للتمكن من نقل المعدات صدر في صحيفة (الطليعة). (2)

بان أمريكان:

بناء على ذلك الامتياز في حقول نفط ثمود الذي منح لتلك الشركة الأمريكية في ذلك التاريخ آنف الذكر وبتلك الإجراءات العسكرية والمدنية ذات الطابع الاقتصادي.. وعلى ذلك تم ترتيب وصول أول حفار نفط عبر الطريق الصحراوية نتيجة لصعوبة عبور ذلك الحفار الكبير بعقبة المعدي بالطريق الشرقية، وعلى هذا الأساس تم وصول ذلك الحفار الأمريكي التابع لشركة بان أمريكان العالمية (AMERICAN OIL COMPANY PAN) عبر الطريق البحري من مصدر المنشأ إلى ميناء مسقط بسلطنة عمان من ثم بالبر عبر صحراء شحن إلى صحراء ثمود.

نقطة حدودية:

عند وصول الحراسة من الجيش العُماني المكلفة بحراسة ذلك الحفار الأمريكي تم الوقوف عند تلك البراميل التي كانت تعد نقطة حدودية ما بين سلطنة عُمان ومحمية عدن الشرقية (حضرموت والمهرة) وفي أطراف تلك الحدود الصحراوية في محطة البراميل تم التسليم من قِبل الدورية العُمانية لذلك الحفار الأمريكي إلى دورية الجيش البدوي الحضرمي التي كانت مهمتها حراسة ذلك الحفار كلًا في مجاله الطبوغرافي الجيش العُماني والجيش الحضرمي، وبتلك الترتيبات المنسقة أمنيًا من قِبل قيادتي تلك الجيوش العربية العُمانية والحضرمية حينئذ، تم وصول الحفار إلى وادي ترفات الواقع شرقي ثمود بحراسة من قبل جيش البادية الحضرمي، فبدأت مراحل الحفر بذلك الحفار الكبير في المجال النفطي في حدود ثلاث سنوات، وبعد تلك المدة تم الانسحاب من قبل الشركة الأمريكية مثلها مثل الشركة التي سبقتها وكذا بالمثل بقية الشركات اللاحقة، وفي آخر المطاف ظلت تلك الآبار الاستكشافية في مجال النفط مغمورة بالرمال من خلال زحف رمال الربع الخالي عليها .

أوسكار وزبال: الجدير بالذكر بأن مجلة (العربي) الكويتية في العدد (79) بتاريخ يونيو 1965م أجرت استطلاعًا عن مدينة المكلا عاصمة حضرموت ومفتاح جنوب الجزيرة العربية، ومن ثم طارت تلك البعثة الإعلامية الكويتية من مطار الريان بالمكلا إلى موقع الحفر بوادي ترفات بمنطقة ثمود والتقطت صورة لحفار شركة بان أمريكان بتلك المنطقة الواقعة جغرافيًا شرق بئر

ثمود ووادي رماه، فصارت تلك الصور نادرة في حد ذاتها التي التقطها مصور مجلة العربي (أوسكار) باستطلاع الصحفي (سليم زبال)، علمًا بأن ذلك الحفار الأمريكي صار أثرًا بعد عين منذ عام 1994م فلم يبق من ذلك الحفار إلا تلك الصورة النادرة من تاريخ بترول ثمود ومن خلال مشاهدة ذلك الحفار في عهده تم وصفه من قبل بعض الخبراء الأمريكان بأنه أكبر حفار بالشرق الأوسط، وثاني حفار في العالم في مجال التنقيب عن النفط بالصحارى والرمال في ذلك الزمان والمكان.

وادي ترفات:

ومن خلال تلك الشركات النفطية متعددة الجنسيات في مجال المسح والتنقيب عن نفط ثمود، فقد كانت أول الآبار في حقول بترول ثمود في أول مراحلها هي البئر النفطية الاولى والثانية والثالثة التي حفرت بحفار بان أمريكان في مطلع الستينيات بموقع وادي ترفات، وبعد ذلك بمدة وبالتحديد في السبعينيات حفرت شركة سيابكو آبارًا نفطية مستفيدة في حفرها النفطي بذلك الحفار الأمريكي، فتم الحفر في حثوث، وثمود، وبالمثل في الثمانينيات المشروع السوفيتي للتنقيب عن النفط حفر بئر نفط في شحر شرقي وادي رماه، وفي التسعينيات من القرن العشرين، وكذا بالمثل حفرت بئر نفط في وادي قناب من قبل شركة فرسول الفرنسية، وأعلنت هيئة إذاعة لندن (بي بي سي) خبر استكشاف بئر نفط بوادي قناب بالربع الخالي.

لغز الصحراء:

بعد هذا وذاك من الحفر في مجال نفط ثمود تم إذاعته إعلاميًا ودخل السحاب وصار سرابًا، ربما للتحفظ بشأنه لهذا وغيره من تلك الأسباب.. عمومًا بأن تلك الشركات النفطية متعددة الجنسيات مما تم ذكره وغيرها لم تساعد الذاكرة في تذكر تلك الشركات بمختلف جنسياتها الأجنبية نتيجة لتلك العوامل منها ما ظهر على السطح وغيرها ما زال لغز الصحراء مدفونًا جوابه في عمق رمال الربع الخالي، وفي آخر تلك المراحل لم يتم إنجاز المهام بكاملها حسب بروتكولات الاتفاقات المبرمة بين الشركات وتلك الحكومات التي تعاقبت على الحكم الحكومة تلو الأخرى والتي رحلت مثلما رحلت تلك الشركات النفطية من خلال ذلك الانسحاب من تلك المواقع النفطية ذات الامتياز النفطي في إطار جغرافية صحراء ثمود، فكان ذلك الانسحاب المفاجئ في ظل ظروف غامضة وأسباب غير معروفة عند عامة الناس.. فظل قاطنو ثمود على هامش ذلك الأمل القديم الذي ما زال يراودهم حتى هذه اللحظة، وبتفاؤلهم بما فيه الخير، لا سيما وأن أرض ثمود موعودة بالخيرات، وقد قالها السيد الحداد بأن ثمود ستكون غنية بالمصانع النفطية ويهرع إليها الناس.

أسدل الستار: من نتائج تلك التحركات بمختلف مساراتها من سرعة الدرك أسدل الستار عن ذلك العهد فبدأت مراحل انخفاض الغزوات بالعد التنازلي حيث صارت تلك الغزوات في مرمى قوات (الجيش البدوي الحضرمي) المتمركزة على آبار المياه والتي أصبحت محروسة من قبل تلك الحاميات العسكرية المعززة

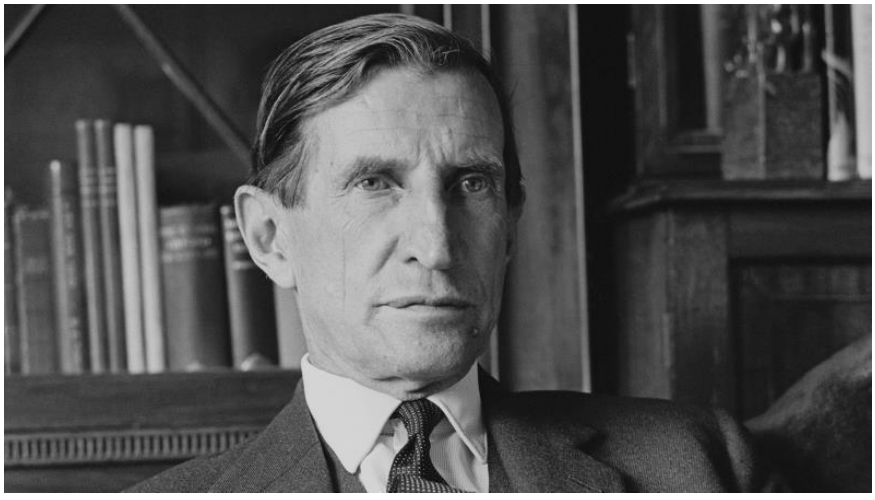
بالدوريات بسلاح المصفحات وسيارات الجيب ناقلات الجند بدوريات ذهابًا وإيابًا على مستوى الشريط الحدودي والمنافذ الرملية مترامية الأطراف، ومن خلال تلك التحركات العسكرية ضبطت تلك الاختراقات، ومنع أي إخلال بالأمن العام على مستوى حضرموت، والمناطق المجاورة لها الواحدي والمهري.

الكولنيل بوستيد:



بإبرام اتفاقيات الصلح ما بين القبائل بحضور المستشار البريطاني الأول بحضرموت المستر إنجرامس في أواخر الثلاثينيات لمدة ثلاث سنوات، والذي سُمي بـ(صلح إنجرامس)، ومن ثمَّ تم تمديد الصلح منذ مطلع الأربعينيات إلى الخمسينيات من القرن العشرين في عهد الكولنيل بوستيد المستشار البريطاني الثاني بحضرموت، فساهمت هذه العوامل في تنفيذ مرحلتي الإعداد والتحضير خلال عامي 1938م و1939م، وبذلك الإعداد الجيد تم تأسيس ذلك الجيش البدوي في مطلع عام 1940م بمركز ليجون(3) بغيل بن يمين، تلك المنطقة الواقعة جغرافيًا في وسط جغرافية حضرموت الساحل والوادي والصحراء.

رابطة الكومنولث:



تكونت التشكيلات العسكرية للجيش البدوي الحضرمي على مستوى القبائل الحضرمية في أول المراحل التأسيسية وذلك على النحو التالي:1-قبائل نوح عشرة 2- قبائل سيبان عشرة 3- قبائل الحموم عشرة 4- قبائل بلعبيد عشرة 5- قبائل الصيعر خمسة 6- قبائل نهد خمسة 7- قبائل المناهيل خمسة.. من ثم توالت تباعًا دفعات التسجيل بذلك الجيش البدوي بحضرموت من القبائل والشرائح بمحمية عدن الشرقية التي تشملها جغرافية حضرموت القعيطية وحضرموت الكثيرية والواحدي والمهري.. ويضم هذا الجيش في قوامه التشكيلات العسكرية، التي بدأت بأول المراحل من خلال التشكيلة الأولى بقوام نواة شبابية متمثلة في تلك الفرقة التأسيسية بعدد (55) عسكري من القبائل الحضرمية، ومن ثمَّ تعززت الجاهزية العسكرية كمًا وكيفًا وفقًا والاستراتيجية لـ(جيش البادية الحضرمي)، هذا الجيش الحضرمي الذي صار يشار له بالبنان على مستوى رابطة الكومنولث (COMMONWEAITH).

إحلال السلام:

بالتمركزات الثابتة والدوريات المتحركة باستمرار على مستوى الشريط الصحراوي الغربي (عساكر العبر زمخ ومنوخ وحجر الصيعر)، والشرقي (ثمود سناو حبروت)، وكذا الحال بأرض الواحدي بخبر الأقموش وهدى وعياد والمهري بالغيظه وادي مرعيت أرض بن عوبثان وجزيرة سقطرى بالبحر وحبروت بالبر المهري المتاخم لحدود سلطنة عمان وبموجب الاستراتيجية العسكرية تتم التحركات بقوة العدة والعتاد من قبل ذلك الجيش

البدوي الحضرمي (HADHRAMI BEDUIN LEGION)المنوطة به المهمات والواجبات العسكرية والأمنية وبهذه الأعمال تم إحلال السلام بحضرموت، فصار عهد الإخلال بالأمن العام -بسبب وقائع وأحداث الغزوات والفزعات القبلية- في خبر كان بقوة الرجال الشجعان لذلك الجيش الحضرمي الذي أسس من النخب الحضرمية في بداية المراحل الأولية، من ثم شمل في صفوفه العسكرية أبناء مناطق محمية عدن الشرقية (حضرموت والواحدي والمهري).

هيب هيبا:

في مطلع عام 1953م تم بناء مركز ثمود بمسافة قريبة من البئر التاريخية (ثمود) وتمركزت بذلك المركز الواقع جغرافيًا في وسط الصحراء قوة من الجيش البدوي الحضرمي فنظمت أوضاع السقي على ذلك المورد المائي من خلال الإشراف من قبل قيادة مركز ثمود، وبهذه الترتيبات اليومية انتهى عهد الفوضى وتم استتباب الأمن والأمان بصحراء ثمود فاستمر النزح بزانة دلو الماء من قعر البئر إلى أحواضها بتلك العلمية التقليدية التي تتم بالأيادي القوية بحركة سريعة ذات شدة في التسابق لتطليع الدلو



بزانة الحبل السلب أي نوع قوي، وهذه الحركات تتم من قبل البدو الواردين وجنود جيش البادية الحضرمي المتمركزين بتلك المراكز العسكرية المسيطرة على تلك الآبار وفي أثناء مراحل

نزح الماء تسمع كلمات بصوت مرتفع يرددها نازحو الماء وهم قيام فوق فوهة البئر، وتلك الكلمات هي (هيب هيبا هيب).

قضايا الثأرات:

كان وضع تلك القبائل في ذلك المجتمع المحلي ذي الطابع القبلي أوضاعًا غير مستقرة نتيجة لتلك الغزوات لأخذ فيد الإبل وبالفزعات يتم إعادة الفيد، ومن جراء هذه الحروب تعمقت قضايا الثأرات أبًا عن جد، فصار الوضع تسوده التهدئة مع اليقظة في أثناء إبرام الصلح أي الهدنة ما بين الأطراف المعنية، وفي حالة الحذر في البراء دون الصلح يكون (الطارف غريم) من قِبل القبيلة صاحبة الثأر، وهكذا توالت الأحداث من غزوة إلى فزعة فيها المنتصر والمهزوم، ومحاولة إعادة الفيد عن طريق الأخذ بالقوة، مثلما أخذ منه بنفس الأسلوب القوي، وبعض الأحيان بطريقة الحيلة الفطرية من خلال تكتيكات عمليات الكر والفر، وهكذا ظل البدو في الصحراء ورمالها المترامية الأطراف في تلك العهود في صراع دائم لتجاوز الصعاب بالاعتماد على النفس، واستمرت الأوضاع على ذلك المنوال غزوة بفيد (وغزوة صعفة بجنبية)، فصارت هزائم هؤلاء القوم غنائم عند قوم آخرين.

بن يماني وبن عجاج:

من جراء تلك الغزوات ونتيجة لتلك الصراعات التناحرية ما بين هذه القبيلة أو تلك، التي ينتج عنها كرة أخذ الإبل وكرة من

الكرات إعادة فيد الإبل في ظل مراحل الاقتتال إلا أن الوضع يظل في حذر، ومن شيمة الرجال الشجعان الحذر من خلال التمترس في المرابي لليقظة حتى في الوقت الذي يسوده الصلح، وبالذات في غضون الأيام العشر السوالف حسب شروط الصلح بين الأطراف، باعتبار تلك الحقبة الأولية من الصلح وهي تلك الأيام المحددة بأعلاه براء وبإنفاذها يبدأ الصلح، وبطبيعة تلك الأحوال الانتقامية تحدث أحوال من اختراق الصلح بقصد أو بغير قصد بطريق الخطأ لهذا السبب أو ذاك، ومنه ربما يكون الظن بأن الوقت وقت براء وأنه دون الصلح أو غير ذلك، طالما أن الثأر لم يحسم في ذلك الوقت، وكذلك بالمثل يحدث حادث تحت حجة أن خبر الصلح لم يصل إلى كل من الأطراف المعنية، ولهذا تكون الحجة عند هذه القبيلة أو تلك إذا قتلت غريمها في الصلح أن تدعي عدم إعلامها بهدنة الصلح بحكم أن أماكن المحلة متباعدة وغير مستقرة، ولهذا يكون الادعاء بأن الوضع فيه براء وليس صلحًا هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقول البعض (قتل وبعده صلح)، حسب المقولة القديمة.

عمومًا فإن هذه الأمور وأمثالها المعقدة ذات الطابع المزدوج مرجعها (مورد عاب وطاب)، وهما المقدم بن يماني التميمي، والحكم بن عجاج النهدي، بموجب العوائد سارية المفعول في هذه القضايا.

أما بالنسبة لاختراق ميثاق الصلح إن حصل شيء من قتل فهو نادر بحكم أن القبائل جلها تلتزم بعهود الصلح، وذلك من خلال التأكيد على هذه المسألة المهمة في مجريات الصلح، بموجب تلك

النصوص التي تتم وفق السوارح عند القبيلة في أثناء إبرام عقد الصلح بوثوره وعهوده وشروطه وشهوده.. ومن المعلوم بأنه رغم عدم توافر الوسائل المتطورة عند البدو في مجال التواصل الاجتماعي في تلك العهود القديمة التي شهدت تقطع السبل لأكثر من سبب، إلا أن الخبر عندهم يتم نشره بسرعة مثل أعاصير الرياح بهذه الوسيلة أو تلك، ومنها الطريقة المتعارف عليها من خلال تبادل الأخبار عند اللقاء الشخصي، أو الجمع العام، أو عند السمر في الليالي في معطان الإبل، أو على عدانة البير، أو مورد الكريف الذي مسقاه من ماء المطر، أو في وضح النهار عند تناول شرب (قهوة الشريخ) القهوة العربية في خيمة الشعر، أو بكهف الغار، وغير ذلك من المناسبات هنا وهناك، منها مواسم الزيارات والزواجات وغير ذلك من تلك الوعود ذات الجمع العام لهذا الزي (القبيلة) أو ذاك لمناقشة شؤونهم.. المهم والأهم في ذلك أن المعنيين بالأمر تراهم مهتمين بتبليغ ذلك الخبر في أسرع وقت ممكن عبر التواصل الاجتماعي عند البدو الرحل بوصول النبأ إلى كل من هو معني بذلك من سكان الديرة، إن كان في الرملة أو بالسيح، أو في باطنة الوادي، أو في المعراب، أو غير ذلك من مناطق المشقاص من الساحل البحري، لا سيما أن هذه العادات البدوية ما تزال قائمة، ومنها الصلح في غياب الدولة المدنية، وساري المفعول في أغلب الأوقات، فإن القبيلي عند الطلب يعطي غريمه الصلح أي الهدنة لمدة طويلة أو قصيرة من خلال صلح العرضة، علمًا بأن المدة الزمنية للصلح تختلف فقد تكون أيامًا معدودة، أو أشهرًا محدودة، ومنها الصلح المقعد، وذلك حسب ما جاء في نطق الحكم الصادر من قبل المقدم بن

يماني ببلدة (قسم) في أثناء المثول أمامه من قِبل الأطراف في تلك القضية، التي أخذت طابع (مورد عاب وطاب) في مطلع الستينيات من القرن العشرين.

عقداء الأقوام:

من نتائج تلك الغزوات يأتي الصائح وتقوم الفزعات لحامل السلب أي الرجل المتسلح بالسلاح الناري، وذلك المنتمي لهذه القبيلة أو تلك المعنية بأمر الفزعة من عقداء الأقوام، إن كان البس المنهالي، أو هبطاء بن رقحيت المهري، أو بن نسيعة العامري، أو بن غصنه الراشدي، أو مرزوق الصيعري وغيرهم من عقداء الأقوام من تلك القبائل، فترى وتسمع عقداء الأقوام يأمرون وينهون كلًا منهم في نطاق جغرافية أرضه، وفقًا والعادات البدوية والسوارح القبلية المتعارف عليها منذ أزمان.. فعلى هذا الأساس تتم الترتيبات السريعة من خلال الانطلاقة في غزوة أو فزعة من أجل الفيد، فعقيد القوم يتصف بصفات مميزة تؤهله تلقائيًا لأن يكون قائد قوم من خلال الخبرات المتراكمة، ومنها الكر والفر وغيرها من التكتيكات العسكرية المتمثلة في إجراء الترتيبات الأولية، المتمثلة في ترتيب جماعة تتكلف بمهمة الأعمال الاستطلاعية، وجماعة أخرى من الرواة المكلفين بتوفير المياه لقوام القوم في أثناء عمليات الهجوم، والمعطاف بالفيد، وغير ذلك من تكتيك (كر وفر)، كل هذا وذاك من أجل الاستحواذ على الإبل. وهذا على سبيل المثال لا الحصر، لا سيما أن الغزوات في عهدها كانت جمَّة وترتيباتها متعددة، وفقًا وتضاريس المنطقة، علمًا بأن عقيد القوم ليس بمظهر الملبس أو بطول

القامة فكم من قصير القامة صار عقيد قومه بمناقبه الشجاعة، حتى ولو بثيابه المرقعة وبمظهره الرث.

البس بن دويلان: كان (البس) مبخوت بن العبد بن دويلان بن غانم المنهالي زعيم أقوام المشقاص أي الشريط الصحراوي الشرقي، فتراه غازي على أقوام أرض القبلة وبمعيته أولئك العقداء لتلك الأقوام من القبائل المشقاصية (المناهيل، والعوامر، والمهرة، والراشدي)، وعقداء تلك الأقوام من هذه تلك القبيلة هم أصلًا من رجال الشورى في اتخاذ القرار ومن صناع القرار لتنفيذ الغزوة أو الفزعة، وفي آخر مطاف هذه الغزوات والفزعات قتل (البس) بطعنة جنبية وليس بطلقة رصاص عند معطاف الغزوة بصحراء (تبه ويتمه) بالجوف في أطراف حدود شمال اليمن، وقبره موجود ما بين (تبه ويتمه) بأرض الجوف، وأسفرت تلك الغزوة بقتل البس وهويدي بن نفل وغيرهم من شجعان البادية فصار إجمالي القتلى من المشقاصيين تسعة، وإجمالي القتلى من قبائل القبلة أربعة عشر مع الاستيلاء على 140 ناقة أخذها أهل المشقاص فيد نتيجة لتلك الغزوة، التي مصدرها فزعة مشقاصية، ومن خلالها صارت الفجعة التي خسر فيها المشقاص عقيد قومه (البس) في عام 1946م. والجدير بالذكر أنه قبل تلك الفزعة كرد فعل على غزوة حدثت في عام 1945م حدثت حادثة استيلاء المناهيل على المخافر القعيطية بحصن العر ومركز السوم بأسفل وادي حضرموت، ومن خلال ذلك الاستيلاء تسلح المناهيل بالسلاح الحكومي نوع (الشرفا بريثن مطربلة) مصنعها مصانع بريطانية بلندن، وفي عهده يعد ذلك السلاح من الأسلحة

الحديثة ذات الطراز الجديد، فشدوا رحالهم لتلك الغزوة صوب أرض القبلة التي من جرائها خسروا خسارة فادحة من خلال مقتل زعيم قبائل المشقاص الملقب (البس/ المنهالي) عقيد أقوام المناهيل.

غادية وضاوية:

من خلال هذه وتلك الترتيبات العسكرية الهادفة إلى دحر الغزوات ومنها الغارات المضادة لرد الفعل، وهي الفزعات كانت الدوريات مستمرة، وهذا المجهود العسكري كله من أجل الأمن والأمان ما بين القبائل المتحاربة، وللقضاء على الفوضى والثأرات.. فكانت بطبيعة الحال تحركات الجيش البدوي الحضرمي دؤوبة في مساراتها غادية وضاوية في تلك الأيام في المساء، وفي وضح النهار، وفي تلك الليالي المظلمة من خلال تسيير الدوريات في تلك المنافذ الصحراوية حينًا والأطراف الرملية حينًا آخر.

خو حمدة:

منذ مطلع الأربعينيات من مراحل التأسيس وفقًا والخطط الاستراتيجية لقيادة جيش البادية الحضرمي، الذي كان مقر قيادته حصن (ليجون) بغيل بن يمين، ومن ثمَّ انتقلت تلك القيادة العسكرية إلى حصن (ثومه) بمعسكر ديس المكلا، فكانت البرامج اليومية تنفذ بحذافيرها من خلال القيام بتلك الدوريات في إطار جغرافية تلك المسارات العسكرية، منها الدورية الأولى بقيادة الضابط عبدالهادي العتيبي االمنتدب من قبل قيادة الجيش العربي

الأردني، لدى قيادة الجيش البدوي الحضرمي، انطلاقًا من الصحراء الغربية مركز العبر، مرورًا بقرون الثنية وتلة الوديعة، وصولًا إلى وادي الشرورة.

أما بالنسبة للدورية الثانية بقيادة الضابط سالم عمر الجوهي فتنطلق من الصحراء الشرقية ثمود ورمالها المترامية الأطراف، ومنها حبروت، وسناو، وخشم كوب، والساروب، والسرداب، وحزر، وشقاق المعاطيف، وخشم الجبل. علمًا بأن القائد سالم عمر الجوهي من منطقة (قاع آل عوض) بريدة الجوهيين، وهو من قبائل سيبان القاطنة (كار سيبان) بمرتفعات دوعن بحضرموت.. ومن خلال التدرج في الرتب العسكرية صار الضابط الجوهي القائد الأول لدوريات الجيش البدوي الحضرمي من خلال انتهاء مدة انتداب الدفعة الأولى من القادة الأردنيين ومن ضمنهم القائد عبدالهادي (خو حمدة)، وهو من قبيلة عتيبة، التي تعد من القبائل العريقة بالمملكة العربية السعودية.

غدير شقهم:

من خلال ذلك التواصل برقيًا بالتنسيق العسكري من قبل دوريات جيش البادية بالصحراء مع قيادة الجيش بالمكلا، كان ذلك اللقاء عصر ذلك اليوم من شهر نوفمبر عام 1951م، في أثناء المحاصرة من قبل الدوريات الشرقية والغربية على أقوام الغزوة وذلك على مورد الماء بحسي غدير شقهم بوادي مخية بعيوة الصيعر، ومن خلال تلك السيطرة ذات التكتيك العسكري استولت الدوريات من قوات حفظ السلام (الجيش البدوي الحضرمي) على الموقف العام وصار القوم تحت السيطرة

العسكرية محاصرين من كل اتجاه، وفي تلك اللحظات الحاسمة تمت الترتيبات من قبل قائد الدورية في إعادة الفيد من الإبل المنهوبة لأهلها من مشقاصي وقبلي على حد سواء.

الأعداء أصدقاء:

من نتائج تلك التحركات العسكرية لجيش البادية ذاع الصيت عند القريب والبعيد فصار أعداء الأمس أصدقاء من خلال انخراط القبائل الحضرمية في صفوف الجيش البدوي الحضرمي، وكذا بالمثل التحقت تلك القبائل الأخرى بخدمة ذلك الجيش، الذي أسس قوامه من أبناء البادية بحضرموت، ومن تلك الأراضي المجاورة لها، من خلال الالتحاق بذلك الجيش الحضرمي، ومنهم قبيلة يام والعتيبي والحجازي من رعايا السعودية، والقميشي والعظمي والسليماني من أرض الواحدي، وغيرهم تلك القبائل المهرية بن صمودة، وبن سهال، وبن زعبنوت، وبن قمصيت، وبن عاشور وغيرهم كثر، فصارت القائمة طويلة في صفوف الجندية بجيش البادية من خلال تلك الدفعات المتوالية في التجنيد لكل قبيلة من هذه القبائل والشرائح الاجتماعية حسب حصتها المقررة في التجنيد العسكري بموجب شروط الالتحاق وفقًا واستراتيجية الجيش في مجالات تطويره كمًا وكيفًا على كافة الصعد نظرًا لتوسع المهام العسكرية والأمنية والاجتماعية ومنها الإغاثة الغذائية والدوائية والتعليم بمدارس الجيش.

المحبة تبني:

بطبيعة خصائص جيش البادية الذي يحكمه القانون، ومن نصوصه مواده القانونية منها جندي البادية يعمل من طرف الحكومة ولا يشترك ولا يميل بصورة شخصية في منازعات القبائل وحروبها وغاراتها.. وكذا بالمثل جندي جيش البادية يفهم أن المحبة تبني والبغض يهدم، وهو من الذين يبنون لا من الذين يهدمون وغيرها من مواد ذات طابع قانوني تخدم الإنسان والحيوان.. فما أحوجنا اليوم بالتحلي بهذه الصفات الحميدة التي اتصف بها الجيش البدوي الحضرمي.

مكافحة الجراد:

أول السيارات التي قدمت إلى صحراء ثمود سيارة اللاندروفر في حملة مكافحة الجراد الصحراوي وهي السيارة الجيب التابعة لشركة ..(D. L. C.) وأما بالنسبة للعربات العسكرية ناقلة الجند فهي بالمثل أول السيارات التي قدمت إلى صحراء العبر في الأربعينيات وفي الخمسينيات (إلى الصحراء الشرقية ثمود)، وهي السيارات التابعة للجيش البدوي الحضرمي التي تركزت في المسارات الصحراوية ورمال الربع الخالي، وبطبيعة الأحوال المناخية استمرت حملات مكافحة الجراد الصحراوي عبر سيارات الجيب بحراسة عسكرية، وكان الخبراء من الإنجليز.

أما بالنسبة للمهام فهي في حد ذاتها متعددة الاغراض لأهمية اكتشاف أسرار الصحراء في ظل أسراب من دباء الجراد كثير

الانتشار الذي يأكل الأخضر واليابس ورغم الرش بذلك المبيد إلا أنه يتم أكله من قبل قاطني هذه أو تلك الديرة من ديار حضرموت.

طريق الحجاج:

على الرغم من صعوبة الحصول على الوثائق في هذا المساق من تاريخ ثمود وصحاريها ورمالها من الربع الخالي إلا أن المؤرخين من أوربا بمن فيهم البريطانيون أصدروا كتبًا ومذكرات عن حضرموت، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الحاج عبدالله فيلبي وكتابه (بنات سبأ) الذي دوّن فيه رحلته البرية من نجران بالسعودية إلى العبر بحضرموت، عبر الصحراء ومنها إلى مدن الوادي القطن وسيئون وتريم، والساحل المكلا والشحر، وتلك الرحلات بدأت خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، وبناء على نتائج أعمال فيلبي تم افتتاح الطريق الصحراوي نجران/ العبر ومن خلال المرور بتلك الطريق (طريق الحجاج) أفاد ضباط من الجيش البدوي الحضرمي بأنهم شاهدوا جماعات من قبيلة الدواسر مالكي وسائقي السيارات الكبيرة (الشاحنات) في أثناء وقوفهم أمام نقطة الجمارك القعيطية بمركز العبر في طريقهم ذهابًا وإيابًا في مجال نقل البضائع والركاب عبر تلك الطريق التي اخترقت الصحراء الغربية في اتجاه جنوب الجزيرة من السعودية إلى حضرموت.

وأما بالنسبة فيما كتب من قبل الأجانب بشأن حضرموت فإن ذلك يعود للأهمية التاريخية لحضرموت الساحل والوادي

والصحراء ولهذا كتب المستشرقون في كتابتهم التاريخية ومنهم رحالة وضباط سياسيون تكلفوا بمهام في صحاري ورمال الربع الخالي وعرفوا عنها الكثير وكتبوا عنها وألقيت المحاضرات في هذا السياق بلندن ومنها تقارير استخبارتية.

أرض الرمال:

وكذا حال الرحالة البريطاني المسمى من قبل بدو الصحراء (مبارك بن لندن) الذي أصدر كتابه (الرمال العربية) فكانوا مرافقوه الرواشد من قبائل آل كثير منهم بن كبينة وبن غبيشه في رحلاته من خلال العبور الأول والثاني للربع الخالي من عام 1945م إلى عام 1950م، وكذلك بالمثل رافق مبارك بن لندن عقيد قوم قبائل المناهيل البس بن دويلان المنهالي، وقد رافقته ورفاقه من الرحالة قبيلة الرواشد من بير حلية بصحراء ثمود إلى قرية فخمة بوادي حضرموت شرقًا..

وأيضا إنجرامس الذي قام بأول مسح عن حضرموت، وكذلك هيو بوستيد كتب عن حضرموت.. علمًا بأن الأول فيلبي والثاني ابن لندن هما رحالة، والثالث والرابع ضباط سياسيون بإدارة المستشارية البريطانية بالمكلا (RESIDENC) أي مستشارون بريطانيون، الأول المستر إنجرامس مستشار بريطاني مقيم ومعتمد بمدينة المكلا منذ اتفاقية الاستشارة ما بين بريطانيا وحضرموت في عام 1937م، والآخر الكولونيل هيو بوستيد ثاني مستشار بحضرموت.

وأما بالنسبة للميجر جيم اليس فقد عين في ديسمبر 1951م مساعدًا عسكريًا للمستشار البريطاني المقيم حينذاك بمدينة المكلا (محمية عدن الشرقية) ومن ضمن الأعمال المنوطة به الاضطلاع بواجب صيانة القانون والنظام بتلك المناطق الصحراوية الواقعة شمال حضرموت والتي تعد جزءًا من الجغرافية العسكرية للجيش البدوي الحضرمي.. ومن خلال طبيعة أعمال (اليس) في الشريط الصحراوي أصدر مذكراته ومنها (حكايات من أرض الرمال). (4)

هواة الصيد:

بتأسيس الجيش البدوي الحضرمي تم إنهاء عهد الصراعات من خلال عدم تخطي الحدود منعًا للاختراقات المخلة بالنظام والقانون وبالذات من ناحية الغزوات والفزاعات القبلية وذلك من خلال تسيير الدوريات من وإلى الجهة الشمالية الشرقية وكذا بالمثل الجهة الغربية من الربع الخالي.. إلا أنه في عامي 1957م و1958م جرى اختراق من الجهة الرملية وهذه المرة كان ذلك الاختراق من قبل هواة الصيد الرملي (الوضيحي والحباري)، إلا



أن تلك الدوريات العسكرية للفليق الحضرمي (جيش البادية) كانت بالمرصاد لأي اختراق لحدود محمية عدن الشرقية التي تضم في إطار جغرافيتها حينذاك (حضرموت والواحدي والمهري).

الخط البنفسجي:

عام 1913م تم الاتفاق بين البريطانيين والأتراك على رسم ذلك الخط بمداد لونه بنفسجي على خارطة الحدود الصحراوية على امتداد الربع الخالي في خريطة حضرموت التي أعدها المستر هارولد إنجرامس المستشار السياسي البريطاني المقيم بحضرموت آنذاك، ونشرت من قبله في كتب ومقالات بلندن تحت عنوان (حضرموت بين الحاضر والمستقبل) ((THEHADHRAMAUT PRESENT AND FUTURE موضحًا عن تلك الخريطة الطبوغرافية لتلك المعالم الجغرافية والمراكز العمرانية والوديان الكبيرة ذات النفوذ من قبل قاطنيها المنتشرين في تلك الأودية على غرار تلك التقارير الاستخبارتية في ظل السياسة الدبلوماسية البريطانية.. فبدأ الخط البنفسجي من جبل البلق شمال حريب ويمتد بزاوية 45 درجة بعرض الجزيرة العربية لينتهي في مكان (ما) بالقرب من دولة قطر.. بوصف ذلك الخط البنفسجي الحد الفاصل بين منطقتي النفوذ بين هذه البلاد وتلك تجنبًا لأي إشكالات قد تحصل في حالات مستجدة.

الخط المعدل:

في عام 1926م تم التعديل في مسار الخط البنفسجي من خلال المفاوضات التي تمت حينذاك بصدد الخط الحدودي من جهة الصحراء من الرمال العربية حسب مقال الميجر (جيم اليس) وعلى هذا الأساس عُدَّ ذلك الخط المعدل آخر حد لدوريات الجيش

البدوي الحضرمي إلا في حالات مطاردة المخلين بالأمن العام بالمنطقة).(5)

خشم الجبل:

ويذكر الميجر اليس في كتابه (حكايات من أرض الرمال) قصة قدوم فريق حفر من شركة (أرامكو ARAMCO) إلى المخيم (A)بخشم الجبل، ومخيم (B) بوادي خضرة الذي يبعد عن مركز جيش البادية الحضرمي بثمود بخمسين ميلًا، وبعد لحظات من وصول ذلك الفريق أجري الاتصال بالراديو بين رئيس فريق أرامكو ورؤسائه في مقر الشركة، كما جرت محادثات بجهاز اللاسلكي بين قيادة الجيش بالمكلا وقيادة دورية ثمود وبعد أخذ ورد بين تلك الأطراف كان في آخر المطاف أن تم التفاهم والتجاوب على مغادرة فريق (أرامكو) من صحراء ثمود، فغادر ذلك الفريق بعد وصوله بأيام قليلة.. حصل ذلك في أواخر سبتمبر عام 1955م.

حفار وبلدروزر:

منذ تاريخ انسحاب ذلك الفريق الجيولوجي التابع لشركة أرامكو من تلك المواقع الصحراوية بثمود فقد خلف ذلك الفريق وراءه بعض المخلفات فمن الآليات والمعدات الثقيلة (حفار بترول) وبلدوزر (D. 8) التي شوهدت حال وصولها حسب إفادة أحد ضباط دورية جيش البادية الحضرمي حينذاك التي تحركت بوجه السرعة من مركز ثمود إلى تلك الشقاق من الكثبان الرملية بناء على تلك المعلومية من قبل بدو تلك الجهة الواقعة شمال عيوة

الصيعر السفلى فقد ظلت تلك الآليات تشاهد من مسافة بعيدة كمعالم بارزة تحكي قصص وحكايات عن نفط ثمود، ولأهمية الموقف تولت الحراسة على تلك الآليات الثقيلة قوة من الجيش البدوي الحضرمي مدة من الزمن.

اختراق الحدود:

على الرغم من تثبيت التمركز الثابت في المراكز الرئيسة واستمرارية الدوريات بالتحرك من هنا إلى هناك على مستوى مسارات الشريط الصحراوي ثمود/ العبر من قبل قوات حفظ السلام (الجيش البدوي الحضرمي) إلا أنه ما زال هواة الصيد يتكررون ما بين حين وآخر من خلال اختراق الحدود الصحراوية لمنطقة ثمود من أجل مقناص ذلك الصيد البري في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ الصحراء، فكان آخر اختراق حدث في عام 1963م في ظل عهد جيش البادية (الحضرمي).(6) . وقد كان الملازم الشنيني قائد الدورية المنوط بها تمشيط الخط الحدودي في اتجاه الربع الخالي منعًا من أي اختراق حدودي ومن خلال تلك التحركات من قبل تلك الدورية العسكرية تم وجود فريق من هواة الصيد الصحراوي، غير أنَّ التواجد في ذلك المسار من تلك المسارات المحددة للدوريات من قوات الجيش الحضرمي (البدوي).

رومانسية ليجون:

الجدير بالذكر بأن الجيش البدوي الحضرمي أسس من قبل المستشار البريطاني إنجرامس على غرار التجربة الأردنية

لتشابه خصائص القبائل والعشائر القاطنة الأراضي الحدودية هنا وهناك، ومن أجل التأسيس تم بناء أول مركز عسكري في عام 1939م وهو حصن ليجون الذي وصف بـ(رومانسية ليجون) في مبناه الهندسي الحضرمي من خلال تلك التشكيلة المعمارية من الأبراج العالية أي نوب التي شكلت في حد ذاتها صورة الأسد (LION) في عرينه، يشاهد من مسافات بعيدة من وادي حرو ونحب وجرب وغيرها من المناطق البعيدة، ومنها من مورد الفقاش بئر المقدم بن حبريش فيرى حارس الزام في نوبة الحراسة في أعلا مبنى ذلك الحصن الحصين كل شاردة وواردة من كل الاتجاهات فترى القوة المتمركزة بذلك المركز دائمًا في يقظة مستمرة في زام الساعة الواحدة والثانية بعد منتصف الليل من تلك الأيام من أيام ليجون بغيل بن يمين بحضرموت في ذلك العهد.

وعندما كانت الشكاوى تتقدم لقائد ليجون كانت وسيلة الحضور حصاة صغيرة من حوش ليجون يتم تسليمها للمتخاصمين وعند استلامهم أمر الحضور من خلال تلك الحجرة الصغيرة يتم على الفور الوصول إلى ليجون من قبل الأطراف المعنية للفصل في القضية، فيتم تنفيذ حكم قيادة ليجون بكل حذافيره ومن خالف فسجن ليجون مفتوح، هكذا كانت عدالة ليجون في ظل قيادة حكيمة من قادة أردنيين (7) ومن ثم قادة حضارم. (8).

الماء والكلأ:

من أسباب التنقل والترحال في مسارات البدو الرحل تلك البروق فعندما يراها البدو من البعد يتخيلون مواقعها وذلك من

خلال مشاهدتهم البرق تزامنًا مع سماعهم الرعود (ترعد رعيد) من مسافة بعيدة، فتراهم يحددون أماكن وقوع هطول المطر بحكم تجربتهم الحياتية، فتسمع عنهم بأنهم شدوا على الخضيرة إن كانت مواقعها قريبة أو بعيدة فهم ينجعون إلى تلك المناطق المرحومة من رب العباد، شادين الرحال من صحارى ثمود عبر الرمال العربية، انطلاقًا من مثاويهم إلى بادية الجزيرة والخليج العربي، ومنها إلى بادية الشام، وأرض الرافدين، للمرعى هناك لمدة معينة من حقبة زمنية مضت شهدت الوصول إلى تلك البقاع البعيدة من أرض الشام متجاوزين بر العجم بل قاصدين بر العرب، ثم يتشوقون إلى صحراء ثمود وكل هذا من أجل الحصول على الماء والكلأ مهما كانت المسافات طويلة والمراحل صعبة.

أعياد الغيث:

في ظل أيام عجاف من الزمان نتيجة لشح المطر وبعد العسر يتم الفرج برحمة من الله، فتهطل الأمطار وتقام أعياد الغيث في أثناء هطول الأمطار في ظل الحذر واليقظة في حياة غير مستقرة شغلها الشاغل التنقل والانتقال من هنا إلى هناك بهدف الحفاظ على مواشيهم من الإبل والأغنام بغية تكاثر تناسلها الأصيل من أجل المعيشة.. فتسمع عن البدو الرحل بطبيعتهم الفطرية بأنهم شدوا على الخضيرة متنقلين في تلك المراعي النظيرة لوجود الماء والمرعى على مستوى الشريط الصحراوي من شرقه إلى غربه مخلفين وراءهم في ترحالهم المواقد لطهي وجبات الغذاء وتجهيز القهوة تلك المواقد المكونة من الأحجار المكوية بالنار كعلامات بارزة لمواقع تلك التجمعات البدوية في البادية.

مصادر ومراجع البحث:

ـكتب من محطات تاريخية، لناصر المنهالي.

ـحضرموت في كتب الأجانب.

ـالصحف والمجلات منها.. صحيفة (الطليعة) و(الأيام) و(مجلة العربي) الكويتية.

ـمقابلات مع شخصيات عسكرية، ومدنية.

الهوامش:

(1) وأيضًا تطلق التعاشير بطلقات الرصاص فوق الرأس في مناسبات أخرى عديدة عند البدو منها بمناسبة قدوم المسافر إلى مسقط الرأس، ومنها في مناسبة الولادة لسلامة الأم والمولود الرضيع.

(2) تصدر من مدينة المكلا رئيس تحريرها الأستاذ أحمد عوض باوزير.. وهكذا كان التفاعل من قبل (الطليعة) في مسيرة تاريخها المجيد في أكثر الأمور الحياتية الشاغلة الهاجس الحضرمي ومنها الاستكشافات النفطية وهو عمل صحفي وإعلامي تجلى الاهتمام به من قبل تلك الصحيفة الحضرمية فيما نشرته في ستينيات القرن العشرين من تلك الحقبة الزمنية التي شهدتها صحراء حضرموت في مراحلها الاولية للتنقيب عن النفط.

(3) علمًا بأن كلمة ليجون فسرت من قبل البعض من منتسبي ذلك الجيش بكلمة الأسد (LION) في عرينه من الرجال الصناديد وإنما حسب إيضاحات الأستاذ محمد سالم قطن بأن كلمة ليجون (LEJIO) كلمة رومانية استخدمت في المصطلح العسكري الروماني والبريطاني بمعنى فيلق.

(4) ترجمها الأستاذ محمد سالم قطن وصدرت في صحيفة (الأيام) الصادرة من مدينة عدن، ومضمون تلك الحكايات.. ماض من تاريخ الغارات والصراعات المتبادلة بين قبائل المشقاص بمنطقة ثمود وقبائل القبلة.

(5) ملخص من ترجمة الأستاذ قطن الصادرة في صحيفة (الأيام).

(6) وذلك حسب إفادة العقيد سعد عبدالله الشنيني أبو عبدالله (ضباط في الجيش البدوي الحضرمي) وكان حينها برتبة ملازم ثان قائد فئة من السرية المتمركزة بمركز ثمود التي كان قائدها العقيد مبارك عبدالله الجوهي برتبة ملازم أول حينذاك.

(7) من أوائل القادة للجيش البدوي الحضرمي الضباط الأردنيون عبدالله سيلمان السعدون، وبركات طراد الخريشا، وعبدالهادي العصيبي، ونائف الفائز.

(8) وآخر القادة لذلك الجيش الحضرمي القائد سالم عمر الجوهي وكيل القائد حسين مسلم بن مزبر المنهالي.

قف العوامر

في كتاب (رحلتي إلى النـّيد) لعمر عبد الله العامري



عند إعدادي لهذا الكتاب بحثت عن أكبر قدر من المراجع التي تتضمن معلومات عن نجود حضرموت. ولم أعثر حينها إلا على بعض الإشارات في كتابات بعض الضباط البريطانيين والرحالة عبد الله فيلبي وشسينجر، وكذلك ما كتبه المؤرخ علوي بن طاهر

الحداد في كتابه (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها)، وما ضمنه المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف كتابه (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت). وبعد أن نشرت الطبعة الأولى من الكتاب أهداني الزميل عمر عبد الله سالم بن قلط العامري، الذي سبق أن قدمت له كتابا بعنوان (ذكرياتي مع أمي)، كتابه الثاني (رحلتي إلى النيد، قُف العوامر، جباء)، الذي أكرس له هذه السطور لتقديمه.

وفي الحقيقة، يدخل هذا الكتاب في إطار أدب الرحلات، إذ أن مؤلفه يسرد فيه الرحلة التي قام بها إلى منطقة النيد بقف العوامر في هضبة حضرموت الشمالية المحاذية لصحراء الربع الخالي، في مايو سنة 2020، وذلك برفقة عائلته وقريبه محمد بن عوض بن قلط العامري، الذي استهل عمر كتابه بشكره. كما عبّر المؤلف عن شكره للشيخ سعيد البرك بن عسالة العامري وإخوانه الذين استقبلوهم بحفاوة في قصرهم العامر في منطقة جباء.

ويؤكد العامري في المقدمة أن هدفه من تأليف الكتاب يكمن في رغبته في "تقديم مسقط رأس أجداده: قف العوامر، وبالذات منطقة جباء، التي يسكنها فخذ من آل العوامر، هم آل عبد الباقي". فهو يرى أن تلك المنطقة، على الرغم من أهميتها، "وما تكتنزه من خيرات طائلة في مجال النفط والمعادن النفيسة، وكذلك السياحة البرية التي أَصْبَحَ لها عشاقها، خاصة بعد أن تمهدت الطرق وظهرت السيارات الحديثة، والاتصالات المتطورة، لم يُؤلف عنها للأسف الشديد كِتَابٌ خَاصٌ. وتوجد نتف

بسيطة هنا وهناك، ضمنها المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في كتابه: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، حيث عرج فيه على ذكر بعض الأودية للهضبة الشمالية وسكانها. وكتب عنها كذلك بعض الرحالة الأجانب، مثل سيرجنت وفيلبي، وهم لم يعطوها حقها من الكتابة، وأنا لا ألومهم فهم في الأول والأخير رحالة كتبوا ما قابلهم في رحلاتهم."

وقد ضمّن العامري كتابه عددا كبيرا من المعلومات المرتبطة بقف العوامر وتحديدا منطقة جباء. وبدأ بتحديد معنى كلمة القف، مؤكدا أن "القف لغةً هو كُلُّ ما ارتفع من الأرض وصلبت حجارته. وفعلاً حين تصعد من عقبة قتبة الواقعة بمنطقة عيديد بتريم، ينطبق هذا التعريف على قف العوامر، وباقي النجود الأخرى، وهي نجد الكثيري ونجد الصيعري أو كما يسميه بعضهم ريدة الصيعر". ثمّ يحاول المؤلف تبرير إطلاق كثير من الحضارم كلمة (النِّيد) على النجد (مفرد نجود). ويرى "أن كلا النطقين صحيح، والسبب أن هناك لهجتين للعرب: لهجة تميم ولهجة قريش، وحضرموت الوادي والساحل واقعة بين هاتين اللهجتين، فتميم تعيش إلى اليوم في أسفل وادي حضرموت، أي: من منطقة الغرف حتى قبر نبي الله هود، وتميم ترقق الألفاظ فيقولون الريال أي: الرجال بلغة قريش، ويقولون ياء أي بمعنى قَدم وقريش تقول جاء، ويقولون الدياي وقريش تقول الدجاج وهكذا. وأرى أن كلا الكلمتين أي النيد أو النجد صحيحة. وهناك أبحاث عديدة أنجزت لتثبت هذه الحقيقة". ص10



وقبل أن يشرع مؤلف الرحلة في تقديم القف تناول أولا تفاصيل الطريق السالكة من عقبة قتبة المطلة على تريم إلى منطقة جباءن في الماضي والوقت الحاضر، مروراً بالحصون القديمة. وذكر أنّ الطريق تبدأ برأس الجعيبوره، ثم خليف دمون ثم موقع يقال له كلوب .وبعد ذلك يأتيك أول كريف يسمى كريف النجر، ويمسى اليوم كريف آل جعدان، وقد بني إلى جانبه مسجد وغرف للمارة شُيّدَت حديثا جزى الله من عملها خير الجزاء. بعد ذلك يبدأ رأس الجوين وبه سيح مفتوح يسمى سيح آل جعبان، ثم تدخل إلى الجوين وهي أرض آل عبد الباقي. وأول حصن يقابلك هو حصن آل جعبان، ويقع في تلة مرتفعة تسمى قارة أم اللبن وإلى جانبها نخيل. والحصن الثاني هو حصن آل النمر ويقع بين الجوين والخنخان وهم من آل عبد الباقي. والحصن الثالث في

الجوين: حصن آل عموري، وإلى جانبه نخيل وعلوب وهو في منطقة الجوين. وهنا ينتهي الجوين وتدخل وادي يسمى مرافز، وأول حصن يقابلك فيه هو الحصن الرابع ويسمى حصن آل قلط، ويقع في وادي يسمى حمى قلط وبه كريف للماء أنشئ حديثا أسفل ذلك الحصن .

وموقع حصن آل قلط، الذي يشرف على الوادي، استراتيجي، وهو حصن دفاعي وبه مشارف للرماية. وقد صعدت إلى أعلاه. وآل قلط هؤلاء هم فخيذتي التي أنتمي إليها وقد قال الشاعر عن ذلك الحصن: (يا حصن بن قلط فوق الحمى بادي .. تضرب الركب لي قبل بين مضماه والوادي". ومضماه: وادي يقع مقابل الحمى قلط.

ثم يأتي الحصن الخامس في مرافز، وهو حصن شاغي النقيطي، ويسمى حصن آل عساله وبه أرض زراعية وعلوب [أشجار السدر]. والحصن السادس حصن أم الأصبع ويسمى حصن آل هيثم، وهو من أعمال الجوين، وإلى جانبه بنيت غرف وحمامات حديثة وحوله سور. والحصن السابع حصن آل خويم، ويقع في منطقة يقال لها الفرعه ويقع في وادي جبا وبه أرض زراعية تسمى الفرعه. والحصن الثامن حصن آل عموري، وهو في الفرعه من وادي جبا وبه أرض زراعية. والحصن التاسع حصن قصاف، وهم من آل عبد الباقي وتحته أرض زراعية وهي ذبر فقط. والحصن العاشر حصن آل ضروس، وتحته ذبر زراعي وعلوب. والحصن الحادي عشر حصن آل عساله، ويطل على أم الملح المطل على جباء وبه نخيل وعلوب، وقد بنى به ابن عمنا

الشيخ سعيد البرك بن عساله العامري قصرًا حديثاً عامرًا بالماء والكهرباء والاتصالات، وهذا القصر مقصد للضيوف وهذا القصر بتنا فيه مع أفراد عائلتي، وبعض إخواني وكثير من الضيوف في إجازة عيد الفطر جعل الله ذلك في ميزان حسناتهم.

والحصن الثاني عشر حصن آل جعبان، ويشرف أيضا على وادي جباء. والحصن الثالث عشر حصن آل سعيد بن على بن نبيل، ويشرف على أم الملح ووادي جباء. والحصن الرابع عشر حصن آل عموري ويقع في منطقة يقال لها المخينوقة وهو خارج جِباء ويقع في ضمر حلوف وبه أرض زراعية. والحصن الخامس عشر حصن آل قلط، وهو الحصن الثاني لهم ويقع في حلوف، ويقع في وادي يقال له الضواد، وبه كريف ماء وبه أرض زراعية وعلوب، ويسكنه كثير من أصحاب النحل؛ لكثرة أشجاره، ووجود كريف الماء ويسمى كريف الضواد. والحصن السادس عشر حصن آل جعبان، ويقع في منطقة يقال لها النخلة، وبه زراعة ونخيل، وتسمى أرض آل جعبان ويقع في وادي جباء. ثم نصل إلى وادي يقال له وادي جزلاه، ويقع فيها الحصن السابع عشر، ويسمى حصن آل سالم، وهم من آل عبد الباقي. والحصن الثامن عشر حصن آل دومان، ويقع خارج جبا في وادي يسمى كهيف، وهو تصغير كهف. وبعد ذلك وصلنا إلى واد يقال له برص، وهذا الوادي به أرض زراعية ونخيل وعلوب ومقبرة كبيرة مسورة، بها مكان معد لتغسيل الموتى. فجزى الله من سورها ورتب أماكن التغسيل للموتى خير الجزاء.



وطبعا الطرق بين هذه الحصون والوديان ليست معبدة ولا ممهدة، وهي سالكة للجمال والسيارات، وتجد متعة وأنت تتنقل بين جنباتها، حيث الأشجار والشجيرات"

****

الإدارة والتضاريس والسكان والهجرة

يذكر مؤلف (رحلتي إلى النيد) أن النجود كانت قبل 1967، "تخضع بصورة عامة للعرف القبلي، والدولة الكثيرية نفوذها يكاد يكون معدوماً. وبالنسبة لقف العامري فقد كان يخضع لشيخ طائلة العوامر. وهو في ذلك الوقت أي في الأربعينيات

والخمسينيات عائض بن مبخوت بن طبازة. وهذا قبل الثورة أي ثورة ١٤ أكتوبر بحوالي ٢٥ سنة."

ويذكر العامري أن قف العوامر أصبح اليوم يشكل جزءا من (مديرية القف)، وهي إحدى مديريات وادي وصحراء حضرموت. ويكتب " وتنقسم مديرية القف إلى (١) إذنه (٢) الشتم (٣) الحوجاء (٤) الرحاب (٥) جِبَاء (٦) المباركة (٧) تميس (٨) حُزُر (٩) رِتْيبي (١٠) شَهْمَاه (١١) صَيْق (١٢) طرون (١٣) ظيلم (١٤) فرع (١٥) القويع (١٦) كهيف (١٧) مخيه (١٨) هواه. وهذه الأسماء تقع جميعها في الهضبة الشمالية من وادي حضرموت". ص8

ويستطرد المؤلف في الحديث عن تضاريس هضبة حضرموت الشمالية، التي تضم قف العامري وقف الكثيري وقف أو ريدة الصيعر، ويركز على منطقة جباء .ويذكر أن "أعلى ارتفاع في الهضبة الشمالية يصل إلى حوالي ثلاثة ألف قدم فوق البحر، وأمطارها تنحدر جنوباً نحو وادي حضرموت لا تنحدر نحو الرمال. وإنك حين تكون قريبا من عقبة قتبة تشاهد بعض الأخاديد الجبلية مكونة الأودية الجرداء القاحلة والخضراء في بعض الأماكن مثل وادي ثبي ووادي عيديد أودية خضراء هي مستقر للإنسان لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض."



ويشير إلى أن سطح الهضبة الشمالية مغطى اليوم "بمجموعة من السيوح ومفردها سيح، والأودية مثل الجوين والخنخان ومرافز ووادي النخلة، والتي تصب أوديتها في جباء. وهناك مجموعة من الجبال الصغيرة وتسمى قويرة، وهي تصغير قارة متناثرة هنا وهناك، وتنحدر عنها أودية سحيقة ذات سلاسل جبلية وعرة، وأخاديد تستطيع رؤيتها من أعلى كقطعة لحم كبيرة قام ضرغام بغرز أظافره وقطعها إربا إرباً. وهذا الموقع ذو الصخر الجيري كان قبل ملايين السنين تغطيه المياه العميقة، هل كانت مياه أنهار أم بحار؟ الله أعلم. المهم أنها كانت مغمورة بمياه، وإلا بماذا تفسر وجود قواقع متحجرة على سطح تلك الجبال؟ وهناك الأحجار الكبيرة والصغيرة التي بها ثقوب وزوائد مثل الشعب المرجانية المتحجرة، ثم بماذا تفسر وجود النفط بكميات هائلة، أليس هذا تحلل للنباتات والكائنات الحية التي كانت تعيش في تلك المنطقة؟ هكذا يفسر أهل علم الجيولوجيا من خلال

دراساتهم لطبقات الأرض، ومن خلال تحليلهم لطبقات الأرض ومن خلال تحليلهم لتركيب النفط الموجود في تلك المناطق."

**

وفيما يتعلق بسكان القف، يؤكد العامري أن "النيد أو قل النجود الثلاثة ليست محل استيطان دائم، وإنما حين يتوفر الماء والكلأ للإنسان وماشيته يكون الاستيطان". ويبرر بذلك تنقل سكان تلك النجود بين القف ووادي حضرموت، كل سكان نجد بالقرى والمدن المقابلة له في الوادي، فهو يكتب: "حين تشاهد من الجو الاستقرار البشري وتربطه بالهضبة الشمالية فإنك تجد الآتي:

1- قف العوامر في الهضبة الشمالية تقابله في الوادي منطقة تاربة ووادي الذهب، ولن تجد عوامر يسكنون في غيرها باستثناء فخيذ آل عانوز، وهم من آل عبد الباقي العوامر ويسكنون بين تريس والغرفة، ولهم حصونهم ومزارعهم ومثواهم في تلك المنطقة، كذلك آل عسانه ويسكنون في ساحل حضرموت، هذا بالنسبة للعوامر وقفّهم. وكذلك من جهة الصحراء تجد آل عزيز بن عامر ويسكنون ثمود وخضره وقناب.

٢ (قف الكثيري في الهضبة الشمالية تقابله في الوادي المنطقة من بور وسيئون والعروض إلى ما جاوز القطن وحريضة ومواقع بسيطة أخرى.

(٣) قف الصيعر (أو ريدة الصيعر): يقابله في الوادي ما بعد حريضة إلى الرملة.

أي أنه في فترات الجفاف والجدب في الهضبة الشمالية يرتحل السكان بمواشيهم إلى وادي حضرموت الخصيب، وهو الوادي الأخضر على مدار العام وحيث المياه السطحية القريبة من السطح. وهذا التقسيم بين الهضبة الشمالية ووادي حضرموت لم يأتِ من فراغ، بل فرضته ظروف الحياة القاسية طلبا للرعي والكلأ والماء."

**

ويكرس عمر العامري فصلا من كتابه لموضوع (هجرة أهل النجود إلى السعودية والخليج). يستهله قائلا: "تعد الهجرة وترك الأوطان آخر ما يفكر فيه الإنسان، لكن هناك أسباب تؤدي إلى تلك الهجرة، منها: الجفاف، وقلة دخل الفرد، فدخله من أرضه لا يكفيه؛ فيلجأ إلى التفكير في الهجرة التي قد تكون بسبب الحروب والفتن والتغيرات المناخية أو السياسية.. وكل هذه العوامل مر بها الإنسان في حضرموت، لذا لا تستغرب أن تجد جاليات كبيرة من الحضارم ومن أهل النجود في الهند، وأفريقيا، وشرق آسيا، وأخيرًا في دول الخليج العربي والسعودية، حيث كونوا هناك جاليات عظيمة بأعداد كبيرة في بلد الاغتراب، وإن قبائل بكاملها قد انقرضت في موطنها الأصلي ووجد لها فروع هناك في بلد المهجر. ومنهم من حمل جنسية تلك البلدان، خاصة في الخليج والسعودية، لقرب تلك المهاجر من حضرموت ولتقارب عاداتهم وتقاليده ولوجود فروع وأصول لتلك القبائل في بلد الاغتراب.

وقد أثر هذا الاغتراب في المغترب خاصة، إذا ما عرفنا أن أول حضرموت ذوي خبرة وباع كبير في التجارة. وقد كان لهذا الاغتراب الأثر الجيد على حياتهم وعلى بلداني فانقلبت حياة البدوي منهم إلى تحضر، وتغير في كل شيء، ملابسهم وطباعهم، وأخلاقهم، ونمط معيشتهم، ولهجتهم، وهذه نعمة من الله من بها على بادية حضرموت وحضرها فتحسن دخل الفرد وقاموا بتنفيذ العديد من المشاريع مثل: بناء المساجد ، والمدارس ، والمستشفيات والمساكن الجميلة الفارهة ، خاصة وأن معظم المهاجرين سواء من البدو او الحضر قد اشتغلوا بالتجارة ، وأقاموا شركات ضخمة وعلاقات واسم سواء مع السلطات ، أو مع عامة شعوب بلدان الاغتراب... وعلى الرغم من بعض إيجابيات تلك الهجرة غير أن لها العديد من السلبيات منها أنه من يهاجر عادة هم من الشباب ومن أصحاب الخبرة والكفاءة؛ لذلك خلت بعض البيوت من شبابها ومن أهلها خاصة في النجود الثلاثة فأهملت الزراعة وأهملت الثروة الحيوانية ، بل وخلت تقريبا بعض النجود من أهلها ، لكن لله في ذلك ما أراد."

***

عادات الزواج والملابس وحل النزاعات والأسلحة في جباء

يؤكد عمر العامري، مؤلف (رحلتي إلى النيد)، أن "العادات والتقاليد يتوارثها الأبناء من الأجداد، وتنتقل من جيل لآخر، فهي سجل الشعوب. والشعوب تحافظ دائما على موروثها، وتحاول توثيقه وتسجيله لأنه يمثل السِّجل التاريخي لتلك الجماعة أو القبيلة أو المجتمع عموماً". لهذا ليس مستغربا أن تتحول الرحلة

التي قام بها عمر في مايو 2020، عند تحول كورونا إلى وباء عالمي، إلى ما يشبه البحث الميداني الهادف إلى جمع أكبر عدد ممكن من عادات أهل قف العوامر وتقاليدهم وأعرافهم. فهو كرّس خمسة فصول من كتابه (العادات والتقاليد والأعراف، حل المشكلات في جباء، طرق حفظ الأطعمة، عسل النحل، ومصطلحات عند أهل النجود) لتقديم عدد كبير من العادات الاجتماعية عند العوامر. ويؤكد أنه قد استقى معلوماته من أفواه بعض المسنين المستقرين في القف. وذكر أن "العم عمر البريك وأمثاله يملكون ذخيرة تاريخية ويجب الجلوس معهم، وتسجيل ما يمكن تسجيله حفاظا على الموروث التاريخي الذي إن أهمل ستنساه الأجيال."

وقد بدأ العامري بالحديث عن عادات الزواج في جباء، وتحديدا بعادة (التُّغُوَّى) التي كانت تعدُّ خطوة تمهيدية للزواج عند البدو، وقدمها على النحو الآتي: "هي عادة يمارسها العرب منذ القدم، إذْ يتعرف الشاب على الشابة وتجلس معه ويتحدثان في عشق عذري، ولا يلمسها لأنه إذا لمسها بيده "عتبها"، وعندئذ عليه أن يدفع مبالغ طائلة، أو بندقية، أو أغنام، ولا تقبل به المرأة أن يكون زوجاً لها، ويعدونه مخلا بالمروءة والشرف. والمرأة في هذا السن تكون عادة ترعى الغنم، ولا تجلس في الخيمة، بل تكون دائما مع أغنامها باحثة على الكلأ والمرعى؛ من هنا تجد المرأة الفرصة للخروج والتحدث مع من تقابل. والمرأة معها كل الحرية في اختيار شريك الحياة، والتعرف عليه وعلى سلوكه وخلقه، وقد يستمر التغوى أشهر عديدة، وقد ينتهي بالزواج،

وقد لا يتفقان فيحصل التباعد بينهما. والتغوى وحديث الرجل مع المرأة، أو قل عنه العشق العذري عرفته العرب، بل وتفتخر به. وما مقدمات المعلقات السبع التي علقتها العرب على جدران الكعبة وكتابتها بماء من ذهب، وحديث المحب لمحبوبته وغزله الشريف مثل كثير وعزة، وجميل وبثينة وعنترة بن شداد وعبلة،... إلا خير دليل وشاهد على هذا السلوك العفيف والذي ظلت العرب في باديتها تمارسه إلى اليوم، وهو مناف للشرع. ونعود لواقعنا: إما في حالة الانسجام بين الاثنين فيقدم الشاب لخطبة الشابة ويتم الاتفاق على المهر وموعد الزواج.

وعادة يتم اختيار موعد الزواج في موسم الخصب حيث الكرفان ممتلئة بالماء والكلأ متوفر للماشية والجمال فيحصل العرس. وعادة يكون ثلاثة أيام مثل عادة أهل وادي حضرموت، حيث تتم عملية الحناء للعروسة في اليوم الأول من العرس. وفي الليلة الثانية تزف العروسة إلى موقع مهيأ لهما إما خيمة صغيرة أو غار وتزف العروسة من قبل النساء بالأهازيج والزغاريد وهكذا أو إطلاق الأعيرة النارية كناية عن الفرحة... وقديما لا يدخل العريس على زوجته في الأيام الأولى من العرس، بل ينتظران حتى ينفض الأقارب عن موقع العرس، ويصبح أهل العريس وأهل العروسة لوحدهم، فيهيأ مكان للعرسان ويتم ترتيبه سواء كان غاراً، أو جانب من صخرة كبيرة ونحو ذلك فيدخل العريس على عروسته، وقد أخبرني بذلك أكثر من واحد بهذه الطريقة. بساطة ما بعدها بساطة."

وبعد ذلك يتناول المؤلف عادة الرقص أو الشرح عند سكان القف، وقدمها قائلا: "قديما أي في الستينيات، كان الرقص مختلطاً، أي أن الرجال والنساء يرقصون في حلبة واحدة، تسمى: المدارة. وأشهر رقصاتهم هي المريكوز والهبيش والشرح. ولا تستخدم فيه الطبول، بل الرقص بالأيدي، ويتفاعل معه الجميع الكبار والصغار والرجال والنساء، بل حتى العروسة كانت تشارك فيه، وترقص مع الجميع وتُعطى لها المعونة "الطرح" حيث تستلمه في الحلبة أحد قريباتها. ويستمر الشرح حتى ساعات متأخرة من الليل، لكن تظل الحشمة الاحترام هما سادة الموقف. والمرأة تكون محجبة وعليها النقاب. هذا طبعا كما قلت في الستينيات وما قبلها. وذكرت هذا الأمانة النقل التاريخي. أما اليوم والحمد لله، وبعد أن انتشر الوعي الديني في الحواضر والبوادي، تم التفريق بين الرجال والنساء، سواء كان العرس في جباء أو في هضبتي وادي حضرموت؛ وأصبحت للنساء رقصاتهن الخاصة في معزل عن الرجال، وللرجال رقصاتهم الخاصة في معزل عن النساء. غير أنه في بعض الأماكن قد تستأجر بعض الراقصات عند بعض الأفراد ويرقص معها الرجال. وهذا ظل باقيا إلى اليوم هداهم الله؛ لأنه مخالف للسنة ونحن مأمورين بالحشمة والعفة."

ويذكر المؤلف الهدايا التي "يطلبها أهل العروسة بعد المهر، وبالذات لأخوال العروسة وخاصة الرجال منهم فتعطى ما يسمى "الملاحف" ومفردها ملحفة وهي قماش يلتحف به الرجل مثل الإزار لونه أسود. هذا بالنسبة لأخوال العروسة، قلّ عددهم أو

كثر، وهذا ليس في جباء وحدها بل في النجود الثلاثة. وفي المقابل على الخال أن يقدم هدية للعروسة وهي إما خاتم من الذهب أو ملابس أو ذبيحة، هكذا كان العرف العام عند أهل بادية حضرموت سواء في الهضبة الشمالية أو الجنوبية."

وبالنسبة للملابس، يذكر العامري أن "الرجل في جبا كان يرتدي قديما (السواد)، وهي الملاحف، يعمل أحدها إزارا يتزر به ويجعل الأخرى على كتفه، ويلف حول رأسه العمه. وقد يلبس مقدمهم العقال الأسود أو الذهبي كي يتميز عن بقية أفراد القبيلة."

أما المرأة فترتدي عادة ملابس فضفاضة كي تسترها، وهي محتشمة، فالأكمام واسعة. والثوب يسمونه القميص ويكون عادة غليظ أي ليس بالشفاف وذلك للحشمة، ويكون لونه عادة أسود ويسمونه المعلوم، ويُفصّل على شكل ذيل من الخلف وقدمه من الأمام، أي أنه قصير إلى دون نصف الساق في الأمام وذيل في الخلف. ويقال إن الذيل هذا فرض على نساء حضرموت وكذلك اللون الأسود للرجال والنساء حين حصلت الحروب بين عبد الرحمن ابن عطية والأباضية... وقد ظل القميص إلى عصرنا الحاضر وفيه الذيل، وأصبح رمزا ترتديه المرأة البدوية والحضرية في مدن وبوادي ونجود حضرموت."

ثم يقدم المؤلف عادة السلاح في القف، ويؤكد أن "الأسلحة تُعد في نظر البادية من الزينة ومكملة للرجولة والشخصية؛ فكانوا قديما يحملون على أكتافهم بندقية، أو فتيلة مثل غيرهم من قبائل حضرموت... والنوع الثاني من الأسلحة الشائعة الاستخدام في النجود وكل بوادي وحواضر حضرموت هو السلاح الأبيض

وهي: الجنابي الحضرمية، التي تعد من أشهر الجنابي. وقد تفنن فيها الصناع الحضارم، وجعلوا ممسكها قرن الزرافة، وطعموها بالذهب والفضة وعملوا لها الجفير والحزام الجلدي المميز، والمطعم بألوان زاهية من الحديد. ولعل أشهر أنواع الجنابي الحضرمية النوع المسمى القبلي ورأسها من قرن الزرافة. والنوع الثاني المسمى القصيبي، ويأتي من الهند مع تطعيمه في حضرموت. والنوع الثالث المسمى القديمي. ومن السلاح الأبيض أيضا توجد الغدارة والنمشة وكذلك السكاكين وكل هذه الأسلحة كان يتمنطق بها سكان الجزيرة العربية.. أما السيوف فكان سكان النجود قليلا ما يستخدمونها، باستثناء سلاطينهم من آل كثير."

ومن عادات سكان قبائل وكل سكان النجود البوادي والحضر التي يقدمها المؤلف في كتابه: الكرم، وهي عادة وصفة حميدة وميزة يمتاز بها العرب جميعا، فتجد أهل النجود يستقبلون الضيف بحفاوة بالغة سواء الاستضافة والترحاب، فيقدم له اللبن والقهوة والتمر وقد يذبح له الذبيحة."

ويشير العامري إلى أن القنص يعد الهواية المفضلة لدى الكثير من سكان النجود، في والحاضر. وقنيص الوعل الذين يسمونه تيس الجبل هو الأمنية الأولى للرجل في القف. ويذكر أن من الحيوانات التي يقنصونها الظباء التي تتردد على مصادر المياه والكرفان والنباتات البرية في النجود.

ويقدم العامري في كتابه (رحلتي إلى النيد) بعض طرق حل النزاعات بين سكان النيد، ويذكر أنهم يعتمدون في حل مشاكلهم على نظام عربي قديم وهو: القعيدة. ووفق هذه العادة "يقعد

المتخاصمون بوجود أفراد من الأقارب وكبار السن، فيطرح الطرف الأول مشكلته، ويحاول أن يثبت حقه بكل ما أوتي من حنكة وخبرة أمام القعيدة. وبعد ذلك يتحدث الطرف الثاني باذلا جهده ومراوغته للدفاع عن نفسه وعن قضيته. وهذا يعني أنها محكمة منعقدة، والقاضي فيها هو الأكبر سنا، أو الشيخ أو من يرونه من الحضور مناسبا للحكم. وفي حالة الفشل أو إصرار أحد الأطراف على رأيه يطلب أحد الحاضرين من الطرفين اللجوء إلى شخص ثالث محايد، سواء إن كان من القبيلة أو من خارجها.

وهناك عادة (العدالة) وهي عربون يطلبه الشخص الحكم، وهي إما أن تكون بندقية أو جنابي أو سيارة، وتعتمد العدالة على حجم المشكلة وكبرها أو خطورتها، وتسمى بالعدالة المثقلة خاصة في حالات الدماء أو القتل أو السطو أو القدح في الشرف أو غيره من المشكلات. ويرى العامري أن هذا النوع من الحلول لا يزال معمولا به إلى اليوم خاصة في ظل ضعف المحاكم، ووسائل التقاضي الرسمية ويسمى هذا الأسلوب بالأحكام القبلية. وبعض هذه الأحكام تكون جائزة، وبعضها لا يتفق مع مثل أن يطلب المحكم مجموعة حلاقة على الرغم قوانين الأحوال المدنية، أنهم لم يشهدوا حيثيات القضية ولكنهم يحلفون على قول صاحبهم، هكذا جرى العرف عندهم.

ويذكر المؤلف كذلك عادة (النقد) في حل المشاكل، ويقول عنها "وهي مرحلة متأخرة من الحلول ويلجئون لها في حالة أن أحد المتخاصمين لم يقتنع بالحكم أو أنه وجد فيه غبنا أو ظلما عليه فيلجأ إلى النقد الذي يشبه الاستئناف، ويتم النقد عادة عند

شخص صاحب خبرة في مثل هذه الأمور، ويكون عادة في كل قبيلة أفراد متخصصون في النقد، لهم وجاهتهم واحترامهم. وفي وادي حضرموت تلجأ القبائل إلى مقدم العوامر، أو الحكم بن ثابت النهدي، أو غيره من شيوخ القبائل المتعارف عليهم. هكذا تحل المشكلات في جبا وفي معظم النجود وغيرها من المناطق القبلية.

وقد يلجأ الجميع إلى الدولة حيث القوانين والدساتير والقضاء عبر المحاكم، وأهل جبا يتجهون لأقرب محكمة وهي إما في تريم أو سيئون. لكن الصلح هو سيد الأحكام."

مع ذلك يؤكد المؤلف أن معظم أهل البادية يفضلون الأحكام القبلية على أحكام القضاة والمحاكم وذلك أن هذا النوع من التقاضي لا تدخله الواسطة ولا الرشوة ولا المحسوبية، ويكون سريعاً ولا يأخذ أكثر من نصف شهر. ومعظم الأحكام تكون متعارف عليها بل وتكاد أن تكون مكررة، ويسمونها السوارح، أي أنها قد سرحت بها العادة والأعراف والتقاليد.

أدولف فون فريده

ووصوله إلى (البحر السافي) سنة 1843



قبيل منتصف القرن التاسع عشر، وتحديدا في سنة 1843، قرر البارون الألماني أدولف فون فريده Adolph Von Wrede، الذي خدم ضمن القوات اليونانية وأقام فترة طويلة في مصر، العمل بنصيحة الجنرال جيمس ويلستد، أي التنكر في ملابس مسلم، والتظاهر بالرغبة في الحج إلى قبر نبي الله هود المقدس

في حضرموت، الذي اتخذه نصيرا له من خلال تسمية نفسه: عبد الهود.

وقام فون فريده، قبل الشروع في رحلته الاستكشافية تلك، بمقابلة عددٍ من الأشخاص من المطلعين على معلومات حول جنوب الجزيرة؛ فألتقى بالقنصل الفرنسي في جدة، المستشرق دي فرينل، وفي عدن قابل الرحالة اليهودي أرنو. وفي مطلع صيف العام نفسه ركب السفينة من عدن، وغادرها في ميناء رأس بروم. ومنها توجه برا إلى المكلا، ولم يمكث فيها إلا أياما معدودة. ففي السادس والعشرين من يونيو 1843 توجه شمالا قاصدا وادي حضرموت، متنكرا في زي مسلم، برفقة أربعة عشر رجلا من قبائل العكابرة، على رأسهم بدوي يدعى عقيبرة.

في بداية الرحلة سلكوا ممرات جبلية ضيقة تتناثر فيها الصخور وينابع المياه وقليلا من الأشجار والقرى. وفي اليوم الرابع تسلقوا جبلا شاهق الارتفاع وفي قمته ينتصب جبلان صغيران يشكلان مدخلا ضخما. ورغم أنهم كانوا في الصيف ألا أن البرد كان شديدا في ذلك الارتفاع .ثم دخلوا سهلا منبسطا (الجول)، وصفه فريده قائلا" :لم نر من الغرب إلى الشمال إلا سهلا فسيحا يميل لونه إلى الصفرة، وانتشرت فيه بعص التلال مخروطية الشكل تارة، والشبيهة بالقبة تارة أخرى. ثم انتصبت أمامنا في الشرق قمم جبل كورسيبان المطلة على أحد الوديان، وفي الجنوب برزت كتل من الصخور الصوانية مخروطية الشكل، تمتد في مسافة يضيع فيها النظر بسبب الظلام والجو المشحون بالبخار. واستمرت الطريق على هذا النحو ابتداءً من هذا المكان،

وشاهدنا عددا من الصهاريج أو (الكروف) يبعد الواحد عن الآخر مسيرة ساعتين أو ثلاث، لكننا لم نلمح أية قرية أو شجرة تقطع رتابة مشهد ذلك السهل الفسيح. وكان الهواء فيه لطيفا في النهار، وتشتد البرودة أثناء الليل."

وفجأة، بعد أن تقدموا قليلا باتجاه الشمال، اندهش فريده حينما وجد نفسه في مدخل مضيق ينحدر تدريجيا من حافة الجول، ويطل على واد شديد الخصب والاخضرار. وفي ضفتي الوادي تتناثر بعض القرى والمدن ومزارع النخيل والحقول التي تروى بقنوات تمتد من وسط الوادي. ويكتب فريده" :إن النزول إلى الوادي خطر، لاسيما في بدايته، فهو عبارة عن جرف لا يزيد عرضه في أماكن كثيرة عن أربعة أقدام، في اليسار يقع الجانب الصخري، وعلى اليمين يطل على هوة هائلة. يدعى هذا الوادي: وادي دوعن".

وتقدم فريده في وادي دوعن حتى وصل أهم مدنه: الخريبة، ونزل فيها ضيفا على شيخ بني عيسى. وفيها ينسى مؤقتا رغبته في الوصول إلى قبر نبي الله هود الذي يقع في أسفل وادي حضرموت وأتجه غربا بهدف الوصول إلى وادي ميفعه ومشاهدة آثار هجر النقب التي رآها ويلستد وكتب عنها. لكنه لم يستطع الوصول إلى مكان الخرائب لأن جماعة من البدو اعترضوا طريقه، وعوضا عن ذلك رأى في وادي ميفعة جدارا قديما نسخ ما عليه من نقوش وعاد إلى الخريبة في وادي دوعن. ومنها أتجه جنوبا حتى وصل مدينة عمد التي تقع في الوادي الذي يحمل الاسم نفسه، ويقول إنه قد التقى فيها برجل حضرمي سبق

له أن زار الهند واكتشف حقيقة هويته لكنه لم يفضحه .ومن عمد أتجه فريده غربا حتى بلغ منطقة ساوا القريبة من رخية، وفيها قالوا له إنه على مسافة يوم من صحراء البحر السافي أو رمال الأحقاف، ويكتب" :إن هذا القسم من الصحراء يستمد اسمه من الملك السافي الذي انطلق على رأس جيشه من بلاد سبأ، وأراد أن يجتاز هذا القفر فهلك جيشه. والناس يزعمون إن فيه أماكن كثيرة يختفي فيها كل شيء عن سطح الأرض ويغور في الرمال. وقد أسرعت في اليوم التالي في التوجه نحوها للتحقيق من هذه المزاعم. وبعد مسيرة ست ساعات بلغت حد الصحراء، وهي سهل فسيح يقدر انخفاضه عن النجد (الجول) بألف قدم، وانتصبت فيها تلال كالأمواج، فبدت لناظري كالبحر المضطرب. ولم نر فيها أي نبات أو طير يقطع بشدوه صمت الموت الذي كان يخيم على قبور أفراد الجيش السبئي. ورأيت ثلاثة أماكن تميزت ببياضها الناصع، وقال لي رفاقي البدو: هذا هو البحر السافي، وهذه الهوة السحيقة تسكنها الجن التي غطت الكنوز المودعة بالرمل الخداع، ولا شك في أن من يجسر على الدنو منها تجتذبه إليها. ومن الطبيعي أنني لم أعر هذه النصيحة أي اهتمام بل، على العكس من ذلك؛ سألتهم أن يقودوني إلى جوار تلك الأماكن حسب اتفاقنا. وكان لا يزال أمام جمالنا مسيرة ساعتين لبلوغ أسفل النجد. وعبثا سألت البدو إيصالي إلى تلك الأماكن، فقد امتنعوا، ولم أتمكن من إقناعهم بذلك، لأنهم كانوا يخشون الجن إلى درجة أنهم لم يكونوا قادرين على أن ينبسوا ببنت شفة، لذا قررت الذهاب إليها بمفردي، مخاطرا بنفسي، حاملا مسبرا يزن نصف كيلوجرام، ربطت إليه حبلا رفيعا طوله

ستون باعا. وبأقصى ما يمكن من الحذر اقتربت من الشفا لأتفحص الرمل الذي ألفيته دقيقا جدا. وقذفت بمسبري أبعد ما أمكنني. فأختفى في الحال، وتضاءل تسارع اختفاء الحبل شيئا فشيئا، إلا أنه بعد انقضاء خمس دقائق اختفى تماما. ولن أسمح لنفسي بتدوين أية ملاحظة عن هذه الظاهرة التي لا ريب في أن علماءنا هم الذين يستطيعون تفسيرها، وأكتفي هنا بتدوينها بأمانة."



بعد ذلك عاد وريده إلى الخريبة. وبعد أن أمضى بضعة أيام للراحة قرر التوجه شرقا إلى قبر نبي الله هود في وادي حضرموت برفقة أحد الشيوخ واثنين من أبناء الرجل الذي استضافة في الخريبة. وفي اليوم التالي بلغوا مدينة صيف في وادي دوعن. وفيها تم إلقاء القبض عليه وسجنه وترحيله إلى المكلا. وقد أثارت تفاصيل الرحلة التي قام بها فون فريده إلى حضرموت، لاسيما ما ذكره عن البحر السافي، كثيرا من ردود

الفعل التي شككت في مصداقية الرجل بعد عودته مباشرة إلى بلاده ألمانيا. ومن أبرز المشككين العالمان المشهوران: الكسنردر فون هومبولدت وليوبولد فان بوخ. أما في مطلع ستينيات القرن التاسع عشر فقد بادر البارون هنري فون مالتزان(Heinrich von Maltzan) ، الذي تمكن من أداء فريضة الحج في مكة متنكرا عام 1870، إلى نشر المذكرات اليومية التي سجلها فريده في كتاب وضع له مقدمة تعيد الاعتبار لذلك الرحالة الذي يعد رائد استكشاف وادي حضرموت في العصور الحديثة وقد ذكر المستشار الهولندي المستعرب فان دن بيرخ في كتابه (المستوطنات العربية في الأرخبيل الهندي 1886- ص13-14)، رحلة فون فريده وأشاد بها، وكتب أنه قد التقى في جاوه بأحد الحضارم من هينن يدعي عبد الله أحمد بن سنكر، وذكر له أنه كان شاهدا على عملية اعتقال (عبد الهود، ذلك الغريب الذي تصرف كما لو كان مخبولا، ولم ينقذه من أيدي المواطنين سوى شيخ المنطقة ."ونؤكد هنا أن فون فريده يُعد حقا رائد استكشاف حضرموت في القرن التاسع عشر، وذلك على الرغم من أنه وصل فقط إلى رخية في غرب وادي حضرموت، ولم يتجاوز مدينة حورة في الشرق، ولم يستطع أن يصل إلى هدفه الأولي: زيارة قبر النبي هود في أسفل الوادي.

وصف هانس هيلفريتس (للبحر السافي)

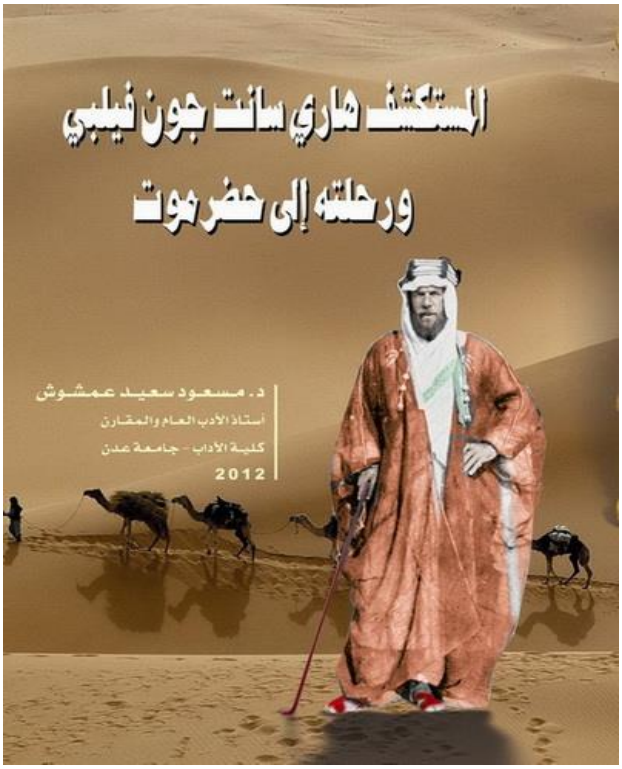
يوظف هانس هيلفرتيس الوصف لإضفاء نوع من الواقعية على ما يقدمه من معلومات حول حضرموت، ومع ذلك فنصوصه لا تخلو تماما من بعض محاولات "أسطرة الشرق"، وذلك من

خلال مزج مشاهداته بالمعتقدات والأساطير الشعبية. ونعثر على هذا النوع من "الأسطرة"، ممزوجا بمسحة من الروح الرومانتيكية التي تبحث عن الصفاء والنقاء وسط الصحاري العربية، في الصفحات الرائعة التي يصف فيها هانس هيلفريتس منطقة (البحر السافي) الواقعة في أطراف صحراء الربع الخالي ورملة السبعتين، وذلك حينما عبرها سنة 1933 في طريقه من وادي حضرموت باتجاه شبوة. وفيها يكتب: "كنا قد وصلنا إلى منطقة الربع الخالي، وهي الأرض الصحراوية المرتفعة الفسيحة، التي تمتد على طول الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية، من حضرموت الجنوب إلى الخليج في الشمال، والتي تبدو على خريطة البلاد العربية وكأنها قطعة بيضاء لا يعرفها أحد، ولم يسبق أن اكتشفها إنسان. إنها بلاد صحراوية خالية لا سيد عليها ولا مسود، ولم يسبق لأي حاكم أو سلطان أن فرض حكمه عليها. إنها منطقة حرام تضم محيطات لا أعماق لها من الحجارة والرمال. ويسمى المكان الذي وصلنا إليه من هذه المنطقة الآن: البحر السافي. ومن المعتقد كما يقول البدو أن هذا البحر موجود في الحقيقة، وأنه يضم مساحة هائلة تحيط بها الرمال من كل جانب. وقد تحدث فون فريده نفسه عن خيوط القياس والوزن التي ابتلعتها رمال البحر السافي. ويقول البدو إن قوافل بكاملها قد ضاعت فريسة هذه الرمال الخادعة... وكان البدو ينظرون إلى الدوامات الهوائية التي ترتفع فوق هذه الرمال نظرة الرعب والخوف، إذ يعتقدون أن أفراد الجن يتقمصونها. ويعتقدون كذلك أن الصحراء مأهولة بمختلف أرواح الموتى والشياطين والأبالسة الذين يألفون ملكوتا بين الحياة والموت،

وكثيرا ما خيل إليّ بأنهم على صواب في هذا الرأي. ويكره العربي الصفير لأنه يخشى من دعوة الأرواح. فهنا، عندما يقام المخيم لقضاء الليل، ويستلقي الإنسان والحيوان طلبا للراحة، ويسود الهدوء الكامل ويختفي القريب والبعيد اختفاء جزئيا في ضوء النجوم الأزرق الخافت، وهي تبدو قريبة من الأرض وأكبر حجما من المعتاد، يشرع الإنسان في سماع أصوات منشدة ترتفع خافتة ثم تنخفض إلى حد الاختفاء؛ إنه صوت تلك الرمال التي تغني وتقفز وتركض. ويحس الإنسان بشعور غريب من التجلي والتكشف الصوفي، ويشعر بالحياة الخفية التي تفح بها الصحراء، والتي تبدو متينة في ظاهرها. وعلى الرغم من أن الإنسان لا يمسك بهذه الحياة الخفية بحواسه الخارجية العادية، إلا أنه يجدها تملأ عليه كل أفكاره ومشاعره. وبات في إمكاني أن أفهم لماذا يرى العرب في هذه الأراضي غير المأهولة موطنا لكائنات غيبية وغير مرئية. وقد أثّرت في هذه القوى المنبعثة من الأرض والهابطة من السماء وتركتني أسيرا لسحرها. واتضح لي شيء آخر: فقد تحررت من جميع روابط الوجود الإنساني، وأحسست بدنوي من وجود غيبي آخر. وتفهمت فجأة لماذا وصلت مفاهيمنا عن الله منتهى الصفاء والنقاء والنبل في بلاد الصحاري، ولماذا قامت ديانتان من أعظم ديانات العالم في مكانين قريبين من هذه المنطقة".

استكشاف عبد الله فليبي

للربع الخالي ورملة السبعتين



هاري سانت جون فليبي (عبد الله فليبي) شخصية متعددة الأبعاد. فهو سياسي ورجل استخبارات بارع، ومستكشف رائد، وتاجر ماهر. وقد كان السبب المباشر لمجيئه إلى الشرق الأوسط، في عام 1914، الإسهام في تمكين حكومته البريطانية من إحكام قبضتها على أكبر قدر من تركة الدولة العثمانية في المنطقة. وعلى الرغم من استقالته من وظيفته الحكومية سنة 1924،

بسبب اختلافه الشديد مع القائمين على سياسة بريطانيا في الشرق الأوسط، الذين اتهموه حينذاك بالعمل لصالح الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، فقد أختار أن يقضي ما تبقى من عمره، أي أكثر من أربعين عاما، في البلاد العربية.

وفي اعتقادنا، لم يكن الهدف الأول لمجيء فليبي إلى الشرق الأوسط وإقامته فيه: خدمة المصالح البريطانية أو ابن سعود، بل أن يكون "أعظم مستكشفي الجزيرة العربية". لهذا السبب، عندما توفي في بيروت عام 1960، ودفن في مقبرة المسلمين هناك، كتب ابنه كيم على شاهدة قبره "أعظم مستكشفي الجزيرة العربية"، وذلك عملا بوصيته.

أولا- فليبي واستكشاف صحراء الربع الخالي:

كان فليبي قد قام في نهاية سنة 1922 بسلسلة لقاءات مكثفة مع جميع أطراف المسألة الفلسطينية في لندن. وكان في تلك الفترة يؤكد أن أهداف بريطانيا وابن سعود تتطابق فيما يتعلق بتوحيد جزيرة العرب من البحر الأحمر إلى الخليج العربي تحت قيادة ابن سعود، وتأمين طريق الملاحة السويس - عدن - بومباي للإمبراطورية البريطانية. وفجأة، في سنة 1924، قررت بريطانيا إجبار فليبي على الاستقالة من منصبه وإحالته إلى التقاعد، وذلك بسبب خلاف حول الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وأشيع أيضا أنه يراسل ابن سعود بدون إذن من حكومته.

وفي نهاية شهر سبتمبر من عام 1924، أقنع فليبي وصديقته الرحالة روزيتا فوربس اللورد برنهام بدعمهما للقيام برحلة لاجتياز صحراء الربع الخالي من جهة الجنوب. وتمكنا كذلك من إقناع صاحب صحيفة (الديلي تليغراف) لتمويل الرحلة بمبلغ 4000 جنيه استرليني. واتفقا أن تقوم روزيتا بكتابة مقالات للصحيفة عن الرحلة، في حين مُنح فيلبي الحق في تدوين كتاب مفصل عنها. واتفقا أيضا على اللقاء سرا في أحد موانئ جنوب الخليج العربي. وفي الطريق أصيب فليبي بالدوسنتاريا وبعض المضاعفات الصحية نتيجة لحقنه بإبرة ملوثة. وتوقف في عدن للعلاج في مستشفياتها. وهناك انضمت إليه روزيتا. وحينما تقدما بطلب تصريح إلى السلطات البريطانية للقيام برحلتهما إلى الربع الخالي، أتاهما الرد بالرفض. وإثر ذلك غادرت روزيتا إلى أثيوبيا، في حين عاد فليبي إلى بريطانيا.

وفي سنة 1925 قدم له بعض الأصدقاء تمويلا آخر لاجتياز الربع الخالي، ومرة أخرى كان نصيبه الفشل. ويقال إن هاري سانت جون فليبي حاول في سنة 1925 أن يصبح وزيرا لدى سلطان عمان. ويؤكد نيكولا كلاب في كتابه (The Road to Ubar: Finding the Atlantis of the Sands)، أن فليبي حينما كان يعمل في جهاز المخابرات في الأردن كان مسئولا على برترام توماس الذي كان يتوق مثله إلى اجتياز الربع الخالي. وحينها نصح فليبي زميله الملازم برترام بأن يتوجه إلى مسقط لأنها أحسن نقطة انطلاق للوصول إلى الربع الخالي. وهذا ما فعله برترام الذي أصبح وزيرا لسلطان عمان في العام التالي.

أما فليبي نفسه فقد ظل يتابع تقدّم صديقه الأمير عبد العزيز بن سعود باتجاه الحجاز، ودخوله المدينة المنورة ثم جدة. وقد سارع حينها في السفر إلى جدة. وفي يناير من عام 1926 لم ينس الأمير عبد العزيز، الذي أصبح ملكاً على الحجاز، أن يدعو صديقه لحضور حفل تتويجه. وعندما غادر الملك إلى مكة، مكث فليبي في جدة لمدة شهرين على أمل الحصول على أي عرض من الملك. ربما كان يطمح أن يمنحه صديقه وظيفة رسمية لديه، أو حتى يعينه وزيرا أو حتى مستشارا رسميا له. لكن، بعد عدة رسائل إلى ابن سعود، لم يحصل فليبي منه إلا على أذن بفتح شركة تجارية بريطانية أسماها: (الشركة الشرقية المحدودة). وتوجه إلى لندن لجمع رأسمال للشركة، وعاد إلى جدة في شهر أكتوبر ومعه 10000 جنيها استرلينيا.

وفي سنة 1928، حينما بدأ فليبي يفكر من جديد في عبور الربع الخالي، أخبر زوجته برغبته في اعتناق الدين الإسلامي ليسهل عليه السفر عبر الصحراء والتعامل مع الملك في شئون التجارة. فمن جهة كتب رسالة إلى زوجته دورا، قال فيها "لو كنت فقط، أو لو أصبحت مسلما، أعتقد أنني سأحصل على هذه الامتيازات بمجرد طلبها". ومن جهة أخرى، كتب رسالة إلى ابن سعود يطلب فيها اعتناق الدين الإسلامي، إلا أن الملك تجاهل طلبه حتى شهر مايو من عام 1930 حينما سأله أمام جميع الحاضرين في مجلسه: "متى ستقوم بشعائر الحج؟". وفي 7 أغسطس من عام 1930 ارتدى فليبي ثوب الإحرام وتوجه إلى مكة وأدى شعائر الحج برفقة المطوف، وذلك قبل أن يؤدي أية صلاة. وفي اليوم

التالي ذهب إلى قصر الملك في الطائف. وهناك ألقى الملك كلمة أشاد فيها بإخلاص فليبي للمنطقة العربية، وذكّر بمعارضته لحكومته، واستقالته من وظيفته للدفاع عن قناعاته. وفي نهاية الكلمة طلب من فليبي أن يكتب مقالة عن دوافع إسلامه ليتم نشرها في صحيفة (أم القرى).

وفي نهاية سنة 1930 تأثرت ميزانية المملكة العربية السعودية بالركود الاقتصادي الذي ساد العالم، ولم تتمكن الحكومة من دفع ديونها للشركة الشرقية، واضطر فليبي إلى إغلاق شركته. وممّا زاد من تعاسته أن صديقه ابن سعود لم يسمح له حتى ذلك الحين من تحقيق حلم حياته: اختراق الربع الخالي، رغم أنه قد أصبح مسلما، وسُمِح له بإلقاء الخطبة في المسجد الحرام. وكما أنه أصيب بالخيبة الشديدة حينما علم أن منافسه برترام توماس الذي- كان فليبي قد نصحه بالتوجه إلى عُمان والعمل لدى سلطانها- تمكن من الذهاب من صلالة إلى الدوحة، واخترق الربع الخالي في فبراير 1931. ولشدة حزنه عزل فليبي نفسه أسبوعا كاملا، وكتب إلى زوجته دورا في بريطانيا: "اللعنة والجحيم لبرترام توماس. أقسم ألا أعود إلى بلادي حتى أعبر الربع الخالي مرتين، ولم أترك فيه شيئا للمستكشفين الآخرين!". وفي الحقيقة، كان الملك ابن سعود في تلك المدة مشغولا. وفي إحدى المرات، عندما كرر عليه فليبي طلب الأذن بالذهاب إلى الربع الخالي، قال له: "اسكت!"، وغادر القاعة. ومع ذلك، لم يستطع فليبي السكوت ولا الصبر. فهذا هو القنصل الهولندي في جدة فان در ميولن يحاول أيضا دخول الربع الخالي من وادي

حضرموت. وهذه هي روزيتا فوربس تحذره من أن الرحالة المصري أحمد حسنين يتجهز لعبور الربع الخالي. وفي مايو 1931 كتب إلى زوجته: "'أنا راحل الآن، لن تروني لمدة عام، وربما عامين، أو أنكم لن تروني أبدا مرة أخرى. وإذا عدت سأكون قد عبرت الربع الخالي".

وحينما نفد صبره ترك فليبي جدة وذهب إلى الرياض في نوفمبر 1931 للحصول على إذن من ابن سعود بمباشرة الرحلة. وأخيرا، في منتصف ديسمبر قال له الملك: "جهز نفسك للرحلة!". ومباشرة توجه إلى عند ابن جيلاوي في الهفوف للاستعداد للرحلة. وغادر من الهفوف في 7 يناير من عام 1932 بصحبة 14 بدويا و32 جملاً. وتوقفت القافلة في (جبرين) للاستراحة، ومن هناك اتجهت إلى الجنوب. وفي (نايفة) بدأت الخلافات تبرز بين البدو وفليبي الذي كان مصراً على استكشاف أكبر مساحة ممكنة من الربع الخالي والوصول منطقة (شنا)، التي وصلها برترام توماس من جهة الشرق قبل عام. وفي النهاية قرر الجميع باستثناء فليبي التقدم باتجاه الشرق نحو ظفار، في حين كان فيلبي يرغب في التوجه عبر الصحراء إلى الغرب. لكنهم بعد إلحاح شديد، وبعد أن دفع لهم فليبي جزءاً من أجورهم وافقوا على تبني خطته. وقد علم فليبي بعد بضع سنوات أن مرافقيه كان ينوون قتله في تلك المنطقة، إلا أنهم تراجعوا خوفاً من غضب الملك. وبعد أن توغلوا في الصحراء لمدة خمسة أيام، ولم يعثروا على أي بئر ماء، قرروا العودة باتجاه الشمال. وفي الطريق، بالقرب من (طايفة)، "سمعوا الرمال تغني واعتقد

البدو أنها الجن". وبعد استراحة قصيرة واصل فليبي رحلته غربا مع سبعة من مرافقيه فقط، ومن دون ماء، حتى وصلوا (السليل) في 14 مارس. ومن هناك توجهوا إلى مكة عبر جبال عسير. وكما وعد زوجته، عاد فليبي في صيف عام 1932 إلى بريطانيا بعد أن طاف وسط رمال الربع الخالي. وكانت تلك هي آخر رحلة يقوم بها فليبي فوق ظهور الجمال.

وفي نهاية عام 1932 نشر فليبي كتابه (الربع الخالي) الذي سرد فيه قصة استكشافه أو مطاردته للربع الخالي. وكتب في مقدمة الكتاب: "بقيت حياتي، طوال خمسة عشر عاما، لا يسيطر عليها سوى طموح واحد وفكرة واحدة، أو إن شئت قل هاجس واحد لا ثاني له. وأنا طوال هذه السنوات كنت بصدق وأمانة وتشدد، وبلا هوادة، أطارد هذه الطريدة، التي ترقد أمام القارئ حاليا، في شكل هذه الصفحات، بعد أن قمت بتشريحها وعنونتها ووصفها. قد لا أكون قد حققت كل ما ابتغيته أو نويت عمله. لكني أنجزت ذلك الذي يريح نفسي، ويحررها من إسار قيودها. وقد لا أكون أيضا أنا الوحيد الذي قام بهذا العمل، أو أول من دخل هذا السباق. فهذا الرجل هو برترام توماس الذي يستحق عن جدارة مجد الريادة. وأنا لم أفعل شيئا سوى التقاط فضلات حصاد ذلك الرجل، على الرغم من أن المسألة لم تكن مجرد مصادفة أن نكون قد عملنا سويا وفي اتجاه واحد في بستان عمّون [في شرق الأردن]، قبل سفره إلى عُمَان. وبذلك ينطبق علينا قول الشاعر العربي القديم:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني". (الربع الخالي، ص29)

وبعد أن حقق حلمه وطاف في الربع الخالي هدأ فليبي وبدا كأنه لم يعد متحمسا للترحال، واهتم أكثر بأمور التجارة والبترول. ومع ذلك كم كانت فرحته كبيرة حينما طلب منه ابن سعود ـ في شهر ديسمبر من عام 1935- أن يسافر مرة أخرى باتجاه الجنوب ليقوم بتثبيت حدود المملكة مع اليمن. ولم ينتظر فليبي الوقت اللازم للإعداد لرحلته، وقرر القيام بالرحلة مباشرة خوفاً من أن يغير الملك رأيه، وهذه الرحلة هي التي قادته إلى حضرموت، والتي سنبيّن تفاصيلها في الجزء التالي من هذه الدراسة.

ثانيا: رحلة فليبي عبر رملة السبعتين:

في سنة 1934 استطاع الملك عبد العزيز بن سعود أن يصل إلى اتفاقية مع جاره الإمام يحيى بن حميد الدين حول المناطق الحدودية المتنازع عليها. وفي الحفل الذي نُظِّم للتوقيع على الاتفاقية كلف الملك صديقه فليبي بإلقاء كلمة نيابة عنه. وبعد الانتهاء من وضع علامات الحدود في عام 1935 كانت هناك حاجة لتوثيقها على الخرائط. ولأجل إنجاز تلك المهمة استدعى الملك عبد العزيز صديقه فليبي في 11 ديسمبر من العام نفسه، وسأله إن كان "يود الذهاب إلى نجران" في جنوب المملكة. وعندما وافق أخبره أنه سوف يذهب عندما يكون الوقت ملائما. (بنات سبأ ص26) وبما أنه لم يسبق له أن زار عسير أو نجران فقد فرح المستكشف فليبي كثيرا بالخبر، على الرغم من أن "أيام

القوة التي تمكنه من الاستكشاف قد أدبرت عنه"، كما يقول في مقدمة كتاب (بنات سبأ، ص14).



وفي مطلع شهر مايو من سنة 1936 التقى فليبي بالملك في مخيمة في عشيرة لبدء الرحلة. وبما أنها مهمة رسمية فقد أعطى جلالة الملك تعليماته لمسئولي خزانته بتقديم كل ما يلزم من مال ورجال ومعدات للحاج عبد الله فليبي الذي أعرب عن رغبته في تحمل تكاليف النقل الخاصة به، واستخدام سيارته الخاصة، إذ أن أهدافه الشخصية من هذه الرحلة تتجاوز ـ في الحقيقة ـ كثيرا ما كلفه الملك القيام به. فهو كان قد قرأ في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية تقرير فريا ستارك عن رحلتها إلى

حضرموت في عام 1935، التي حاولت أن تتبع خلالها طريق البخور الغربية، ولكنها، بسبب المرض، فشلت في الوصول إلى النقطة الأولى: شبوة. كما أنه استوعب ما قاله السير بيرسي كوكس في العام نفسه بشأن عدم استكشاف طريق البخور من حضرموت إلى نجران. لذلك، قبل بدء الرحلة، قرر فليبي أنه "إذا بدت النذر في نجران ملائمة، لابد من القيام بجولة سريعة في شبوة والكشف عن تلك الحلقة المفقودة".

وعلى الرغم من أن فليبي يزعم في بعض الأحيان أن الصدفة والضرورة هي التي أجبرته على التقدم نحو موانئ المحيط الهندي في تلك الرحلة، ففي الحقيقة يبيّن لنا ما كتبه في (بنات سبأ) أنه كان قد خطط وعقد العزم على الوصول إلى هناك قبل بدء الرحلة. فهو يكتب في الفصل الأول: "عندما ذكر صاحب الجلالة هذا المشروع لأول مرة بالرياض في ديسمبر برز في ذهني عاملان اثنان فورا وبصورة تلقائية كأساس لمشروعي. ويطيب لي أن أقول إنني حتى هذه اللحظة لم أفكر أبدا أن تكون هذه الرحلة في حدود الممكن، ناهيك عن احتمال تنفيذها. لكن ذكر الملك لنجران جعل عقلي يتخيّل صورة أراض قصية ونائية. وكنت أعلم طبعا أن فريا ستارك قد فشلت في الوصول إلى شبوة، وأعلنت أنها في كامل عزلتها وقوتها. وأنا نفسي كنت قد أتيت للرياض من عرض البحر المتوسط. وكنت بالفعل على مقربة من المحيط الهندي، وتقع شبوة في مكان ما على طريقي. ولكني لزمت جانب الحذر حتى تظل مثل هذه التخيلات لنفسي فقط، فلربما ثبت أنه لا يمكن تحقيقها بالكامل. وإذا أخفقت في الوصول

إلى شبوة يمكنني دائما أن أقول إنني لم أنو ذلك أبدا. وعلى أية حال أصبحت شبوة النجم الهادي الذي أرنو إليه سرا منذ تلك اللحظة. ومن هناك كانت حضرموت - بمدنها التي تناطح السحاب- لا تبعد إلا مرمى حجر، ووراءها بمسافة غير بعيدة كان هناك البحر يومئ إليّ ويدعوني بإغراء. ولم يعرف حتى الآن كانا بشريا قد سار برا من البحر المتوسط حتى المحيط الهندي. وهكذا سأكون أول من يفعل ذلك". (بنات سبأ، ص 29-30)

ومن دون أن يخبر أحدا، انطلق في 21 مايو 1936 في أطول رحلاته في المنطقة العربية سواء من حيث المدة الزمنية، أو من حيث المسافة. وقد بدأ رحلته عبر الصحاري جنوب قرية (تربة)، ومنها تسلق الجبال حتى بيشة. ومن هناك أتجه صوب عسير مرورا بأبها. وعند وصوله إلى نجران استقبله أميرها المتعلم إبراهيم النشمي، وهو تاجر سابق من القصيم، ونال رضا الملك عبد العزيز خلال حروبه الأخيرة. وبما أنه كان من المهتمين بالآثار فقد بادر إلى مرافقة فليبي في جولة لزيارة بقايا بعض المواقع الأثرية، مثل مدينة الأخدود ومساكن الجالية اليهودية. كما تطوع الأهالي وتسلقوا معه الجبال وأرشدوه إلى موقع بعض الصخور التي نقشت عليها كتابات قديمة.

وبعد أن اطمأن لمضيفه النشمي أطلعه على رغبته في القيام بجولة سريعة في شبوة. ولم يبد الأمير النشمي أي تحفظ، بل أنه قدم له عددا من الجمال، وطباخ وسائق وحراسة صغيرة من 8 جنود نجديين من القوات السعودية. ورتب له أيضا مرشدين من البدو عند الآبار التي سيمر بها. ولكن بسبب انعدام وقود

للسيارات في نجران، اضطر فيلبي الانتظار شهرا كاملا للحصول على البترول من مكة والانطلاق نحو الشرق.

وفي آخر أيام شهر يوليو من عام 1936 غادر فليبي ومرافقوه نجران باتجاه شبوة، في ثلاث سيارات ونحو خمسة عشر جملا. وعندما توغلوا داخل رملة السبعتين، بعد بضعة أيام، ساد نوع من الذعر بين المرافقين الذين شعروا أنهم باتوا في أرض متنازع عليها؛ فبينما يؤكد إمام اليمن ملكيته لها، يرى البريطانيون أنها محمية تخضع لعدن.

وحينما وصل فليبي إلى شبوة ومعه عدد من الجنود السعوديين، في مطلع شهر أغسطس، استقبله سكانها بفرح، إذ أنهم اعتقدوا أنه جاء لضمهم إلى المملكة السعودية، وطلبوا منه "خطابات من ابن سعود تضمن أمنهم من أي هجوم" (بنات سبأ، ص120). أما هو فقد أصيب بشيء من الخيبة. فلم يكن أمامه سوى بقايا معبد متهدم، وحوله بعض القرى البائسة. وبقي فليبي في المنطقة مدة ثلاثة أيام فقط تفقد خلالها معالمها، واشترى قليلا من القطع الثرية، وزار الجبال التي يستخرج منها الملح الحجري. ثم واصل طريقه شرقا باتجاه وادي حضرموت، تاركا في شبوة الجزء الأكبر من القافلة مع اثنين من النجديين لحراستها. وفيما يأتي الصفحات التي سرد فيها فليبي اختراقه للجزء الشرقي من رملة السبعتين (وادي الموت) وصوله إلى المداخل الغربية لوادي حضرموت في منطقتي العبر والخشعة، وسرد عبوره لتلك المداخل الواقعة في رملة السبعتين على النحو الآتي.

"ثلاثة أيام كاملة من العمل الدؤوب كانت كافية لإنجاز ما نبتغيه في شبوة تماماً بأفضل طريقة ممكنة. وقد رأيت هذا المكان ثانية في طريق عودتي من حضرموت حينما كنّا في مجموعة نقص أعداد أفرادها وتغيّر تكوينها. فضّل أصحاب الجمال من عشيرة يام استخدام حقهم المنصوص في العقد بعدم التقدم إلى ما بعد شبوة؛ وذلك للإجهاد الظاهر على جمالهم، ولذلك استبدلنا بهم مجندين محليين وجمال محلية من الكرب، وتركنا مجموعتين من نجد خلفنا؛ للاعتناء بأغراضنا ومخازننا التي وضعت في مبنى منحَنا إياه ابن عفيشة، وكانت الأغراض تضم ما جمعته من اللقائط المتنوعة، وتركنا غذاء أكثر من كاف لتغذية تلك المجموعة التي تركناها خلفنا، ولكل المدة التي سنقضيها في حضرموت والتي قدرت بأسبوعين.

وقد استنزف وقودنا بواسطة سيارتَي النقل اللتين أصبحتا فجأة كثيرتي الاستهلاك. ولم يكن هنالك وقود في شبوة لسد حاجتنا، كما أنه لا توجد صفيحة كيروسين فائضة واحدة، وقد أخطرنا أنه يمكن الحصول على القليل من الكيروسين في واحدة من قرى عرمة التي تقع على بعد نصف يوم فوق الوادي، وعليه فقد أرسل رجل من أهل المنطقة ليشتري لنا صفيحتين أو ثلاثاً، وقد عملنا على تزويد سيارتي بالوقود الصافي بينما تعبأ الناقلات بمستودع معبأ ثم يخفف تدريجياً بالكيروسين، وبالطبع سنجد كل ما نحتاجه من الوقود في مدن حضرموت.

لقد احتفظت شبوة بسمعتها المعروفة بالأحوال الجوية السيئة حتى النهاية. وكانت الليلة قاسية مع رياح رملية عاتية تعصف

على معسكرنا، ولكن مع ذلك لم تعكير صفاء نومي. وقررنا أن نبدأ رحلتنا في الصباح الباكر ولكن عند الساعة السادسة صباحاً هبت ريح جنوبية متوسطة منذرة بعاصفة قادمة، بعد ذلك بساعة هبت العاصفة علينا مغرقة كل شيء في رمالها. وكان الوضع غير مريح، حيث كنا نحتشد خلف السيارات والأمتعة، وكان عبود هو الوحيد الذي استمر في عمله كالمعتاد فلا يمكن أن تعيق العاصفة طبخ الطعام. وثمة لحم اثنين من الأغنام وكمية ضخمة من الثريد كانت تتقلب في المرجل محدثة صوتاً خفيفاً، وعند وقت الأكل لا يكترث الرجال كثيراً بالرياح، وكان علينا أن ننتظر حتى تسكن العاصفة والذي لم يحدث حتى اقتراب منتصف النهار. ولم يُخف رجالي كراهيتهم لشبوة وكانوا يطلقون عليها بلاد الشياطين، وبالتأكيد فقد وجدنا فيها ظروفاً جوية سيئة ولكن سكانها كانوا عطوفين أو مضيافين فقد تقبلوا دون اعتراض الإقامة المستمرة المؤقتة لنصف مجموعتنا في داخل منازلهم في انتظار عودة النصف الآخر، ووجودنا معهم كانت له ثماره بالنسبة لهم، فقد خلق سوقاً جاهزة لأشياء مثل اللحم والحليب، وكذلك أوجد بعض فرص العمل، وكنا ندفع لهم بسخاء.

وعند حوالي الساعة التاسعة صباحاً غطت سحب الرمال كل المنطقة، لم أكن أرغب في التحرك حتى أرى العلامات الأرضية، وحتى اللحظة الأخيرة كنت مشغولاً بالعديد من الزوار معظمهم من الشباب والأولاد الذين كانوا يجلبون بعض القطع الأثرية التافهة مقابل قليل من النقود؛ ولكي أتجنب حمل أكوام من المخلفات القديمة غير المهمة إلى المعسكر كان لابد لي من

اختيار الأفضل، وفي الوقت نفسه لم يكن لشبوة عملة نقدية، فأصغر عملة نقدية معدنية كانت هي دولار ماريا تريزا الذي يعرف محلياً كما في حضرموت بالقرش، وعليه فقد اضطررت لاستعمال العملة المعدنية الصغيرة لسوق نجران: الزلط. وكان الدولار يعادل ثمانين أو مئة وستين نصف زلط. وهذه العملة لم تكن ذات استعمال عملي بالنسبة للمتقبلين لها ولجعلها متوافرة كعرض وغطاء قانوني فقد أنشأت مصرفاً لتبديلها إلى دولار بمعدل ٩٠ للدولار الواحد وقد حقق المصرف ربحاً معقولاً في هذه العملية واسترجعت كل الزلط لي، ولرفاقي الذين أنشأوا مؤسسة منافسة؛ لبيع البن والشاي والسكر للقرويين. وعليه فقد كان الجميع سعداء.



في منتصف الصباح جلبت لي امرأة طاسة مليئة إلى النصف بالحليب، وبالمقابل منحتها قبضة من النقود المعدنية مع إبداء بعض اللوم لما أظهرته هي من بخل. فأجابت: لقد أصابنا الجفاف ولا يوجد حليب في أثداء أغنامي في هذه الأيام. بعدها أعلن وقت تناول الغداء وأسرعنا جميعاً لتناوله قبل أن تهب علينا الرمال مرة أخرى. ويعد الأمر مستغرباً أن يكون في مقدور أي شخص الطبخ في مثل هذه الظروف، ومع ذلك فقد كان اللحم والوجبة ممتازة، وقد جلب اللحم سالم بن حمد رئيس قبيلة آل مسفر من الكرب. وفي اليوم السابق أخبرني أن هذا الرجل يحمل عليّ وقد يسبب لنا متاعب؛ لأن الطريق إلى حضر موت يمر عبر منطقته، وفيما يبدو أنه قد مر على خيمتي في الصباح للتحية المعتادة، وبما أني لم أتعرف عليه فقد رددت له التحية كالمعتاد دون أن أقدم له الدعوة ليمكث معي. وقد تم تصحيح الخطأ بسهولة فقد أرسلت له سعد بن معيلم للقاء خاص وأتى في الحال. وقلت له: لقد أخبروني أنك غاضب ولكن بالتأكيد دون سبب خلال كل اليوم يمر الناس علي يرددون الدعوة، وأنت فعلت ذلك مع الآخرين وأنا لست بنبي لأعلم أن سالم بن حمد هو الذي يحييني. والآن علمت ذلك فمرحباً بك. إذا سرت معنا إلى حضرموت فسيكون هذا شرفاً لنا وسوف تكون راكباً بجانبي. وليس فقط إلى حضرموت، ولكن إلى نجران ومكة عند عودتنا، ولكن لو حدثتني أنك سالم بن حمد عند مرورك لكان أفضل. لقد بقيت كل هذه الساعات دون أن أحظى بشرف معرفتك، وعليه فقد عقد الصلح بيننا والأغنام التي أكلناها الآن كانت هي هبة السلام. وركب سالم بن حمد معنا حتى حدود منطقته وهو رجل ذو جاذبية، رقيق نتيجة الحياة الصحراء

القاسية ومتوسط العمر وناضج، ذو شعر رمادي اللون خفيف وعيون براقة وقوية، وخفيف اللحية ورزين الملامح.

كانت الساعة الثانية ظهراً عندما تلاشت العاصفة وعادت علامات المنطقة الأرضية للظهور فبدأنا رحلتنا وطريق حضرموت؛ عبر ممر رملي أو سهل من الحصى يفصل البحر الرملي، إنها رملة السبعتين، وهناك في جانب الآخر الأراضي الرئيسة لمنحدر حوق الصخري. وفي البداية كان علينا أن نتعامل مع قناة المحياض القاسية؛ حيث تميل حول النهاية الشرقية لجزيرة شبوة لتلاقي المعشار. والفرعان الصغيران لوادي المعشار هما شعيب البدعة، وسليل اللذان يجريان إلى أسفل من المنحدر الصخري لتقاطع طريقنا القريب، وبعدها انحرفنا عن طريقنا الداخلي في سهل شاسع من الرمال القوية أو الحصى الخفيف.

بعد عشرة أميال خارج شبوة وصلنا إلى مناجم ملح مقاة، وهي مقاة في البقعة الرملية المنخفضة والتي تشكلت من الشق المرتفع والشق المنخفض لمجموعة صغيرة من التلال في زاوية التقاء شعيب البيرة ووادي مقاة، وكلاهما ينحدران من الصخور التي على يميننا مع ذيل وادي المعشار، وعندها يخرج الأخير من خلف النسر الشرقي، وعلى طول جانب مرتفع القويد ـ ذي الفجا الذي في النهاية تمتص في حوض رملي ضحل يسمى الخشعة.

وقفنا لفترة عند حفر الملح في الحوض المحيط بالتل. وقد غادرت مجموعة راكبي الجمال شبوة في الوقت نفسه معنا؛ حيث اتفقنا على أن نعسكر عند الأرض الرئيسة في خشم رميد لقضاء الليل بها، وعليه سوف يتوفر لنا بعض الوقت الكافي لفحص المناجم.

كما هي الحال في تلال شبوة؛ تتكون تلك المرتفعات والمنخفضات من طبقات مشوهة للغاية ومطوية بحدة، وكأنها قد قذفت إلى أعلى وإلى الخارج بواسطة قوة عظيمة من أسفل. وتجدر الإشارة إلى أن المرتفع الرئيس الذي يبلغ طوله ٥٠٠ ياردة يجري عبر الحافة الجنوبية لحوض الملح في أربعة خطوط متوازية، تقف طبقاتها بشكل عمودي تقريباً، وهنا على النقيض من شبوة، أعمال الملح لا تكون في داخل أو تحت الصخور الواقفة إلى أعلى ولكن تحت سطح الحوض أو المنخفض المحيط بها. وهي عبارة عن عدد كبير من الحفر ومعظمها تقريباً مدفونة في الرمال، أكبرها حفرة كبيرة في الأرض حوالي ثلاثين قدماً في العمق وألف خطوة في مساحتها السطحية التي تعطي ناتجا يعادل ٠٠٠ ١٩٠٠ قدم مكعب من صخور ملحية، والتي حفرت خلال ألفين أو ثلاثة آلاف عام. وهذا التقدير يجب أن يضاعف للوصول إلى الإنتاج الكلي للمنجم في مجمله؛ وذلك لأن معظم الحُفر مغطاة بالرمال وأعماقها كبيرة مما يجعل قياسها صعباً للغاية. ونتيجة للغياب الكلي للماء في هذا الجوار فإن ملح منطقة ملح مقاة فقط يعمل فيه البدو (آل مسفر) الذين يملكونه عندما يكون المرعى المحلي جيداً مما يسمح بالبقاء في وادي مقاة والمناطق القريبة منه، وعليه فزمن العمل محدود ولكن في معظم السنوات تغذى هذه الأودية بواسطة السيول، وتوفر غذاء للجمال والأغنام لفترات مختلفة. كان الجو حاراً في الأحواض وكان العرق يتصبب منا عندما كنا جالسين أو متجولين حول الحفر تحت لسعات شمس النهار التي لا ترحم، والسير فوق سهول كبيرة من الرمال الناعمة المتموجة قليلاً، كان جيداً عندما استأنفنا سيرنا للوصول

إلى أسفل الأرض الرأسية (غير المحروثة) حتى رميد بعد مسيرة خمسة أميال، وفي هذه النقطة تغير اتجاهه فجأة إلى الشرق ملأت أمواج متلاطمة من الرمال الدائرية ومعها كمية من الأعشاب المرخ ـ أكاسيا والسرح) وحشيش خشن الممر بين الأرض الرأسية والخط الطويل ذي الاتجاه الشرقي من رمال السبعتين، الذي تبرز منه في فترات السنة مساحة عريضة من كثبان الرمال الثقيلة متجهة جنوباً نحو الخلجان؛ على امتداد الخط الصخري المنحدر العظيم، وأول هذه الخلجان الذي يقع بين رميد والأرض الرأسية التالية من التهيفات ـ كتلة رائعة من الصخور الجيرية الخلابة، وخطان من خطوط التصريف (قناة الحوة إلى الشرق، وداجل إلى الغرب) اتحدا لتكوين القناة الرملية العريضة، قناة واديان والتي تجري في أمواج الرمال التي ذكرت من قبل. وعلى ضفتيها تصطف أعداد من أشجار السنط الرائعة، والتي اخترناها كموقع مناسب لمعسكرنا.

وبعد قليل من إقامة المعسكر هبّت عاصفة رملية شديدة من الجنوب. ثم بعد قليل أصبحت تهب من الشمال بحدة غير متناقصة، ومرة أخرى عادت تهب علينا من الجنوب، وفي هذا الوقت أرخى الظلام سدوله، وأشعلت مصباحي ولكن الهجمة الأخيرة للعاصفة أطفأته ولجأتُ إلى النوم حتى تصبح الأحوال مناسبة لنشاطي الليلي المعتاد. أيقظني من النوم عند الساعة الحادية عشر ليلاً الإعلان لتناول طعام العشاء، وفي هذه الأثناء تناثرت قطرات قليلة من الأمطار وكانت السحب الثقيلة تغطي السماء؛ لذا نمت مرة أخرى تاركاً تعليمات لإيقاظي عندما تظهر

النجوم. وعليه فقد قمت بتدوين ملاحظاتي قبل أن يخفى الفجر النجوم. وقد كانت ليلة مدهشة ولم يكن هناك شيء رائع أو مثير في هذه العواصف الرملية التي تحدث باستمرار في شبوة، وهي فقط عبارة عن سحب من الرمال تتجول من هنا إلى هناك كأنها لا تدري ما تود أن تفعله. وهي في اعتقادي تشبه العرب المحليين الذين لا مرسى لهم ولا فطنة، يتجولون ويتساءلون متى يرضى عنهم الله ليحول فقرهم إلى غنى. ولقد لفت نظري سالم بن حمد؛ لأن له هدفاً في حياته أكثر من رفاقه، وحتى في تلك اللحظة كان مشغولاً بمشروع لاستخراج الماء من واد ليس به آبار، وكان يتحدث بتعقل عن مستقبله ومستقبل قومه، ويتحدث بغيرة عن حياة جيرانه من الجهة الشمالية الآمنة.

في الصباح ذهبنا سوياً لتتسلق قمة الأرض الرأسية في رميد وكانت مقدمتها وجانباها شديدي الانحدار مما يجعل المهمة صعبة. وكان علينا أن نسير إلى مسافة على طول قاعدتها قبل أن نجد منحدراً به سهولة معقولة من الأحجار الجيرية الخشنة القاسية جداً، حيث زحفنا بحذر إلى قمة الأرض الرأسية العريضة المسطحة، وهناك تمكنت من رؤية منظر كامل للمنطقة المحيطة قريباً من شبوة نفسها في الجنوب، وحتى الساحل الضبابي في خشم عساكر من ناحية الشرق، بينما في اتجاه الشمال يقع حاجز رملة السبعتين وخلفه كما قال يمكن أن تظهر تلال العبر في ظروف جوية أفضل.

وهبت رياح عاصفة عندما كنا جالسين هناك حوالي ٤٠٠٠ قدم فوق معسكرنا، وكانت السماء ملبدة بالسحب الكثيفة والجو مفعم

ببرودة، ولكن كان كل ما حولنا ضبابياً قاتماً وقد وجدت عدداً من أحافير عصر الأيوسين في القمة، وفي المنحدرات والمرتفعات معاً عندما كنا ننزل إلى أسفل مرة ثانية. وغادرت مجموعة راكبي الجمال منذ مدة طويلة قبل وصولنا إلى رفاقنا في المعسكر. جلسنا لنحتسي أكواباً من الشاي وبدأت تهب نصف رياح عاصفة. ثم مرة أخرى انفجرت عاصفة الرمال علينا ولكن لبرهة من الزمن. وفي البدء واجهتنا مشاكل بسيطة من سيارات النقل مع وقودها المخلوط، ولكن عند الساعة التاسعة صباحاً تمكنا من المغادرة وكنا نشاهد المنظر الرتيب للمنحدرات الصخرية والأراضي الرأسية ممتدة بلا نهاية على طول الجانب الأيمن من خط سيرنا .. وبعد اثني عشر ميلاً من السير السهل وصلنا إلى وادي شعيب النقعة، وهو قناة واسعة تنحدر من خليج عميق بالقرب من أرض رأسية ضخمة تسمى ففض وتغطيها كمية وفيرة من الأشجار القصيرة. وكان الممر في هذا الوادي خشناً للغاية ووعراً؛ وذلك لوجود الأكوام والهضاب الصغيرة من الطمي التي تعتمد عليها أعشاب الحرمل الصفار. وقد أغرى المرعى النضير مجموعة راكبي الجمال لقطع رحلتهم على الرغم من أن الوقت ما زال مبكراً. وبعد أن أوضحت لهم رأيي في تقدمهم البطيء واصلت السير في طريقي تاركاً إياهم أن يتبعونا. وكان مجرى القناة في المنطقة التي مررنا فيها يبلغ عرضه أكثر من ميل، وخلفه يقع سهل شاسع من الحبيبات الخشنة القوية والرمل الخفيف، والتي فوقها قدنا سيارتنا عدة أميال في اتجاه الشرق. وأشار سالم إلى واد صغير (مصيرم) ناحية الجنوب من رقعة الأعشاب، والتي زرعت وفقاً لنصح سيد من حضرموت له

سمعة محلية في القدرة على معرفة أماكن الآبار، وقد عمل في حفريات البئر آنفة الذكر. وقد ذكر أن اسمها "بئر القرظي"، وذلك توقعاً للنجاح الذي لم تقطف ثماره بعد. ولم أستطع أن أزور الموقع في طريق عودتي كما كنت أتمنى، ولكن بالتأكيد إنها لا تبدو لي موقعاً مناسباً للبحث عن الماء.

وبعد قليل وصلنا خلف السهل إلى بئر عساكر في واد واسع مليء بالأعشاب يسمى سليل شبيريم أو سليل البستر، يجري على طول منحدر صخري إلى خشم عساكر لينتهي عند حافة الرمال، وعند البئر وجدنا القليل من الرجال والنساء يقومون بسقي أغنامهم وجمالهم؛ وجميعهم من قسم المرادعة من قبيلة نهد، وعليه فهم من أقارب ناصر بن شماخ الذي استطاع الآن أن يحصل على أخبار مؤكدة عن موقع عائلته، والرجال ذوو وسامة وسذاجة، وكانوا عراة حتى الخصر ويلبسون ما يستر العورة حتى الركبة، وهذا اللباس مزين بخنجر مثبت على الخصر بواسطة لفة من القماش غير محكمة. واحدة من النساء ذات مقام رفيع عمرها بين عشرين إلى خمس وعشرين سنة تملك جمالاً ملحوظاً كتمثال فينوس، مزينة بقميص أزرق مثبت بالخصر بواسطة حزام من مادة مطرزة أو مزخرفة رخيصة و مفتوح من الجانبين، كاشفة عن خطوط بارزة لجذع جميل عندما تعمل هي على الحبال.. وكل النساء يلبسن الملابس نفسها، بينما الفتيات الصغار كن عاريات حتى الخصر، ويلبسن فقط مريلة من السيور الجلدية مزينة بأصداف الودع المعلقة فيها؛ وذلك لتغطيهن من الأمام والخلف، وحول العنق يوجد عقد من الخرز. والأولاد الصغار بالمقابل عراة

كلياً من الخصر إلى أسفل، ولكنهم يلبسون خرقاً ورفعاً فوق أجسامهم. واكتمل المشهد الإنساني بحضور طفلين مغطيين بمظلة من الأغصان المقطوعة، ويجلسان فوق مهد من الجلد. حيث تجلس المرأة الجميلة الصغيرة وبنت أخرى صغيرة الحجم تلبس مريلة من السيور. ولقد تحققت أنهما أكبر وأصغر شخصين من عائلة تتكون من سبعة أفراد تتبع رئيس المجموعة، واستقبلَنا أفرادُها بضيافة وقدموا لنا الحليب ودعونا إلى مخيمهم في أعلى الوادي؛ لتناول وجبة مكتملة عندما ينتهي عملهم اليومي في السقي.

سميت بئر عساكر بهذا الاسم كما قال سالم؛ لأنها حُفرت في موقع عمود يرجع تاريخه إلى العصور القديمة، بواسطة جنود تابعين للإمام فيصل بن سعود، في الوقت نفسه الذي كان يخطط فيه لطريق العبر للحجاج. وعمق البئر ليس أقل من خمس وثلاثين قامة. وقد وجدت عند قياسي للحبل أن طوله أربع وثلاثون مرة مثل طول امتداد يديَّ الاثنتين ولنقل ١٩٨ قدماً. ويبدو لي أنه من المستغرب أن يستعمل هؤلاء الناس آباراً بهذا العمق الهائل ومع ذلك لم يستخدموا نظام السحب بواسطة الجمال التي تستعمل عادة في نجد، وفي الآبار العميقة في الربع الخالي. والحقيقة أن كل العمل تقوم به النساء وهن ينشدن: (يا هب وهب هب وهي هي أوب)، ويتواصل الإنشاد حتى يرتفع الدلو إلى أعلى البئر من العمق في الأسفل، حتى يمسك به ويصب الماء في الأحواض المصنوعة من الجلد الموضوعة بين الحيوانات، هذا عمل عظيم بالتأكيد ولكنهم لا يعيرونه اهتماماً. وكل ذلك جزء من

الواجب اليومي الذي يفرضه الله الذي يراقب رعيته وعباده، ويبلغ قطر البئر في الأعلى ١٢٠ قدماً تقريباً، أما فوهة البئر فقد رصفت بحجارة غير مشذبة متوسطة الحجم من أعلى حتى القاع خلال رمال الوادي.

هناك طريق الجمال العادي من حضرموت إلى قرى عرمة الذي يجري إلى أعلى هذه القناة، ومن ثم إلى داخل خليج مبطن بمنحدر صخري شديد، ومنه يرتفع إلى شريط رفيع من السهل الواسع، ثم ينزل إلى وادي عرمة في الخلف. وخشم عساكر نفسه عبارة عن كتف جبل يرتفع ٧٠٠ أو ٨٠٠ قدم فوق البئر في حافة صخرية طويلة مفلطحة القمة وخلفه صفوف غير واضحة من الأراضي الرأسية المتشابهة تذوب في البعد في أراضي الرملة. وكان الجو حاراً والهدوء مخيماً عندما توقفنا، وقد مددنا فترة التوقف هذه حتى الساعة الرابعة والنصف ظهراً؛ وذلك لأن مجموعة راكبي الجمال ما زالت خلفنا بمسافة طويلة. وقد ظهر خط من الظلام في السهول الصفراء، ويبدو أن هنالك عاصفة تختبئ في مكان ما على البعد في اتجاه الشرق والجنوب الشرقي، جاهزة لتهب علينا أثناء تقدمنا.

مررنا من الوادي إلى طريق من الحصى الخشنة انطرح من منحدرات البقايا التي تكسو الجزء الأسفل لحواف جبل عساكر كالمريلة. وهنا طريق الجمال الملتوي مسجل بعلامات عميقة على سطح السهل، وعلى جانب الطريق يقف ركام ضخم من الحجارة يمثل المساهمة الدينية للمسافرين عبر هذا الطريق. وهناك أضرحة بعض الأسياد المتوفين الذين لا تعرف الأجيال

الجديدة أسماءهم الآن. والطريق في هذه المنطقة يجري في مسافة غير بعيدة جداً من خط المنحدر الصخري حيث يتقاطع في فواصل بواسطة أربعة خطوط عشبية للتصريف تجري إلى أسفل في اتجاه ذيل وادي عساكر. وعلى اليسار توجد كتل متلاطمة من الرمال تصل إلى حافة سهل صخري تحد عرض طريق المرور الذي كانت له سمعة سيئة في بعض الأوقات كملجأ للصوص قاطعي الطريق. ومما لا يدع مجالاً للشك أنه للحفاظ عليه كطريق مفتوح لاستعمال المسافرين الشرعيين، شيدت القلعة الصغيرة أو نقطة مراقبة في العصور القديمة، كما أعيد بناؤها ثانية في فترات مختلفة لحكومات قادرة على فرض احترام سلطاتها.

في هذا المكان، بعد الاستمرار في قيادة السيارة لعشرة أميال من بئر عساكر نصبنا مخيمنا لقضاء الليل ولننتظر بصبر حتى تصل جمالنا وكذلك طعام العشاء. وبما أن الوقت كان على مقربة من وقت مغيب الشمس عند وصولنا، تركت الهضبة الصغيرة وآثار الخراب التي أخذت اسمها منها وذلك لإجراء الفحص عند الصباح. وعند قاعدتها تقع بئر مهجورة مشيدة بمهارة عالية بواسطة كتل حجرية مشذبة وقطرها عند فوهة الأسطوانة حوالي عشرة أقدام. ولم يستطع سالم أن يخبرني عن الوقت الذي كانت تحتوي فيه البئر على ماء، ولكنه افترض أن العمود والبئر معه قد أجري لهما صيانة واحتلت بواسطة جنود فيصل. وكذلك لم يستطع أن يخبرني عن عمق الأسطوانة حتى سطح الماء. وفي الوقت الحالي فهي مغطاة بالرمال من حوالي خمس وعشرين قدماً أسفل القمة. أما الهضبة نفسها فلم يكن ارتفاعها أكثر من

ثلاثين قدماً وتتكون من حجارة رملية ضخمة في القاعدة مغطاة بواسطة ألواح ضخمة وصخور كبيرة الأحجام من الحجر الجيري؛ وهي جسم خارجي معزول من المنحدر الصخري الرئيس والذي خفض إلى خطه الحالي على بعد ميل بواسطة التغيرات الجوية منذ آلاف السنين. وعلى القمة توجد بقايا الخرائب المتداعية لمبنى صغير غير مثير للاهتمام ما عدا وجود جدران مغطاة بالإسمنت، والتي قد تكون عبارة عن صهريج على جانبه، وهو خال كلياً من النقوش وقد لا يكون أي شيء أكثر من عمود للطريق. وحول قاعدة الهضبة بين مداميك الحجارة الرملية الناعمة الوجه والمتهاوية على المنحدر وجدت عدد من النقوش الحميرية للعرب الأوائل، فضلاً عن رسومات ومخربشات عديدة تشمل تمثيلاً جيداً لراية الاتحاد البريطانية.

ونقطة الحراسة هذه استعملت من أجل حماية الطريق، إذ تتحكم في الدلتا الشاسعة لوادي دهر، والتي ترتفع إلى الخلف بعيداً في عمق السهل الواسع بالقرب من رأس وادي عرمة في اتجاه جنوبي غربي من هنا، منحدرة إلى السهل، لتجري بين الخطوط المتباعدة لسلسلة ثنائية من منحدرات صخرية رائعة، وأراض رأسية عند قدم الكتف (دعامة) المهيب، يدعى خشم عندل الذي يمتد في الدلتا عن طريق ثلاثة خطوط تصريف سهلة التمييز مغطاة بكثافة عشبية وشجيرية أكثرها نحو الغرب، ويأتي شعيب فريحة نحو قرن البنا ويحيط به عند مروره إلى نهايته الرملية. وفي القناة الوسطى مستوطنة صغيرة تسمى محيميد تتكون من حصن منفرد من طابقين، وكوخين أو ثلاثة طينية منخفضة في

قاعها، وتتلاشى إلى سهل رملي في اتجاه الشرق. والفرع الثالث: سيله الذي يجري بالقرب من المنحدرات الصخرية على طول ضفته اليمنى، والذي يمكن اعتباره المجرى المؤثر لوادي دهر. إنه يمر على الأرض الرأسية لخشم مجوعة، وعند أسفله في القناة توجد بئر تحمل الاسم نفسه، ليلاقي الوادي المهم، وادي رخية في بئر أحمد، ثم تستمر القناة المشتركة حتى وادي حضرموت. وعليه فإن دهر في الوقت الحالي هو الفرع المؤثر لوادي حضرموت في جهة الجنوب من الرملة. وكل القنوات التي تقع على جهة الغرب منه تختفي في الرمال قبل أن تصل إلى هدفها المنشود. أما مستوطنة محيميد فهي تتبع لسالم بن علي بن مقصف رئيس عشيرة القمازين من قبيلة نهد. وقرن البنا يعد عموماً الحد الفاصل بين قبائل الكرب ونهد، والأخيرة (نهد) تحتل فقط الدلتا في دهر ورخية، بينما سهل الحوق يتبع مجموعة آل بلعبيد التي لها صلة قربى مع الكرب في اتجاه الشرق، حتى المراكز الرئيسة العليا لرخية، وهي مع المنطقة المحيطة بها تتبع وحدة قبلية غير مرتبطة ومستقلة تدعى سهابيل. وتزعم نهد أنها من أصل قحطان، وتكوّن مع المرادعة والقمازين أقسام تدعى آل يزيد السويدة، وآل ثابت والحكمان السكارين وآل عجاج. إضافة إلى ذلك فإن القائمة الكاملة للأقسام والفروع الصغيرة لنهد تشمل: بن ذياب، وآل يماني، وحديجان وآل بدر، وبن حترش ومقيزع وآل منيف السرمان، وآل حويل عطير عرفان، وآل شبيب، وآل عبري، المقاريم آل خرشان.

حتى الآن ونتيجة للضباب المحيط بنا فإننا لم نر أي شيء من البلاد الواقعة شمال الرمال، والتي تكون عند الظروف الجوية الممتازة واضحة بسهولة حتى جبال العبر. وهنا من قمة قرن البنا استطعنا أن نرى المشهد الأول من هذا الجانب للأرض الرأسية لطرف العين والتي لوحظت من قبل من قمة (أبو مخاري). هذه هي البقعة الأولى التي يبدأ فيها الحزام الضيق لرملة السبعتين والأودية التي على جانبيها؛ لتصبح محاطة من الجانبين بالمنحدر الصخري حيث تكون ما يشبه القمع الذي يربط القناة المائية الثلاثية لسبأ القديمة، مع الوادي الحي وحضرموت. ومن خلف طريق العين في اتجاه الشرق، كان يمكننا أن نشاهد بغير وضوح دعامات وادي سر البعيدة، وهي دهر على الجانب الجنوبي، وتمثل الرافد الأول العامل لوادي حضرموت من الجانب الشمالي للرملة، والذي تقع حافته الجنوبية إلى الخلف على بعد ثلاثة أميال من موقعنا الحالي.

تركنا سالم بن حمد عند قرن البنا قبل أن نستمر في رحلتنا، وبدأت الجمال من قبل عند الساعة ٥:٣٠ صباحاً حتى تستطيع استعادة الزمن الذي فقدته أمس. وبقي سالم في ذاكرتي في هذه الرحلة الطويلة كواحد من أكثر الأفراد الذين التقيت بهم منطقاً وجاذبية، ولم يبد في أي وقت أي علامة لحب المال والرِّبح الذي دائماً ما يحجب الصفاء الداخلي لرجل الصحراء. وقد تقبل هديتي البسيطة دون أي كلام .. وودعني بدعواته بعد أن تحدثنا كثيراً عندما كنا نجلس على قمة التل الصغير عن سياستهم في



الصحراء وآمالهم ومخاوفهم. ثم غادرنا إلى القصر الذي أتينا منه تحت قيادته، وأخذ معه من مخزوننا قليلاً من البن وقليلاً من الخبز كزاد للطريق. وسوف يلتقي ببعض أهالي منطقته عند طيات منحدر عساكر، أو في الوادي ومن بينهم زوجته.

كانت الليلة كئيبة فقد هبت فيها رياح نصف عاصفة في معظم الوقت. وكلما هبت الريح حملت أيضاً سحباً من الرمال، وعندما كنا مجتمعين، سالم وكاتب هذه السطور والقليل من الآخرين أمام المذياع حتى يتوفر لي الزمن لتسجيل ملاحظاتي؛ لكي نستمع إلى الصوت الذهبي لإذاعة القدس تعلن الأخبار اليومية. وكنت دائماً أتعجب كيف يكون شكل تلك المذيعة التي يصلنا صوتها كل ليلة هناك في تلك المنطقة الموحشة بهدوء ووضوح، بالنسبة للعرب الذين لا يفهمون معنى كلماتها، وهو مجرد صوت امرأة تتحدث في تلك العاصفة، ولكن قد يثير انتباههم بغير حماس في الحال

خاصة عندما يعلن المذيع العربي توقيع الاتفاقية بين مصر وبريطانيا. وذلك أمر يمكن أن يفهموه في خضم الأشياء الأخرى غير المفهومة، على الرغم من أنها ذُكرت باللغة عربية".

**

ثالثا- بعض الأبعاد العلمية والفنية لتقديم فليبي لصحاري الجنوب:

كان الرحالة عبد الله فليبي، طوال رحلته عبر صحراء رملة السبعتين، يحرص كثيرا على تحديد مواقع الطرق والوديان والدروب التي تخترق تلك الصحراء والهضاب والجبال. ومن المعلوم كذلك أن من أهم دوافع مجيء هاري سانت جون فليبي إلى جنوب شبه الجزيرة العربية كان البحث عن طريق البخور القديم، وهو دافع نجده لدى معظم المستكشفين والرحالة الغربيين الذين قدموا إلى المنطقة قبل الخمسينات من القرن العشرين. ويتبيّن لنا هذا الدافع حينما يقدم لنا فليبي طريق البخور عند خروجه من نجران باتجاه شبوة في منتصف سنة 1936، قائلا: "إن المسار الذي سلكته الإبل التابعة لنا يتطابق تقريبا مع طريق حضرموت، الذي لا يزال مطروقا على طوله على الرغم من تقطع حركته، وما زالت علاماته يمكن رؤيتها أينما كانت الأرض خالية من الرمل بدرجة كافية لينطبع عليها أثر السير بصورة دائمة. وعلى هذا الخط لا يكاد يوجد شك في أننا الآن نمشي فوق واحد من الطرق العديدة التي سلكتها تجارة التوابل القديمة في العربية السعيدة".(بنات سبأ، ص57-58)

وقد رأى فليبي أن مسار الطريق الذي سلكته قوافل البخور قبل مئات السنين هو أنسب مسار لطريق الحج البري الذي يقترح تعبيده للسيارات للربط بين حضرموت ومكة. وقد بدأ في الترويج له منذ وصوله إلى مدينة القطن، حينما أطلع السلطان علي بن صلاح القعيطي وحاشيته على رسم توضيحي لهيكل الطريق، وأكّد لهم أن طوله 1500 كيلو مترا، ويحتاج اختراقه إلى عشرة أيام، وستين جالونا من البترول لكل عربة. (بنات سبأ، ص203)

كما اهتم الرحالة عبد الله فليبي خلال رحلته تلك برصد التركيبات الاجتماعية والأنساب القبلية في الصحراء، في فترة كان الطابع القبلي لا يزال مهيمنا في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية. ولا شك أيضا في أن عمل فليبي السابق في مجال الاستخبارات وإتقانه اللغة العربية ولهجاتها قد مكناه من رصد عادات وتقاليد وأنساب معظم التجمعات السكانية في شبه الجزيرة العربية، وكذلك الخلفيات التاريخية لمختلف أنظمة الحكم المتبعة فيها حينذاك. لذا كان من السهل عليه أن يضمن كتابه (بنات سبأ) كثيراً من المعلومات عن طبيعة السكان الذين يعيشون حول تلك الحدود سواء كانوا خاضعين لابن سعود أو سلاطين حضرموت أو الحماية البريطانية. فذكر أسماء كثير من القبائل والعشائر والأعلام، وقدم بعض عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والدينية والثقافية. وفي بعض الأحيان تناول أيضا طرق لبسهم وأكلهم، بالإضافة إلى بعض التفاصيل الأخرى عن حياتهم اليومية.

ومن أهم القبائل (الحدودية) الكبرى التي تناولها فليبي في كتابه (بنات سبأ) بشيء من التفصيل: قبيلتي نهد، وقبيلة الصيعر التي

تعيش بطونها في التخوم الجنوبية لصحراء الربع الخالي، ومنها منطقة الخشعة والعبر في المشارف الغربية لوادي حضرموت. وقد ضمن فليبي كتابه (بنات سبأ) وصفا مطولا لتقديم عادات قبيلة الصيعر، ومرابضها، وحصونها، وريدها، وآبارها، وحدودها، وأغنامها، وطريقة كلامها، وأبرز مشايخها، كتب: "تزعم قبيلة الصيعر أنها تنحدر بشكل مؤكد من نسل قحطان عن طريق أحد الأسلاف يسمى المقداد بن الأسود الذي يقال إنه من صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم). وبالأسلوب نفسه تدعي قبيلة الكرب أنها أيضا من أصل نبوي عن طريق عشيرة سودان التي استقرت لزمن طويل في منطقة رنية بضواحي حضرموت. وفي الحقيقة بإمكان كلا القبيلتين التأكيد على أنهما مقيمتين محليتين، بما أن بليني قد ذكرهما – ضمن قبائل أخرى- بوصفهما قبائل جنوبية. ويبدو أن ماعز الصيعر بيضاء اللون في معظمها، وأكثر عددا من الأغنام. كما أن ثمنها غالٍ جدا حيث يصل سعر الواحدة منها إلى خمسة دولارات ماريا تريزا، مقابل ريالين فقط في المنطقة المجاورة لنجران. وفي المظهر العام واللباس يبدو أن الصيعر قريبين جدا من بدو نجد، وربما أصغر منهم في المتوسط، وأنحف منهم في الجسم. والكثير منهم جميل الملامح، بهي الطلعة، مع بعض الفتنة والرقة في العيون الناعمة. وتتوسط وجوه بعضهم أنوف الساميين الكبيرة والبارزة. وطريقة كلام الصيعر رائعة لأنهم يمطون نطق حروف المد (الألف والواو والياء)، ويتشدقون في الكلام. والشيخان الكبيران في القبيلة هما: يسلم بن جربوع وعبد الله بن عون بن ملهي، اللذان يمثلان العنصر شبه المستقر في ريدة آل حاتم المكونة من

مجموعة متناثرة من المنازل تقع قرب رأس وادي رخية في المرتفعات شرق العبر. وهناك شيخ آخر: هو طناف بن محمد بن رميدان، وله مقر شبه دائم في ريدة آل بلليث التي تقع على بعد نحو خمسة وعشرين أو ثلاثين ميلا شرق ريدة آل حاتم، ويسيطر على عناصر البدو الرحل الذين تُعد هذه الآبار مقرهم المعترف بها. ويُطلق على هذين التجمعين اسم مشترك هو: ريدة الصيعر. أما فخذ قنيبر الذي يقع تحت زعامة (علي) فقد انفصل الآن بشكل دائم تقريبا عن الجزء الرئيس للقبيلة، وأصبح قسما من مجموعة رئيسة ثالثة هي: آل معروف، وشيخها هو عبد الله بن سالم بن معيقل. وقد انضم هذا القسم إلى المملكة العربية السعودية، ويتجول في الصحراء قرب نجران، ورفض بصورة قاطعة دعوة حديثة لهم من شريف بيحان، وهو حليف بريطانيا، للعودة إلى حظيرة الجماعة. ووراء الصيعر نحو الشرق، على طول المرتفعات، وامتدادا نحو الرمال، تقع مضارب العوامر. ويشكل وادي رخية، الذي ينحرف شمالا عند نهايته باتجاه الربع الخالي، الخط الفاصل بين الصيعر والعوامر. وبعد العوامر في الشرق يأتي المناهيل الذين تمتد مضاربهم صوب الشمال من قبر النبي هود في أسفل وادي حضرموت وحتى الرمال الشمالية". (بنات سبأ، ص100-103)

وحينما يأتي فليبي إلى تقديم قبيلة نهد يبدأ أيضا بتحديد نسبها؛ فيقول إنها تنتمي إلى قحطان. ثم يستعرض قائمة قصيرة لفخوذها لا تبرز فيها بعض الأسماء التي نجدها في كتاب المؤرخ محمد أحمد الشاطر: (أدوار التاريخ الحضرمي). فحسب فيلبي

تضم نهد "إضافة إلى المرادعة والقمازين، فخوذا تسمى: آل يزيد (السويدة وبني الزوع)، وآل ثابت، والحكمان (السكارين وآل عجاج). وتشمل القائمة الكاملة للفخوذ والفروع الصغيرة: بذياب، وآل يماني، وآل حديجان، وآل بدر، وآل حتيرش، وآل مقيزع، وآل منيف، وآل السرمان، وآل حويل، وآل عطير، وآل عرفان، وآل شبيب، وآل عبري، والمقاريم، وآل خرشان". (بنات سبأ، ص182)

أما بالنسبة لانتماء نهد السياسي، فيذكر أنها "لا تدين بولاء إلى السلطان القعيطي، فكل قسم يتبع لرئيسة أو زعيمه. وزعماء الحكمان وآل ثابت في حروب مستمرة مع بعضهم. ومستوطنات الخشعة التي تقع على الطريق هي حصن دويد وقرية رهطان المكوّنة من رقعة من النخيل وثلاثة حصون في وادِ عريض يخرج من الجرف المجاور. وابتداء من هذه النقطة [قعوضة] فنحن في منطقة آل عجاج ومن ثم ندخل تحت حماية زعيم الحكمان". (بنات سبأ، ص187)

ويوظف فليبي الليلة التي قضاها ببلدة قعوضة في ضيافة مبارك بن منيف شيخ فخذ الحكمان ليقوم بجمع معلومات كاملة عن قبيلة نهد الحضرمية تشمل عاداتها وملبسها ومسكنها وطعامها وولاءها السياسي. ويكتب: "مبارك بن محمد بن منيف زعيم فخذ الحكمان من نهد رجل جذاب، عمره بين خمس وخمسين وستين سنة، وطقم أسنانه الاصطناعي غير متقن الإعداد مما جعل من الصعوبة بمكان فهم حديثه. والرجل لا حدود لكرمه. وملامح وجهه صادقة. وقد زار مكة للحج في عام 1934. وكانت

له أحاديث ودية كثيرة مع ابن سعود. وهو لا يخفي أنه تابع حقيقة لملك العرب. وينفي ارتباطه بولاءات أخرى. لكنه يحتاج للسلاح للحفاظ على موقعه في عالم القبائل المكتظ بالأعداء. وهذا همهُ الشاغل الآن".

فليبي ووصف الصحراء:



على الرغم من أن جمال الوصف عند فيلبي لا يرتقي إلى مستوى جمال أسلوب الرومانتيكيين أو حتى أسلوب الرحالة الألماني هانس هيلفريتس، فإننا لا نعدم أن نجد في كتابه (بنات سبأ) صفحات في غاية الجمال، يصف فيها الصحراء العربية التي قضى جزءا كبيرا من عمره في استكشافها. ويمكننا أن نلمس ذلك في هذه الصفحة التي يصف فيها مشارف الصحراء: "يمتد شريط عريض من الرمل الأبيض مثل الثلج، كخيط حيك به ثوب

متباين الألوان؛ فهناك الأخضر الفاتح لمروج الحلفا يلقي ظلاله على لون الدخن الفاتح والداكن في آن واحد. كما أن هناك اللون الأخضر الداكن لأشجار النخيل التي تخفي البيوت الريفية الشبيهة بالقلاع، وعلى كلا الجانبين تنهض الأهداب العظيمة للجرف السوداء التي يكسو قمتها شريط وعر من الصخور الرملية ذات اللون الخمري. ولم أر شيئا أجمل منها في جميع أنحاء الجزيرة العربية. ولن أنسى أبدا مشهد ذلك الوادي الساحر وهو يتدثر بضباب الصباح أو عندما يضيء بنور خافت، في ظهيرة الصحراء أو عندما تتوهج جبال الغرابيب السود حتى تصير بيضاء براقة في الشمس الدانية، أو تحمر خجلا مرة أخرى بنعومة ورفق في أشعة الغروب المائلة، إلى أن تمسي ذات لون أبيض وأسود تحت ستار الليل. ويوما بعد يوم ولمدة شهر الآن، وشهر آخر أثناء عودتي من أرض سبأ، كنت أكحل عيني بهذا الوادي العظيم الذي ينساب عبر الجبال حتى بحر الرمال، ذلك الذي يدعى: الربع الخالي". (ص36-37)

ويلفريد ثيسيجر ورحلاته في جنوب الجزيرة العربية



من بين الرحالة الغربيين الذين زاروا جنوب الجزيرة العربية ونجحوا في اختراق صحراء الربع الخالي: الضابط المستكشف البريطاني ويلفريد ثيسيجر، الذي أسماه مرافقوه البدو مبارك بن

لندن. ففي سنة 1945 أتاحت له وظيفة في (وحدة مكافحة الجراد) بمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة، فرصة للقيام برحلاته الأكثر شهرة في صحاري شبه الجزيرة العربية. وكان الربع الخالي لا يزال حينذاك هدفا للمستكشفين العرب والغربيين. وعلى الرغم من أن ثيسيجر لم يكن أول من اخترقه، إذ سبقه في ذلك كل من الضابط البريطاني برترام توماس والمستكشف هاري سانت جون فليبي، فمن الصعب اليوم إهمال ما ضمنه ثيسيجر كتابه (الرمال العربية) عند دراستنا لصحاري حضرموت؛ فهو يحتوي على وصف شيق ودقيق للمناطق التي عبرها ثيسيجر، والناس الذين يعيشون فيها.

وقد اشتهر ويلفريد ثيسيجر، بكتابين: (الرمال العربية، 1959)، الذي يروي رحلاته في الربع الخالي من شبه الجزيرة العربية بين عامي 1945 و1950. وكتاب (عرب الأهوار، 1964)، الذي يسرد فيه رحلته في جنوب العراق. وإضافة إلى محتوى هذين الكتابين وثّق ثيسيجر جميع رحلاته بواسطة كبير من الصور الفوتوغرافية الجميلة.

في هذا الفصل، بعد أن قدمنا نبذة عن حياة هذا المستكشف، قمنا بقراءة للطريقة التي قدم بها ثيسيجر صحاري حضرموت في كتابه (الرمال العربية)، وذلك من خلال سرده للرحلات الثلاث التي قام بها في جنوب الجزيرة العربية وشرقها.

أولا- نبذة عن ويلفريد ثيسيجر:

ولد ويلفريد باتريك ثيسيجر في الثالث من يونيو 1910، في أديس أبابا، عاصمة إثيوبيا، حيث كان والده جيلبرت ثيسيجر يشغل منصب القنصل العام البريطاني هناك من سنة 1909 إلى سنة 1919.

وتلقى ثيسيجر تعليمه في مدرسة سانت أوبين في روتينجدين، ساكس، ثم انتقل إلى كلية إيتون وبعد ذلك درس التاريخ بكلية مجدالين بأكسفورد. بين عامي 1930 و1933، مارس ثيسيجر الملاكمة وأصبح قائد فريق أكسفورد للملاكمة. حصل على وسام الملاكمة الأزرق لكل سنة من السنوات الأربع التي قضاها في أكسفورد. كما انتخب ثيسيجر أمينا لصندوق نادي الاستكشاف بجامعة أكسفورد.

وفي سنة 1930 تلقى ثيسيجر دعوة شخصية من الإمبراطور هيلا سيلاسي لحضور تتويجه، وانضم إلى وسام نجمة إثيوبيا. وعاد إلى أديس أبابا مرة أخرى في سنة 1933 كقائد لرحلة استكشافية، ممولة جزئيا من قبل الجمعية الجغرافية الملكية، لاستكشاف مجرى نهر أواش. وخلال هذه الحملة، أصبح ثيسيجر من أوائل الأوروبيين الذين دخلوا سلطنة أوسا وزاروا بحيرة آبي. ولم يكن حينها قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره.

وبين عامي 1935 و 1940، التحق ثيسيجر بالإدارة الاستعمارية في السودان، المتمركزة في دارفور وأعالي النيل. وهناك تعلم في الصحراء لأول مرة السفر على ظهر جمل سريع مع رفاقه

المحليين. وارتداء الملابس الشعبية مثلهم، وتناول الطعام المحلي من الوعاء نفسه. ولم يستخدم شيئا من العالم الحديث سوى بندقية ومصباح وبوصلة.

وخلال إحدى الإجازات قام برحلة طويلة إلى جبال تيبستي غير المعروفة تقريبا في الصحراء، ووقع في حب الصحراء وكتب: "لقد شعرت بالبهجة من الإحساس بالفضاء والصمت ونظافة الرمال النقية. وشعرت بالانسجام مع الماضي، حيث سافرت كما سافر الرجال لأجيال لا حصر لها عبر الصحاري، معتمدين في بقائهم على تحمل جمالهم ومهاراتهم الموروثة".

وخلال الحرب العالمية الثانية، انضم ثيسيجر إلى (قوات الدفاع عن السودان)، وشارك في تنظيم المقاومة الحبشية ضد الإيطاليين المحتلين. والتحق بعد ذلك بفرقة العمليات الخاصة في سوريا، والألوية الخاصة في شمال إفريقيا، وحصل على رتبة رائد. ومن سنة 1943 إلى سنة 1945 عمل مستشارا سياسيا لولي عهد أسفا ووسن في إثيوبيا.

وبين سنة 1945 وسنة 1949 قام ويلفريد ثيسيجر بثلاث رحلات استكشافية في جنوب الجزيرة العربية وشرقها تحت غطاء وظيفة مكافحة الجراد هناك. وبعد ذلك، وطوال خمسينيات القرن الماضي، عاش ثيسيجر في شرق إيران وأفغانستان، وأمضى نحو سبع سنوات (حتى قيام الثورة سنة 1958) مع سكان الأهوار في العراق. ومارس هناك مهارة الختان. وفي ستينيات القرن الماضي قضى ثيسيجر بعض الوقت في التجوال في كينيا.

وبين سنة 1966 وسنة 1967 شارك في الحرب الأهلية في اليمن ضمن صفوف الملكيين.

وتوفي ويلفريد ثيسجر في لندن سنة 2003، عن عمر يناهز الخامسة والتسعين. وقد حصل على ميدالية مؤسس الجمعية الجغرافية الملكية، وثلاث ميداليات من جمعيات علمية أخرى. ومنحته كل من كلية مجدالين بأكسفورد والأكاديمية البريطانية الزمالة الفخرية. أما جامعة ليستر فقد منحته الدكتوراه الفخرية. وفي سنة 1995 حصل على لقب فارس الامبراطورية البريطانية.

ثانيا- رحلات ثيسيجر في جنوب الجزيرة العربية:

بعد الحرب العالمية الثانية، في سنة 1945، استأجر عالم الحشرات أوبي لين، نيابة عن (وحدة مكافحة الجراد) في الشرق الأوسط (MEALU)، الضابط ويلفريد ثيسيجر للبحث عن مناطق تكاثر الجراد في جنوب شبه الجزيرة العربية. وبفضل تلك الوظيفة تمكن ثيسيجر من القيام بثلاث رحلات في مناطق عدة من جنوب الجزيرة العربية وشرقها.

الرحلة الأولى:

وصل ثيسيجر إلى عدن في نهاية شهر سبتمبر ١٩٤٥. وهناك بدأ التحضير لرحلته الأولى من خلال مخاطبة سلطان عمان. وبعد الحصول على موافقة السلطان بالمجيء توجه إلى صلالة،

وكتب: "في الخامس عشر من شهر أكتوبر طرت [من عدن] إلى صلالة عاصمة إقليم ظفار الذي يحتل قرابة ثلثي الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية. وفي صلالة ذهبت لمقابلة الوالي. وبعد أن اطمأن بي المجلس، أخبرني الوالي أن السلطان أمره بأن يرافقني في رحلتي إلى مقشن جماعة من البدو ومع جمالهم. وقال إنه قد أعد خمسة وأربعين بدويا لهذا الغرض، فشكرته على أريحيته، وأفهمته أن اثني عشر بدويا يؤدون الغرض المطلوب. ولكنه اعترض مؤكدا أن القنصل البريطاني في مسقط، الذي حصل على الأذن بالرحلة، اتفق مع السلطان على أن يحدد الوالي عدد البدو اللازمين للرحلة، وأن عليّ أن أدفع ما يعادل عشرة شلنات في اليوم لكل رجل من المرافقين. وأكد لي الوالي أنه لن يتحمل مسئولية التصريح لي بالسفر إلى مقشن في أقل من خمسة وأربعين رجلا. وحدثني عن اعتداءات كثيرة حدثت على مقربة من مقشن عندما سافر برترام توماس سنة ١٩٢٩ ليقطع جبال القرة التي لا تبعد عن معسكر الطيران بأكثر من ثمانية أميال. وتم الاتفاق آخر الأمر على تعبئة ثلاثين بدويا من قبيلة بيت آل كثير. وحدد موعد السفر بعد أسبوعين، كي تتم الترتيبات اللازمة للرحلة كلها.

وقد أردت خلال هذه المهلة التي سأقضيها في صلالة للقيام بجولة في جبال القرة، وأرسل الوالي أربعة من حراسه معي. وكان من الواضح أن سلطان مسقط لا سلطان له على سكان القرة رغم أنهم يعيشون على مسافة أميال قلائل من صلالة. وركبنا جمالنا، واجتزنا سهل جرييب ثم توجهنا إلى جبل القرة

الذي يعلو نحو ألفي قدم عن سطح البحر. ويحيط بهذا الجبل من جانبيه". ص29

لمرافقة خبير مكافحة الجراد في رحلته تلك قام والي ظفار بتجهيز ثلاثين بدويا من قبيلة الرواشد الكثيريين، الذين يقع مثواهم الرئيس في حضرموت بوادي عربة بسناو شرقي ثمود، وكتب ثيسيجر يصف بداية الرحلة: "عندما بدأنا الرحلة، قسمنا أنفسنا إلى جماعات، كل منها يتألف من خمسة أو ستة من الرجال، يحملون طعامهم الخاص. وكان من رفقائي الشيخ سلطان وثم ثلاثة آخرون يدعى أحدهم مبخوت، الذي كان ضئيل الجسم، في متوسط العمر، مهذب، ذو روح تميل إلى المرح. ولكن قلما تسمعه متحدثاً. وهذا أمر شاذ بالنسبة للأعراب المعروفين بحب الكلام. والرجل الخامس كان اسمه مسلم، وهو الذي وصفه الوالي بالمهارة في الصيد. وكان بخيلا إذا ما قورن بغيره من العرب. ولكنه كان سريع البديهة مخلصاً في عمله؛ وعلى دراية بالعالم الخارجي. وقد تطوع مسلم هذا بأن يكون طاهينا في الرحلة. كان يحضر لنا الأرز إذا ما تيسر لنا الماء، ويصنع لنا أقراص الخبز لوجبة المساء. وكانت طريقة عمل الخبز طريفة. فهو يفرغ الدقيق من أكياس الماعز الجلدية، التي حملنا فيها مؤونتنا، ثم يرش الماء على الدقيق ويضيف بعض الملح ثم يخلط الجميع حتى تصبح عجينة لها قوام. ويقسم هذه العجينة ستة أقسام متساوية الحجم. وبعد ذلك يعمد إلى ترقيق كل واحد من هذه الأقسام بيديه حتى تتحول إلى دائرة سمكها حوالي نصف البوصة. ثم يضعها على قطعة من قماش بينما يشعل بدوي

آخر النار. ويبسط مسلم بضع جمرات يجعل منها موقداً، ثم يضع قطع العجين عليه ويقلب الرغيف. ثم يحفر حفرة في الرمل تحت الجمرات ويضع الرغيف في الحفرة ويغطيه". ص51

كان الهدف الحقيقي لثيسيجر من هذه الرحلة اجتياز الجزء الشرقي من صحراء الربع الخالي مع آل رشيد، لكن، عندما وصلوا مقشن وفاتحهم بالأمر أقنعوه بعدم قبولهم للفكرة لشدة الحر في ذلك الوقت. فوافق وقرر أن يتجه غربا صوب وادي حضرموت بدلا من التوجه شمالا، وقال: "وكنت مصمما على العودة قريبا لأنجز مشروعي. واعتبرت رحلة هذا العام رحلة تجريبية للمرحلات اللاحقة. وتبيّنت في رحلتي هذه أن مقشن لا يمكن أن تكون مركزاً لانتشار وتوالد الجراد الصحراوي، وذلك بعد أن عرفت أن مياه السيول لم تصل إلى هذه القرية منذ خمس وعشرين سنة. وقررت الرحيل غرباً إلى حضرموت، على حافة الصحراء الجنوبية، لأستطلع إمكانية وصول السيل إلى هذه الصحراء من جبال المهرة العالية الواقعة على الساحل. ولم يحدث أن سافر أوروبي قبلي إلى البلاد الواقعة بين حضرموت وظفار".

وتحرك ثيسيجر ومرافقوه غربا برفقة بدوي يدعى بخَيِّت من آل يماني الرواشد الكثيريين المستقرين في وادي عربة بسناو، وكتب: "يممنا بعد ذلك شطر الغرب، واستقينا من آبار سناو ومغير، وثمود العميقة. وكانت الصحراء تبدو خالية وموحشة. وكنا نرى عن بعد بعض الرعيان يسوقون قطعانهم عبر السهل، وكان بعض آل رشيد ينزلون عن الجمال ويذرون الرمال في

الرياح دلالة على حسن النية ـ كما يعتقدون ـ و بعد ذلك يتجهون نحو الرعيان يسألونهم الأخبار. وكانت غارات لصوص الدهم أهم الأنباء المتداولة... وانبأتنا نساء المناهل أن حوالي أربعين رجلا منهم ذبحوا ثماني عنزات لهن قبل ثلاثة أيام ليأكلوها. ووصفن لنا هؤلاء اللصوص". ص55

وذكر ثيسيج أنه قابل في طريقه إلى مقشن شيخ من بني رشيد يدعى مسلم بن الكمام، وقد شعر نحوه بنوع من الألفة وطلب منه أن يجمعه مع أفراد قبيلته في صلالة في شهر يناير كي يرافقه إلى حضر موت العام التالي.

ويقدم لنا ثيسيجر تقديما موجزا للقبائل التي مرّ بها في طريقه الى وادي حضرموت: "كان بني رشيد أقارب وحلفاء لبيت كثير، ويرجع نسب الاثنين إلى آل كثير. وبدو بيت رشيد يرتدون الأردية العربية الطويلة، والملاحف المصبوغة باللون الخمري الفاتح، المستخرج من بعض أعشاب الصحراء. وأجسامهم ضئيلة إلا أنهم يتميزون باليقظة والوعي وقدرة الاحتمال والحيوية. ولا غرو فقد نشأوا في بيئة من أصفى البيئات وأنقاها وعاشوا في جو لا يحيا فيه إلا كل قوي ومتين البنيان. وقبيلتا بني رشيد والعوامر تعيشان جنوبي شبه الجزيرة، وقد تأقلمتا مع الحياة في الصحراء. بل إن بعض أفراد القبيلتين عاشوا في أواسط الصحراء في المكان الوحيد من الربع الخالي الذي توجد به الآبار، بينما ظل غيرهم يتنقل فقط في الصحراء. أما قبائل المناهيل فإنها تعيش في الغرب. وخلف العوامر كانت تقطن قبائل الصيعر ألد أعداء بني رشيد. ويأتي بعدهم الحموم وذلك إلى

الشمال من المكلا، وبالقرب منه شرقا يعيش المهرة المقسمون إلى بطون وأفخاذ ويقيمون في الجبال والسهل على طول الساحل".

وخلال إقامته بين بدو الرواشد في وادي عربة بسناو التقى ثيسيجر بأبرز مرفقيه: سالم بن كبينة الراشدي الكثيري، وقدمه على النحو الآتي: "وقد نصحني شيوخ آل رشيد بأن أضم الفتى إلى عداد مرافقي. وطلبت من سالم أن يعثر لنفسه على جمل وبندقية، فابتسم وأجاب بأنه سيجدهما، وفعلا وجدهما، كان في السادسة عشرة من عمره على وجه التقريب. وكانت خطاه واسعة متمايلة كخطى الإبل. وهذا شاذ بين البدو الذين يسيرون عادة مستقيمي الجذع وبخطى قصيرة. وكان فقيراً معدما، تركت مصاعب الحياة أثرها على بنيته فبدأ هزيلا ضامراً شاحب الوجه. وكان شعره طويلا إلى حد كبير، يتطاير دائماً أمام عينيه وخاصة عندما يكون قائماً بعملية طهو الطعام. وجبهة سالم كانت ضيقة، بينما كانت عيناه واسعتان، وأنفه مستقيما، وعظمتا وجنتيه بارزتين، وفمه كبيراً، وشفته العليا واسعة. أما ذقنه فكان ذا شكل دقيق ومدبب نوعاً تعلوه ندبة طويلة، من أثر كَيّه وهو صغير كي يشفى من مرض. وأسنانه كانت بيضاء جداً، تظهر دائما فقد كان لا يفتأ يتكلم أو يضحك. وقد مات أبوه من سنتين، فكان عليه أن يعول أمه وأخاه الصغير وأخته المريضة حقاً. لقد التقيت به في لحظه حاسمة من حياته، رغم أنني لم أعرف كل هذا إلا بعد أسبوع من لقائنا". ص52

ويختتم ثيسيجر الفصل الثالث من كتابه (الرمال العربية)، المكرس لسرد الرحلة الأولى، بالإشارة إلى وصوله إلى وادي حضرموت، وذلك في فقرة قصيرة واحدة قال فيها: "وصلنا إلى وادي حضرموت بعد أسبوع، ثم اتجهنا إلى تريم. وكم كانت نفسي تهفو إلى رؤية هذا الوادي الشهير. لقد استقبلنا هناك بكرم وحفاوة بالغة. فجلسنا على الأرائك الفخمة في غرف الاستقبال الرحبة، وأكلنا طعاما حسن الطهو، وشربنا ماء لم تلوثه جلود الماعز. أما رفاقي من البدو فقد كانوا قلقين خوفا من أن تأكل إبلهم من أعشاب الدحريج فتنفق. وقد أقنعتهم بالبقاء عدة أيام أخرى، إذ كنت أشعر بوحشة لمجرد التفكير في مفارقتهم". ص58

في نهاية الرحلة الأولى يعود ثيسيجر إلى صلالة. ولأنه لا يريد العودة إلى لندن توجه إلى جدة ومنها زار بعض المناطق في الساحل الشرقي للبحر الأحمر بما في ذلك تهامة. ويكتب: "ما كنت أود أن أعود إلى انجلترا، فقررت السفر إلى جدة، لأزور وحدة مكافحة الجراد التي كان مقرها الرئيس خارج البلدة، ومنها سافرت إلى جبال الحجاز، كي أزور تلك الجهة التي ما زالت مجهولة من شبه الجزيرة العربية. ذهبت إلى هناك، وقضيت قرابة ثلاثة أشهر متجولا في أنحائها، مستخدما الجمل تارة والحمار تارة أخرى. وكان يرافقني شارفي من وادي الحصابة. وتجولت عبر تهامة، وهو سهل ساحلي بين البحر الأحمر والجبال، وقابلتنا القرى، التي لا تختلف بيوتها عن الأكواخ المصنوعة من الطين في أفريقيا. والسكان المحليون في تهامة

على جانب غير عادى من الجمال، يلبسون أردية تستر عورتهم؛ ويعطرون شعرهم المتطاير ببعض أعشاب بلادهم. وعندما يختن أطفالهم، يقيمون حفلات صاخبة في ضوء القمر".

الرحلة الثانية:

شرع ثيسيجر، خلال إقامته القصيرة في لندن، في التفكير حول وسيلة لإقناع مركز البحث عن الجراد كي يرسله ثانية إلى الربع الخالي، وكتب: "كنت أعلم أن رحلتي الأخيرة كانت باهظة التكاليف بالنسبة لمواردي، عليّ إقناع الدكتور فاروف بضرورة قيامي برحلة ثانية للجنوب العربي. وإذا لم يقتنع بهذا، ماذا أفعل لأعود؟ وما أن وصلت إلى لندن حتى أسرعت لزيارته في متحف التاريخ الطبيعي، وأخذت أبين له على مصور يغطى أحد جدران مكتبه الأماكن التي طرقتها، مؤكدا له أن السيول التي تنحدر من الجبال الساحلية نادرا ما تصل إلى حافة الصحراء الجنوبية. وأشار الدكتور فاروف إلى جبال عمان وسألني إذا كنت أعتقد أن السيول التي تنزل هناك تصل إلى هذه الصحراء. وانتهزت هذه الفرصة فأجبته أن لا علم لي. لكنني سأذهب لأرى وأتأكد. غير أن الدكتور اعتذر بأسف قائلا إنه كان يتمنى لو استطاع ذلك".

وفي منتصف شهر أكتوبر من سنة ١٩٤٦ تمكن ثيسيجر من العودة إلى صلالة ليحقق أول اختراق للأطراف الشرقية من الربع الخالي وذلك من الجنوب إلى الشمال، وكتب: "وصلت إلى صلالة في السادس عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٦. وعزمت على اجتياز صحراء الربع الخالي مبتدئا من مقشن إلى (ساحل الهدنة) ثم أعود إلى صلالة". وقد أكد للوالي أنه كان ينوي الوصول إلى

مقشن فقط، لأن الوالي منع البدو من مرافقته الى أبعد منها، وذكر أنه كان يأمل أن يذهب إلى أبعد من ذلك، وكتب: "عندما أصل مقشن، أستطيع إغراء البدو باجتياز الربع الخالي معي. واتفقت مع الوالي على أن يصحبني العدد السابق نفسه من بيت كثير".

وغادر ثيسيجر صلالة، بعد ظهر اليوم الخامس والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٦، وبصحبته أربعة وعشرين رجلا من بيت كثير، أكثرهم ممن رافقوه في رحلته السابقة. ووصلوا أولا إلى العين عند سفوح جبل قرة. وتابعوا سيرهم في الوديان الداخلية إلى آبار شهد وشيسر. وفيها التقى ثيسيجر بمحمد العوف وسالم بن كبينة وبقية أعضاء مرافقيه السابقين من آل رشيد، واستمروا معا في طريقهم إلى واحة مقشن. وبعد وصولهم هناك برزت بعض المشاكل؛ فقد سقط محسن، زعيم جماعة آل رشيد من جمله وكسر ساقه، واضطر للبقاء مع بعض جماعته في مقشن. وتقدم الآخرون في رمال غانم، ووصلوا إلى رملة الغافة في الثاني من ديسمبر، وهناك حدث احتكاك بين ثيسيجر وسلطان بن أحمد، زعيم جماعة بيت كثير البدوي. ورفض سلطان السفر إلى أبعد من ذلك في الربع الخالي وطالب جماعته بالعودة. وعلى الرغم من ذلك وافق أربعة منهم على مواصلة الرحلة مع ثيسيجر: محمد العوف وسالم بن كبينة من بدو رشيد، ومبخوت بن عربين ومسلم بن تافل من بدو بيت كثير.

ومن رملة الغافة واصل ثيسيجر وجماعته رحلتهم صعودا فوق الكثبان الرملية العالية في عروق الشيبة، التي يُعدّها أكثر الكثبان

الرملية ارتفاعًا في الربع الخالي. ويتابعون السير إلى واحات السليل، والأراضي الزراعية في وادي الدواسر، ومنها إلى ليلى، ثم يصلون جبرين بعد عبور رمال الربع الخالي. ويصلون إلى الجنوب مباشرة من واحة الليوي التي يسكنها بني ياس والمناصير، في منتصف ديسمبر، ومنها إلى سبخة مطي، وبلاغ. ودخلوا أبوظبي. وبعد ذلك بدأوا في طريق العودة عبر رملة الرباد ووصلوا في وادي العين في عمان. وساروا في الوديان الصخرية الواسعة في منطقتي الظاهرة والداخلية ومروا بوادي حوشي. وفي بوي التقى ثيسيجر بالمجموعة التي ظلت في مقشن وسافروا عبر جدة الحراس إلى يسوب، ثم جبال قرة ووصلوا صلالة في 23 فبراير 1947.

خلال سرده لهذه الرحلة الثانية استطرد ثيسيجر في وصف بعض عادات البادية ومساكنها، والزراعات على جوانب الأودية، وطرق رفع المياه من الآبار، وحفظ المياه، وطحن الحبوب. وعندما يخترق رمال جافورة؛ فيصف سكانها وأعشابها، ونخيلها الجيد، وكثبانها الملحية، والبيوت مصنوعة من الحصير وسعف النخيل.

وخلال توقفهم فوق سفح جبل قرة، طرح عليه مرافقوه العديد من الأسئلة: "أين كنت منذ غادرتنا؟ وماذا فعلت خلال هذه المدة؟ أذهبت إلى الحجاز؟ أين يوجد الحجاز؟ هل ساكنوه من البدو؟ انهالت على الأسئلة وأحبت عليها ثم بدأ دوري في السؤال والاستفسار. أين بخيت بن كريت؟ هل غزى الدهم آل رشيد؟ ثم تناولنا الغزوات في الصحراء والسحر والختان والأعراس. إلا

أنهم لم يتحدثوا أبدا عن الجنس أو عن المرأة. وإذا تكلم البدوي عن النساء، كان كلامه حيويا وصريحا، ولكنه غير بذيء. كذلك كان سبابهم مباشر ولا يعدو أن يقول أحدهم للآخر لعنك الله ليخرب الله بيتك، ليأخذك اللصوص، ولا يستعمل البدوي السباب القاذع كالعربي ساكن المدن. وقلما تحدثنا عن الجنس فالرجال الجوعى يحلمون بالطعام لا بالمرأة. ويندر أن يظهر الشذوذ الجنسي بين البدو رغم وجوده في المدن، ورغم بعد البدو عن نسائهم الأشهر الطوال، وهذا ما أوضحه لورنس، في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة)، عندما أثبت أن الذين ظهر عندهم الشذوذ الجنسي في الصحراء، لم يكونوا بدوا بل كانوا قروبين من سكان الواحات. كذلك يؤكد الجنرال جلوب أن الشذوذ الجنسي يكاد يكون مجهولا لدى البدو. وأنى شخصيا أؤكد أنني لم أر ما يدل على وجود هذه الوصمة بين قبائل البدو".

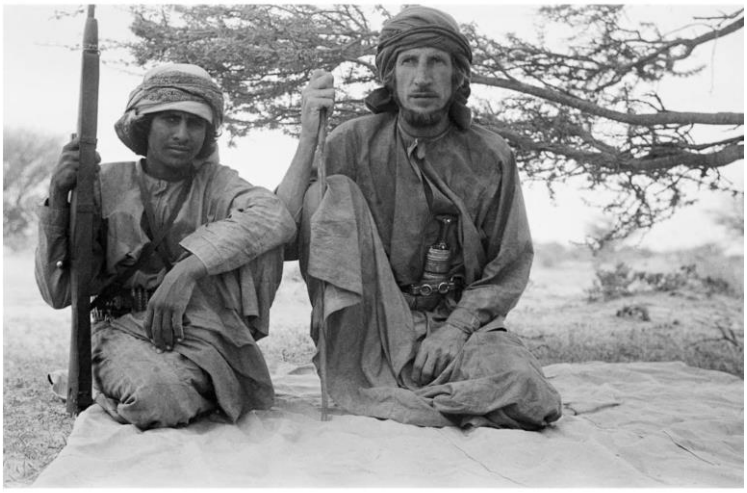
الرحلة الثالثة:

في نهاية سنة 1947 قرر ثيسيجر أن يعود للجنوب ليقوم بعبور الجزء الغربي من صحراء الربع الخالي. ويؤكد في بداية الباب العاشر من كتابه (الرمال العربية): "أصبح هدفي اجتياز القسم الغربي من الربع الخالي، وكنت قد فكرت قبل سنتين في القيام بهذه الرحلة، لكن الملك ابن سعود رفض بشدة أن يمنحني إذنا بذلك. وصممت الآن على القيام بهذه الرحلة، مهما كان موقف الملك، وكنت على ثقة من أن بعض آل رشيد سيوافقون على مرافقتي، وبفضل رفقتهم ستذلل أمامي كل صعوبة في الصحراء.

وأبرقت إلى المقيم العام البريطاني في المكلا طالباً منه أن يرسل لابن كبينة في حبروت من يبلغه هو وابن الكمام وابن غبيشة أن لقاءنا في حضرموت في أوائل شهر نوفمبر".

ووصل ثيسيجر إلى المكلا في الثالث من نوفمبر 1947، وقضى بضعة أيام مع المقيم العام للإعداد للرحلة القادمة. ثم توجه إلى منوخ في شمال غرب حضرموت. وفي انتظار مرافقيه الرواشد الكثيريين والدخول في الصحراء قرر أن يتجول لمدة أسبوعين في منطقة قبيلة الصيعر، التي وصفها قائلا: "يُعرف رجال قبيلة الصيعر بأنهم ذئاب الصحراء، وهي قبيلة قوية وكبيرة تهابها قبائل جنوب الجزيرة وتحسب لها ألف حساب، فهي إذا نهبت لا تعرف الشفقة. ولم يستطع أي أوروبي من قبل أن يصل إلى ربوعها باستثناء بوسكوان وأنجرامز".

وفي منوخ قبل رجلان من شبام مرافقة ثيسيجر للتجول في المنطقة وصعدوا معا إلى ريدة الصيعر، التي وصفها ثيسيجر على النحو الآتي: "هي واد قليل العمق لا يزيد اتساعه عن المائتي ياردة، ذو أرض قاسيه قفراء. وقد شاهدت على الصخور المنخفضة التي كانت تحيط بها بعض مبان حجرية وأبراج للمراقبة، وكان أغلبها خاويا. وقد أخبرني أحد الرجلين أن جميع سكانها هلكوا في المجاعة الكبرى التي نزلت بحضرموت سنة عام ١٩٤٣. وأخبرني الرجلان أن وادي ريدة الصيعر كان مخضوضرا، وحافلا بمختلف النبات، لاسيما اللوبياء. وفي بلاد الصيعر توجد بئران، إحداهما في منوخ وعمقها مائة وثمانون قدما، والثانية في زمخ وعمقها يصل إلى مئتين وأربعين قدما".



Salim bin Ghabaisha and Wilfred Thesiger, c.1947

وعندما علم الصيعر بوصول البريطاني ثيسيجر إلى بلادهم تجمعوا في الريدة للترحيب به واستقباله، وقال عنهم: "وجدت فيهم رجالا شجعانا ذوي مرح، ليس بهم شيء من جشع بيت كثير، وإذا كانت القبائل الأخرى تصفهم بالمارقين، فأن ذلك قد يكون مبعثه الكراهية والمنافسة. ومن حيث الشكل فإن الصيعر صغار الجسم ضامرو البنية، مثلهم في ذلك مثل جميع أبناء البادية الجنوبية، وقليل منهم من يلبس عمامة فوق رأسه. وأرديتهم مصبوغة بمادة النيلة".

وبرفقة الشباميين توجه ثيسيجر نحو الشرق ومروا بقبر قديسة مسلمة تدعى (ولية الله رقية)، التي أصبح ضريحها مزارا، ويذكر أن مرافقيه طافا حوله، وتركا بعض حبوب البن عند الضريح. ويذكر أن من عادة الصيعر أن يكثروا من إضافة الطيب والزنجبيل إلى القهوة، وفناجينهم مصنوعة من الفخار المحلى،

وعلى من يقدم له فنجان القهوة أن يرتشف منه بعض رشفات ثم يعيده إلى الخادم الذي يملأه مرة ثانية ويقدمه لشخص أخر. وبعد ذلك زاروا نواحي منوخ وشاهدوا البئر. وقال الرحالة إن ماءها نقي وصافي.

وعلم ثيسيجر من الصيعر أن أفرادا من آل رشيد يقيمون قريبا من مرابضهم. فتوجه مع مرافقيه شرقا، ومروا بقف العوامر، ووجدوا هناك عبد الله الأعور ومحمد بن كالوت وبعض شيوخ العوامر. في طريق عودتهم نزلوا إلى وادي حضرموت، وزاروا مدينتي سيئون وشبام، وقام ثيسيجر بالتقاط مئات الصور فيهما.

ومن سيئون أرسل ثيسيجر برقية إلى عدن طالبا من الحاكم الاتصال بسالم بن غبيشة وإرساله بالطائرة إلى الريان ثم بالسيارة إلى سيئون. وبعد نحو أسبوعين وصل ابن غبيشة وتوجهوا جميعا إلى ريدة الصيعر ومنها إلى منوخ، وبدأوا الاستعدادات لدخول الصحراء، وكتب: "أخذنا أهبتنا للرحلة الشاقة الطويلة، فابتعنا الإبل وأخترنا الدليل. كان الجميع يؤكدون أننا سنلقى حتفنا على أيدي آل يام والدواسر؛ فرفاقنا من آل رشيد صغار السن وقليلو الخبرة، واقترح أحدهم ذات ليلة أن نصرف النظر عن المرور بوادي الدواسر، وأن نعبر الصحراء من الجانب القصي شرقا عبر صحراء (الدقافة)، ولكنني كنت أود أن أعبر الطريق نفسه الذي سلكه برترام توماس وفيلبي من قبل، فالصحراء الغربية هي هدفي في الاستكشاف، ووافق الجميع على رأيي" 144

ويؤكد ثيسيجر أن كثيرا من الصيعر نصحوه بالتخلي عن مشروعه إلا أنه صمم وعثر على رجلين يعرفان مسالك الصحراء وتحمسا لمرافقتهم: صالح، وصدر الذي أخبره أن لابن سعود مركزا في منطقة الحسي التي سيتوجب عليهم التوقف فيها للشرب، وكتب ثيسيجر: "سألت نفسي: ماذا سيقول الملك عندما يعلم أنني عبرت الصحراء دون إذنه، لاسيما إذا علم إنني الإنجليزي الذي سبق له أن رفض منحه الإذن بالرحلة قبل سنتين؟". ص146

وبعد ستة أيام من السير وصلوا إلى (بني معارض)، وفيها انهارت إبلهم من التعب والمشقة، وبدأ القلق يساور ثيسيجر وأصحابه، إلا أنهم، بعد أن اجتازوا القفار وشاهدوا فيها بيض النعام، وصلوا إلى الحسي، ومنها قرروا التقدم إلى السليل. لكن حدث وهم في الحسي أن شاهدهم حارس بئر يتبع لابن سعود وابنه وعرفاهم وعاملاهم بقسوة، وأصرّا على الذهاب معهم إلى السليل، لتسليمهم للسلطات هناك. وساروا معا على طول وادي الدواسر، المليء بحقول الحنطة والشعير. وذكر ثيسيجر أن الأمير استقبلهم بود، لكنه احتجزهم في منزل خال من السكان وأفهمهم أنهم سيبقون عنده حتى يصله رد من ابن سعود، وكتب: "تحدثنا إلى الأمير عن رحلتنا، وبعد أن استمع إليها بادرنا بقوله: إنكم لجد محظوظون إذ وصلتم إلى هنا سالمين. وفي الحقيقة لم تكن ثمة أمل لكم في النجاة؛ فالصحراء التي جئتم عبرها مليئة بالأعراب".

وبعد انقضاء يومين على وصولهم زارهم الأمير مرة أخرى، وأخبر ثيسيجر أن ابن سعود أمر بـ"تأخيره" وسجن رفاقه واحتجاز بنادقهم وخناجرهم، وترك أحد رجاله ليقوم بحراسته. وسمح له بإرسال برقية لابن سعود. ص151

وفي مساء ذلك اليوم استقبله الأمير في منزله، وسأله من أين وكيف جاء. ورد عليه قائلا: "إني قادم من حضرموت وكنت استكشف وأصيد الوعل في الربع الخالي، ونفذ ماؤنا فجئت إلى الحسي، وآل رشيد الذين معي لا يعرفون وجهتي".

كان ثيسيجر يخشى أن ينزل برفاقه عقاب جزاء مساعدتهم أجنبي على دخول السعودية دون إذن من الملك. لكن من حسن حظهم أن عبد الله فليبي تدخل واستطاع أن يقنع الملك بتركهم يواصلون رحلتهم، وكتب: "فيما أنا غارق في وساوسي ابتدرني الأمير قائلا: لقد تفاهم عبد الله فيلبي مع الملك بشأنك، فأمر جلالته بإطلاق سراحك، وسمح لك باستكمال طريقك، وقد سرني ما سمعت ولكن الأمير ما عتم أن سأل: والآن إلى أين أنت ذاهب لأعلم الملك؟ فأجبت: إلى (ساحل الهدنة)، فقال: السيارة بانتظارك لتعيدك إلى السليل".

وفي التاسع والعشرين من شهر يناير 1948 غادر ثيسيجر ومرافقوه السليل وتوجهوا شرقا ووصلوا إلى بلدة ليلى بعد ثمانية أيام. وفي قصر أميرها التقوا بعبد الله فيلبي الذي حدث ثيسيجر عما جرى بين الملك وبينه بشأنه ليطلق سراحه. وطلب منه فيلبي أن يضبط أعصابه؛ إذ كان الناس في ليلى متزمتين جدا وعاملوهم بقسوة. وعندما حاول آل رشيد ابتياع المؤن للرحلة

تعرضوا للإهانة بسبب وجود النصراني معهم. وقرر أصحاب المحال التجارية أن تغسل النقود علناً قبل أن يمسوها بأيديهم. لهذا غادروا البلدة في اليوم التالي (السابع من فبراير)، واتجهوا صوب واحة جبرين معتمدين على البوصلة والخريطة التي رسمها لهم عبد الله فيلبي. ومن جبرين واصلوا السير باتجاه أبو ظبي التي تقع على بعد أربعمائة ميلا تقريبا. وقد وصف ثيسيجر أبو ظبي بأنها بلدة صغيرة تضم حوالي ألفي نسمة، ودعاها حاكمها آنذاك، الشيخ شخبوط بن سلطان، وشقيقاه هزاع وخالد، وكانوا يرتدون دشداشات طويلة بيضاء، وعباءات مطرزة بالذهب، وكوفيات بيضاء تتدلى حول وجوههم، وتثبت على الرأس بعقالات صوفية سوداء. ووصف ثيسيجر الشيخ شخبوط بأنه شاحب الوجه، نحيل البنية، ملامحه صغيرة متناسقة، ولحيته سوداء، مشذبة بدقة، عيناه سوداوين واسعتين، لطيف وودي، متحفظ، يتكلم بنعومة، ويتحرك ببطء وتأن، يُسيطر تمامًا على مزاجه الانفعالي، وكان خنجره مرصعا بالذهب. أما الشيخ هزاع فقد كان بشوشا، وذا لحية كثيفة، تغطي نصف صدره.

وذكر ثيسيجر أن الشيخ شخبوط سأله عن رحلته، ولما قال له إنه زار ضواحي الليوي في العام الماضي عقب الشيخ هزاع أنه سمع فعلا إشاعات عن مسيحي كان هناك، لكنه لم يصدق ذلك، "فليس من المعقول أن يأتي أوروبي ويذهب دون أن يراه الناس، والبدو لا يعتمد كثيرا عليهم في مثل هذه الأحوال، مما جعلنا نعتقد أنهم كانوا يتكلمون عن برترام توماس الذي عبر الصحراء منذ ستة عشر عاما".

ومن أبو ظبي انتقل ثيسيجر إلى واحة البوريمي، وفيها التقى بالشيخ زايد بن سلطان نائب الشيخ شخبوط هناك. وذكر أنه رجل قوي البنية جدًا، يبلغ من العمر حوالي ثلاثين عاما، لحيته بنية، ووجهه ينم عن الذكاء، وعيناه خارقتان يقظتان، يعطي الانطباع بأنه شخص هادئ ذو عزيمة. وكان، لباسه بسيطا جدًا، يتكون من قميص من قماش عماني لونه بني فاتح، وصدرية مفتوحة ويتميز عن رفاقه بطريقة ارتدائه كوفيته، وعمامته التي كانت ملقاة على كتفه. وكتب عنه: "وكان ذا شهرة كبيرة بين البدو يحبونه لبساطته ودماثة خلقه وقوته الجسمانية الخارقة. وقدم لنا خادم القهوة والتمر كالعادة. وسألني زايد عن رحلتي، واهتم كثيرا عندما علم باجتيازي للبلاد في العام الماضي. وعجب كيف استطعت أن اجتاز بلادهم، فأفهمته أنني ادعيت أنني تاجر سوري. فقال ضاحكا: لو كنت فعلت هذا معي لاكتشفت أمرك في الحال".

وبعد أن أمضى ثيسيجر حوالي شهر في ضيافة الشيخ زايد ذهب إلى الشارقة في العاشر من مايو، ومنها زار البحرين [بالطائرة]، ثم توجه إلى دبي التي مكث فيها أسابيع عدة، ولم يغادرها إلا في ٢٧ أكتوبر ١٩٤٨، وذلك إلى أبو ظبي، ومنها توجه غربًا إلى واحات البوريمي والليوي، برفقة الشيخ زايد بن سلطان، الذي كان في رحلة صيد. ومنها تقدم مع عدد محدود من المرافقين جنوبا إلى أم السميم، وهي رمال متحركة ناعمة تغوص فيها الجمال، وسار بمحاذاة حافتها الشرقية حتى وصل إلى وادي العين، ثم وادي العميري، والفارعي ووادي بطحة، وقرى

حبوس، ووادي عندام، ونزوى، وعبري، وجبل حفيت. ثم عاد إلى المويجعي في السادس من أبريل 1949. وقد أسهب ثيسيجر في وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية لقبائل وهيبة، التي كانت أكثر القبائل عددًا في جنوب عمان. ووصف كذلك الجبل الأخضر والأودية المحيطة به وقنوات الماء (الأفلاج)، التي تنحدر منه والتي تتميز بها تلك المنطقة.

ومن صلالة عاد ثيسيجر إلى المكلا، وفيها اتخذ قرارا بمغادرة الجنوب، وقال إنه، بعد أن اتخذ ذلك القرار، نصح أبرز مرافقيه، سالم بن كبينة وسالم بن غبيشة، بالعودة إلى قراهم. وذكر أنه، بعد أن عاد إلى بريطانيا، سمع أن ابن كبينة جمع أبله وذهب إلى حبروت، أما ابن غبيشة فقد اختار السفر إلى (ساحل الهدنة) والاستقرار فيه.

مراكز جيش البادية الحضرمي في صحاري حضرموت

في مذكرات جون دوكر *



عندما تم تعييني لأول مرة في محميات عدن الشرقية، أبلغني بذلك ويلي وايز، الذي كان يعمل حينها مقيما في المكلا. قال لي: أذهب إلى سيئون، وخذ المعلومات من جيم إليس، فهو ضابط ذو خبرة، ثم أذهب إلى العبر في الصحاري الشمالية. وأخبرني أنه لا يتوقع أن يسمع عني لمدة ثلاثة أشهر.

لم تكن هناك اختصاصات محددة للوظيفة، ومن الناحية العملية ربما كان هذا حكيمًا لأنني أشك في إمكانية توصيفها بدقة. وهناك انغمست في تفاصيل العلاقات القبلية، وعملت على تحسين لغتي

العربية، وأدركت نوعًا ما الطريقة التي يعمل بها جيش البادية الحضرمي، وسعيت للتعامل مع الأحداث عند وقوعها أولا بأول.

ومن الأمور التي قالها لي جيم إليس (كان ذلك بعد ثورة 1962 في اليمن مباشرة): يجب أن تزور خروة من وقت لآخر، كلما كان ذلك بإمكانك؛ يجب أن تتردد على خروة من وقت لآخر؛ إنهم يشعرون بالوحدة قليلاً في مثل هذه الأوقات. كانت خروة على بعد حوالي خمس ساعات، على الجانب الآخر من صحراء رملة السبعتين. في الواقع كان هذا نشاطًا مفيدًا حيث تعرفت على جنود القعيطي في الموقع الذي يحتفظون به هناك، وكان علينا أن نراقب هذه البقاع، التي كانت في منطقة حدودية لم يتم بعد ترسيم حدودها بشكل صحيح. وقد أتى هذا ثماره لاحقًا عندما كنت بحاجة إلى المساعدة منهم في محاولة إحضار بعض البدو المخالفين للحجز.

ولم يكن هناك مكان محدد لتسكين الضابط الموفد في الصحاري الشمالية. وعندما كنت هناك استخدمت استراحة (مركز) العبر وغرفًا في حصون أخرى مختلفة عندما كنت أتنقل في النواحي المحيطة. وفي كثير من الأحيان كنت أنصب خيمة. وكان لدي نوع من المظلة مثبتة على جانب سيارتي من طراز Landrover والتي يمكن طرحها للخارج وتوفير القليل من الظل من الشمس حينما يكون الطقس رهيباً، لاسيما في فصل



الصيف، حيث ترتفع درجة الحرارة إلى أكثر من 50 درجة مئوية، وتنخفض الرطوبة النسبية إلى مستويات لا يمكن قياسها تقريباً. وغالبًا ما تهب الرياح في فترة ما بعد الظهر، وتثير الغبار والرمال. وكل ما يمكن للمرء فعله هو العثور على مأوى صغير حتى يحل المساء. وفي الشتاء يمكن أن يكون الجو جميلا، على الرغم من البرودة في الليل.

ومنذ إنشاء المراكز والحصون عند منابع وآبار المياه في الصحاري الشمالية سنة 1939 بالقرب من العبر، -وهي مجموعة من الآبار على الطريق الصحراوي إلى نجران والحجاز، وكذلك في بئر عساكر، وزمخ، ومنوخ، وثمود، وسناو وحبروت في الخمسينيات من القرن الماضي، وذلك من أجل فرض القانون والنظام-، سجل الضباط السياسيون معلومات مهمة عن القبائل في كتاب (الصحراء الشمالية) المحفوظ الآن

في المكتبة البريطانية، والذي يمكن لأي شخص أن يضيف إليه معلومات جديدة. وقد قام جوك سنيل وجيم إليس، اللذان كانا مسؤولين إلى حد كبير عن إنشاء هذه الحصون وفرض الأمن في وقت مبكر، بجمع معظم ما تضمنه ذلك الكتاب.

منذ البداية، تم توظيف رجال القبائل من كل قبيلة بصفة حرس صحراوي غير نظامي. وكان هؤلاء (الحرس) يأتون إلى الحصون من وقت لآخر للحصول على رواتبهم وإبقاء الضباط البريطانيين على علم بالأحداث في المنطقة الصحراوية، وعملوا كمرشدين ومحاورين في النزاعات، وبشكل عام، كمترجمين وراصدين للمواقف والأحداث فور وقوعها. وكان بين هؤلاء الحرس شخصيات عظيمة، مثل الملازم ناصر بن زيد، الذي حاول دائمًا أن يكون مفيدًا على الرغم من ميله للمزاح؛ وناجي بن عمرو الذي كان ذا تأثير كبير للغاية بين كل من الكرب والصيعر، وكان في الواقع مديرًا عامًا متفوقًا، وعمل معنا مساعدا لشؤون القبائل، ومبارك الصيعري، الذي كان مهاجمًا متأصلًا ويتمتع بروح الدعابة المؤذية، وكان أفضل مرشد عبر صحراء الربع الخالي. ومن بينهم عبد الله بن نديل الصيعري، الذي غالبًا ما كان يرتدي عمامة برتقالية لامعة، وطمطم المنهالي الذي لقب أحد أبنائه بجريكان، وأصبح صديقا وزميلا عظيما للضباط السياسيين المتعاقبين في المنطقة الصحراوية. وهناك سالم بن كبينة وعمير اللذان كانا من مرافقي ويلفريد ثيسجر في رحلاته الصحراوية الكبرى، وكلاهما من الرواشد الذين عاشوا في الصحراء إلى الشمال والشرق من ثمود وسناو. وكان عمير

شخصًا صارمًا، وذا كفاءة عالية. وهناك أيضًا مهري يُدعى عبد الله، وقد أخبرني أنه عندما كان شابًا أصيب في غارة على قبيلة عبيدة في اليمن، على بعد 500 ميل من منزله، وتمكن من النجاة والعودة على ظهر جمل مصاب برصاصتين.

وبصرف النظر عن مكانة هؤلاء المقادمة، أصبح الضباط السياسيون يعرفون جيدًا بعض زعماء القبائل. وفي الحقيقة كانوا مختلفين جدا عن بعضهم البعض. فقد كان ابن سالم الكربي مثلا جذابا وإن كان متهورًا، ولم أزره قط دون أن آخذ معي ناجي بن عمرو الذي كان ينجح دائما في تهدأته. وفي إحدى المناسبات، ذهبنا إلى سكنه، وعلمنا أنه كان غائبًا لأكثر من أسبوع، وأن عائلته لا تعرف متى سيعود. وبينما كنا نجلس نشرب الشاي معهم، ظهر فجأة، وأخبرنا أنه كان يسير على ظهر جمله لأكثر من ثلاثة أيام. وعلى الرغم من أن الجو كان شديد الحرارة، أكد لنا أنه لم يتناول قطرة ماء.

وكان شرب قهوة الزنجبيل (قهوة بالزنجبيل) من آداب السلوك في هذه المعسكرات الرسمية وغير الرسمية. وكانت النساء غير محجبات، خجولات لكن ودودات؛ كان لدى الأطفال أخلاق عالية، ومن المتوقع منهم أن يقوموا بخدمة البالغين قبل أن يأكلوا ويشربوا. وكان زعيم الصيعر الذي رأيناه أكثر من غيره سرور بن مرسل، وهو رجل خطير إلى حد ما، ومع ذلك كان يتمتع بابتسامة رائعة. وفي إحدى المرات، أحضرت بنفسي ولديه من مدرسة البدو للبنين في المكلا في نهاية العام. وعندما وصلنا إلى مخيمه، كان غائباً، لكن زوجته كانت هناك مع أفراد آخرين من

العائلة. وقد تغلبت عليها رؤية أولادها مرة أخرى. كانوا خجولين مثل الأولاد العائدين من المدرسة الإعدادية في إنجلترا في نهاية الفصل الدراسي.

يقول المتخصصون العرب إن الصيعر يتحدثون لغة عربية جيدة، مع إضافات قليلة جدًا من اللغات القديمة الأخرى. وكانوا في الماضي لا يلتزمون أحيانا بصيام رمضان لأنهم -كما يقولون- أنقذوا حياة النبي في معركة أحد سنة 625 م.

وكان عيضة بن حريز المنهالي، الزعيم الرئيس للمناهيل، شخصًا مثيرًا للإعجاب وحكيمًا بشكل متميز، حيث حافظ على مسافة بينه وبين المسؤولين الحكوميين، ولم يزر المكلا للمرة الأولى إلا في سنة 1966. والآن يؤدي دوره كزعيم قبلي بامتياز. وعلى الرغم من أنه أمي فمن الممكن التحدث معه في أي جانب من جوانب الحياة أو العادات أو الأفكار.

وكان هناك زعيمان رئيسيان لقبيلة الصيعر؛ أحدهم شيخ نحيل الجسم اسمه يسلم بن جربوع، الذي يعيش في الصحراء، وكان يأتي بين الحين والآخر بثيابه المتسخة للتواصل مع المسؤول السياسي. ولم يتبق له إلا سن وحيد يتأرجح في فمه وهو يتحدث. والآخر، بن رميدان، الذي يعيش في منطقة نائية من الجول الشمالي. وقد تم الاتفاق على شق طريق للوصول إلى منزله، بدعم قدمته السلطنة القعيطية لرئيس العمال وفرقة شق الطرق والمتفجرات.

وقد رافقت الفرقة مع حراسة من جيش البادية الحضرمي واثنين من مقادمة الصيعر. وكان حضور الدولة الموزعة بين أطراف عدة ضعيفا للغاية، ويزيد من ضعفها وعورة الطرق بسبب كثرة الوديان والتضاريس، وسطح الأرض الملئ بالحجارة التي تحطمت على مر القرون بسبب الشمس والصقيع. وقد أنجز المسار عن طريق إزالة الحجارة مع تقدم الفرقة. وكان الجنود يغنون الأغاني الفاضحة لتجنب الشعور بثقل الوقت أثناء عملهم. وفي فترات متقطعة كان على الفرقة استكشاف الطريق أمامها أو استخدام المتفجرات لإزالة بعض العوائق. وفي الليل كنا نخيم في العراء. وبعد يوم طويل، انطلق أحد المقادمة، صالح بن رهقان، ببندقيته للعثور على بعض اللحوم. كان ينقص صالح إصبع قدم، كان قد بتره قبل عدة سنوات بعد أن عضته أفعى في إصبع قدمه! وما إن اختفى فوق قمة التل حتى أطلقت رصاصتين. ركض العديد من الجنود خلفه، وبشكل لا يصدق، عادوا حاملين وعولًا، وهي مكافأة جيدة على الأشغال الشاقة. في النهاية، أنهت الفرقة شق الطريق المؤدي إلى منزل المقدم الذي استقبلنا بحفاوة. وفي تلك الليلة، بينما كنا نتناول الطعام بالخارج تحت النجوم، رأى أحدهم ضوءًا يتحرك وسط السماء؛ كان هذا أحد أول الأقمار الصناعية الأرضية التي مرت فوق الأرض، وكان ذلك في سنة 1963.



**

كانت الحياة في الصحاري الشمالية بشكل عام مليئة بالمتعة والتنوع. والشيء الوحيد الذي يشبه المنازل هو استراحة مركز العبر، التي تتكون من غرفتين يمكن استخدامهما كغرف نوم، وغرفة مشتركة صغيرة، ومطبخ قذر، وحمام أكثر قذارة. وفي أي وقت من الأوقات سيكون هناك بشكل عام ما يصل إلى مائتي جمل تسقى هناك، وتزأر فيما بينها، مع العديد من الماعز والأغنام. وكان هناك تدفق مستمر من الشاحنات والعربات الصغيرة القادمة من نجران والحجاز أو المتوجهة إليهما. ومع ذلك، إذا لم يكن هناك حادث طارئ ينبغي التعامل معه، تكون الأمور مريحة للغاية على الرغم من وقوع غرفة الاتصالات التابعة لمركز جيش البادية الحضرمي HBL على مرمى البصر، ويمكن أن تنفجر في أي وقت، لاسيما عندما يتم إرسال أو استقبال رسائل شفرة

مورس. وقد استخدمنا نظام ترميز بدائيًا لتلك الرسائل التي سعينا إلى الحفاظ على سريتها، ويُشار إليه باسم **Jock code**، الذي ابتكره على ما أعتقد جوك سنيل. كان هذا رمزًا بسيطًا لاستبدال الحروف مدمجًا مع مجموعات كلمات مكونة من خمسة أحرف، ويتم تغيير رمز الحرف مرة واحدة في الشهر. وفي وقت لاحق، مع اندلاع الحرب الأهلية في بلاد اليمن، وانتشار آثارها في السياسة الخارجية، تم رفدنا بمنصات لاسلكي ولمرة واحدة. وكانت المنصات مصدر قلق حقيقي إذ لم يكن هناك مكان آمن للحفاظ عليها حتى في العبر، وكانت مراقبة المستوى الأعلى من الأمان المطلوب عملاً روتينيًا، خاصة أثناء الجولات التفقدية.

وكانت هناك وحدة صحية في العبر، وفي كثير من الأحيان كان المساعد الصحي يطلب المساعدة في نقل المرضى المصابين بأمراض خطيرة إلى المستشفى في شبام، على بعد حوالي خمس ساعات بالسيارة، كالنساء الحوامل المصابات بمضاعفات، والأشخاص الذين يعانون من لدغات الثعابين (الذين مات معظمهم على الطريق)، أو المصابين بجروح ناجمة عن طلقات نارية، والأطفال المرضى للغاية.

ومن العوامل الجذابة في المركز ممارسة الحراس لشرح المزمار البدوي والغناء لإبقاء أنفسهم مستيقظين أثناء الحراسة في الليل، خاصة في الليالي المقمرة، أو عندما يجلسون على برج المركز تحت السماء المضاءة بالنجوم. وقد يستخدم البعض مزمارًا بسيطًا، وهو آلة ذات قصبتين وصوت يشبه القصب بدرجة كبيرة. وفي بعض الأحيان تتم دعوة الناس لحضور بعض الاحتفالات

البدوية. وفي الغالب يكون هناك شرح ورقص. وفيه تتشكل دائرة من المتفرجين للتصفيق على إيقاع المزمار أو الصنج أو الطبل. وكان الناس يتناوبون على الرقص في الدائرة، منفردين أو في مجموعات صغيرة. وكانت النساء البدويات، اللاتي عادة ما يكن محجبات، ينضممن إليهم. وكانت بعض الرقصات تتضمن إيماءات معقدة بالجنبية، وهو الخنجر الذي يحمله معظم رجال القبائل. قد تستغرق حفلات الزفاف وقتًا أطول بكثير وتتضمن الجلوس في دائرة لشرب الشاي أو القهوة في انتظار الانتهاء من تحضير الوجبة.

وهناك عادة أخرى بسيطة جدًا، فخلال الزواج يتم طهي الأرز بالسمن مع اللحم المطبوخ أو المشوي. وغالبًا ما يتم تقديم هذا في وقت متأخر جدًا من الليل عندما يكون الجو باردًا. وفي نهاية المطاف، سيتم دعوة الضيوف لتقديم مساهمات مالية رفدا للعروس والعريس.

**

كل شهرين تقريبا كنا ننزل إلى وادي حضرموت للاسترخاء وشراء المواد التموينية. وقد شاهدنا في طريقنا إلى هناك قنوات الري البدائية وحولها المساحات الخضراء التي نستمتع بمشاهدتها بعد شهرين من العيش بين الصخور والرمال. وكان منظر أشجار النخيل وحقول الحنطة المتناثرة في الوادي بين المنازل الجميلة والمساجد والمقابر مفيدا للغاية لصحتنا ونفسيتنا. وكذلك كان الغوص وسط البركة (الجابية) الباردة بمثابة نعمة.

وقمت مرات عدة بزيارة عتق، وهي مركز عسكري يقع في منطقة غربي حضرموت، حيث تتمركز عادة وحدة من الجيش البريطاني، لجمع الإمدادات المرسلة من عدن من قبل كواسجي دينشو، وهو بيت تجاري فارسي. وأعتقد أن الجنود المتمركزين هناك يشعرون أنهم بعيدون جدًا من العبر، فقد فوجئوا للغاية عندما أخبرتهم أنني متمركز في أقصى الشمال من عتق، ويتطلب الوصول إلى هناك رحلة في الصحاري الشمالية بالسيارة ولمسافة تقترب من الألف ميل.

في بعض الأحيان كانت الصحراء عبارة عن سطح أملس من الحصى والرمل، وكان يسرني جدا القيادة فوقه. وبعد هطول المطر، تصبح هذه السهول خضراء وتتغطى بزهور وعشب يبلغ ارتفاعه إلى مستوى الركبة. وعندما تجف في حرارة الصيف الشديدة ورياحه، يمكن أن تكون تلك البقاع جحيما. وفي بعض الأحيان تبرز أمامك كثبان رملية كبيرة وينبغي الالتفاف حولها. وفي كثير من الأحيان كانت الأرض إما حجرًا صلبًا أو متفتتًا ومغطى بغبار ناعم يتصاعد أثناء مرور السيارة، وهذا يعني أن السيارة كانت مليئة بالغبار والجفاف باستمرار.

وفي الاتجاه الآخر من العبر، شمالاً، يقع المركز الأول في زمخ، حيث توجد بئر يستخدمه الصيعر بشكل رئيس لسقي مواشيهم. ويتجاوز عمق البئر 200 قدما، وكان سحب الماء عملاً شاقا. وفي كثير من الأحيان، يتم ربط الجمال بالحبال التي تمر فوق البكرات لسحب المياه، حيث تقوم الفتيات الصغيرات بركوب الجمل وتوجيه الحيوان ذهابًا وإيابًا. وكانت جوانب البئر محززة

بسبب الاحتكاك المستمر بالحبال. وفي إحدى المرات انزلق جمل إلى البئر؛ وكان لابد من إنزال الرجال لتقطيع الحيوان، ثم قام الجميع بسحب الماء من البئر حتى يتم تطهيره.

وكان المركز التالي في منوخ التي كانت بمثابة مرتفع يعلو البئر. وكان الوادي أسفلها واحدًا من أهم الأماكن التي أتذكرها؛ ففي إحدى المناسبات، أثناء توجهي إلى ثمود، قمت بالتخييم في عروق الزازا، وهي كثبان السيف الضخمة في الربع الخالي، التي تمتد لأميال في اتجاه الجنوب الغربي- والشمال الشرقي. وأثناء الليل رأينا البرق في الأفق الجنوبي. وعند الخروج من الرمال في وادي هزار في صباح اليوم التالي وجدنا الوادي مغمورا كليا بالماء، وكان ذلك المشهد رائعا. فبقدر ما يمتد نظرنا شمالًا في الرمال، امتدت المياه مثل البحر الداخلي، مع ظهور الكثبان الرملية كالجزر. وكان علينا أن ننتظر ساعات عدة حتى تنحسر السيول (أو الفيضان)، وتغوص المياه في الرمال وتتمكن المركبات من العبور بأمان.

وفي اليوم التالي، في ثمود، وهي مركز وبئر قديمة، هبت عاصفة ترابية أعقبتها عاصفة ممطرة أخرى، وهذا حدث غير عادي في ذلك المكان.

وثمود اسم قديم ورد أيضاً في القرآن الكريم، في السورة الحادية عشر، وفيها حديث عن القوم الذين أرسل إليهم صالح بناقة الله وعقروها وكفروا بربهم؛ وبعد ثلاثة أيام وجدوا مسجدين في مساكنهم. وقد تم استخدام بئر ثمود لفترة طويلة حتى أن عرض فوهته يبلغ الآن اثني عشر قدمًا، وحولها فوق الأرض المحيطة

تراكمت فضلات الآلاف من الحيوانات على مر القرون. وإلى الشرق من ثمود هناك مركز آخر بجانب بئر حفرت في سناو بالاتفاق مع السكان المحليين، وكان هذا المركز هو الأقل جاذبية بين جميع المراكز. وفي بعض الأحيان تأتي إليه أعداد كبيرة من الرعاة والبدو مع ركابهم للحصول على الماء. وكان لهذا الماء تأثير في تخفيف أمعاء الحيوانات والبشر الذين استخدموه. وكانت كثرة الذباب في المنطقة مروعة.

ورأيت لأول مرة، في الشرق من سناو، الفهد العربي (فهد)، الذي كان آنذاك أكثر غرابة، لكنه الآن منقرض بالتأكيد. وقد اختفت تقريبا فريسته الرئيسة: المها والغزال. وحتى البدوي الذي كان معي لم ير يوما واحدة. وقبل ذلك كان هناك نوعان من الغزلان: الريم والظبي. وكلاهما من أكثر الحيوانات أناقة، وكان يعيشان على ما يحصلان عليه من الرطوبة والندى وبعض النباتات المتناثرة. ومن الواضح أن الفهد كان يعيش من دماء فريسته، إذ لا توجد المياه الجارية في تلك المنطقة إلا على بعد مائة ميل تقريبا.

***المصدر: Without Glory in Arabia: The British Retreat from Aden 2012**